www.INTERAFFAIRS.ru

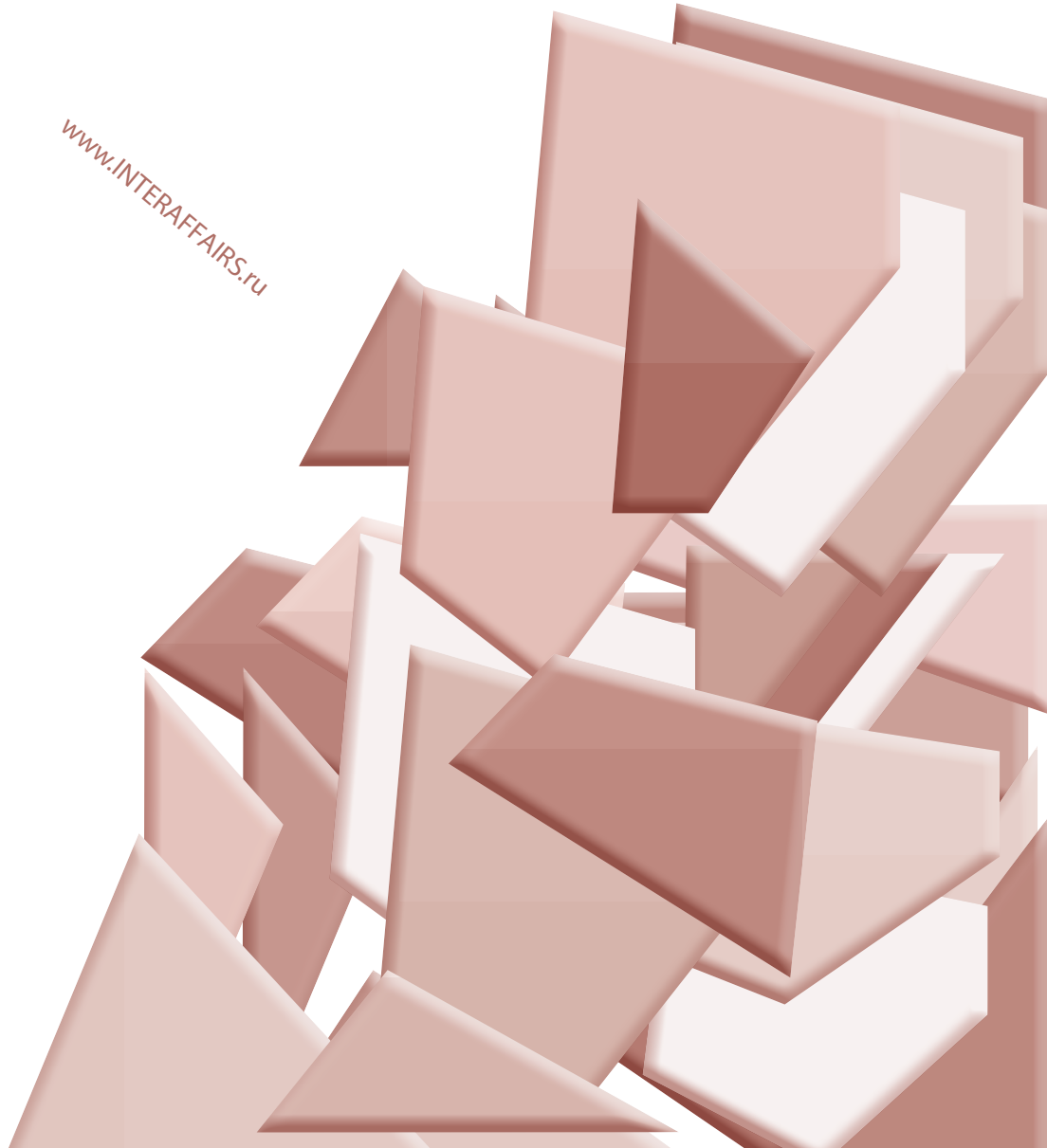

إعلان

شقق سكنية ومكاتب للإيجار
في مختلف مناطق مدينة موسكو

كرم الضيافة - شعارنا

www.arenda.updk.ru

هاتف: +74957703535

95 عاما

المديرية العامة لشؤون السلك الدبلوماسي

وبالقرب من المجمع بناية المركز الثقافي التابع لـГлавУпДК، والمجمع الرياضي العلاجي «Премьер-Спорт» وحقل للعبة الغولف وغير ذلك من منشآت البنى التحتية. وبالقرب من الموقع يجري تشييد محطة لخط المترو «سولنتسفسكايا» ومن المتوقع افتتاحها في نهاية عام 2016. وهو ما يجعل الإقامة في المجمع مريحة من وجهة نظر التنقل والمواصلات.

و بالقرب من المجمع السكني، مباني المكاتب لـГлавУпДК، وهو ما يشكل معه «حيا دبلوماسيا» يشبه الى حد كبير، الحي المماثل في شارع ميتنايا وكذلك في شارع كوتوزوفسكي بروسبكت بموسكو، حيث يستطيع العملاء ايجار المكتب والمسكن في المباني ذات الاغراض الوظيفية المختلفة، وهو ما يسمح توفير الوقت من خلال عدم هدره على الطريق من المنزل إلى العمل والعودة.

وبدون شك يسمح تشييد مثل هذه «الاحياء الدبلوماسية» بالمساهمة في نجاح عمل البعثات الدبلوماسية والمكاتب القنصلية والمنظمات الدولية، ووسائل الإعلام الأجنبية التي تقع دائرة محط الاهتمام الكبير من جانب المديرية العامة لشؤون السلك الدبلوماسي في الخارجية الروسية.

المزيد من المعلومات في الموقع www.updk.ru او بالهاتف رقم 4957703535 +7

ومن المتوقع انه في عام 2017 سيوضع قيد الاستثمار مجمع سكني من 9 طوابق من فئة «درجة الأعمال» مخصص لسكن العاملين في البعثات الاجنبية وهو في شارع موسفيلموسكايا بموسكو. وفي القريب العاجل ستبدأ عمليات تجهيز و تشطيب المبنى .

والمجمع مجهز بنظم الهندسة والاتصالات الحديثة جدا لضمان ودعم الحياة والأمن. وفي الطابق الاول من المبنى سيقام مركز لتواجد الأطفال خلال النهار ومساحات للاستخدام الحر. وفي المبنى سيقام مرآب ومواقف للسيارات تحت الأرض من ثلاثة طوابق مع مغسلة للسيارات.

والشقق في المبنى تضم غرفة واحدة وغرفتين وثلاث غرف بمساحة من 44 الى 100 متر مربع، وستجهز بأثاث للمطبخ مع الاجهزة الكهربائية المنزلية المدمجة.

ويقع المجمع في الدائرة الإدارية الغربية بموسكو بين شارعي ميتشورينسكي بروسبكت وكوتوزوفسكي بروسبكت حيث يوجد عدد كبير من السفارات. وعلى الجانب الشرقي من المجمع محمية «وادي نهر سيتون». ومن بين مشاهد المنطقة كنيسة الثالوث المقدس في «ترويتسه غولينشيفه» التي يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر. وفي المنطقة يقع المبنى الرئيسي لجامعة موسكو الحكومية (МГУ) وكذلك مباني شركة الاستوديوهات السينمائية «Мосфильм».

-المديرية العامة لشؤون السلك الدبلوماسي لوزارة الخارجية الروسية (ГлавУпДК) تعرض مشروعا جديدا - مجمعا سكنيا للممثليات والبعثات الدبلوماسية في شارع موسفيلموسكايا بموسكو

المجال الأساسي في نشاط مديرية شؤون السلك الدبلوماسي في الخارجية الروسية، يعتبر ضمان وتوفير المكاتب لعمل الممثليات والبعثات الدبلوماسية والمساكن لاقامة موظفيها، وكذلك توفير العقارات للإيجار للشركات والمنظمات والمؤسسات الأجنبية والروسية. و تحت تصرف ГлавУпДК مجموعة من المباني التاريخية وكذلك بنايات للسكن والمكاتب.

انجاز اعمال تجهيز واجهة المبنى في نوفمبر 2016.

وتجدر الإشارة إلى أن المواقع العقارية التابعة للمديرية العامة تتوزع بشكل مثير على خارطة العاصمة موسكو وهي تتوسع باستمرار نتيجة لتشييد مبان جديدة وحديثة تتكيف مع الاحتياجات المتغيرة للمستأجرين.

5. ميدفيديف ر. زيارة م. غورباتشوف للصين في 89 / التاريخ الحديث و المعاصر. 2011. عدد 3.
6. ترويانوفسكي أو. عبر سنوات ومسافات. قصة أسرة واحدة. اصدار: 1997, Vagrius.
7. مليتشين ل. بريماكوف. مولودايا غفارديا، 2015. ص 115.
8. بريماكوف ي. لقاءات عند مفترقات طرق. 2015 , M: Tsentrpoligraf. ص. 63.
9. المرجع نفسه. ص 182.
10. غونتشاروف س. ملاحظات حول التعاون العسكري التقني بين الصين والاتحاد السوفياتي خلال النصف الثاني من القرن العشرين5-1531-http://www.synologia.ru/monograph
11. بانوف ا. المصدر المشار له. ص 561-560.
12. المرجع نفسه. ص 230-229.
13. مليتشين ل. المصدر المشار له. ص116.
14. بريماكوف ي. العالم بدون روسيا ؟ الى ماذا يؤدي قصر النظر السياسي. دار النشر «روسيسكايا غازيتا». ص 48.
15. www.kommersant.ru/doc/181409
16. m-tsyganov.livejournal.com/347157.html
17. بريماكوفي. لقاءات عند مفترقات الطرق... ص248.
18. بريماكوف ي. حقل الالغام للسياسة. مولودايا غفارديا، 2007. ص 191.
19. www.kommersant.ru/doc/201291
20. بريماكوف ي. لقاءات عند مفترقات الطرق. ص 493.
21. ايفانوف ف. نفس المصدر.
22. المرجع نفسه.
23. بريماكوف ي. لقاءات عند مفترق الطرق... ص 526.
24. كلمة وزير الخارجية الروسية س. لافروف// ناشا سمولنكا: لودي اي ديلا.2015، عدد 6.
25. www.mid.ru/main_en/asset_publisher/.../content/id/1511244
26. بريماكوفي. لقاءات عند مفترقات الطرق... ص 64.

كلمات البحث: يفغيني بريماكوف، سياسة خارجية مستقلة، عالم متعدد الأقطاب، شراكة استراتيجية، الصين، الهند، اليابان، آسيان، ريك، بريك، «خماسي شانغهاى»، منظمة شانغهاى للتعاون.

التحديات العالمية من خلال الاعتماد على القانون الدولي» (25)، فان هذا له علاقة مباشرة مع «الاتجاه الشرقي» في السياسة الخارجية الروسية، الذي رسمه إنسان فذ الشخصية.

❑

لقد كان بريماكوف سياسيا حكيما وناضجا، وشدد على اهمية انعطاف روسيا بوجهها نحو منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وكان يدرك بعمق ضرورة وجود سياسة خارجية متوازنة واستراتيجية اقتصادية خارجية متزنة في دولة مثل دولتنا. قال بريماكوف: «إن قوة سياستنا الخارجية تكمن في الشمول الاقصى لمختلف الدول، وخصوصا في تطوير العلاقات مع الدول الآسيوية. بوجود هذه البنية سيكون من الأسهل لنا التعامل مع الغرب» (26).

وليس من قبيل المصادفة ان بريماكوف قال في خطابه العلني الاخير في يناير عام 2015، في اجتماع «نادي ميركوري» العبارة التالية: «هل يمكن أن نتحدث عن إعادة توجيه روسيا إلى الشرق؟ الجواب: لا، الأمر ليس كذلك. روسيا تريد تطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا، ولكن لن يكون من الحكمة بتاتا تجاهل الاهمية المتزايدة بسرعة للصين والبلدان الاخرى الداخلة في مجلس» التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ».

يمكن اعتبار هذه الكلمات بمثابة الوصية السياسية لبريماكوف.

المراجع:

1. مذهب السياسة الخارجية للاتحاد الروسي//النشرة الدبلوماسية. طبعة خاصة. 1993. يناير. ص 3.
2. المرجع نفسه. ص 5.
3. ايفانوف ف. يفغيني بريماكوف ومكان روسيا في منطقة آسيا والمحيط الهادئ//
http://alipina.viperson.ru/articles/evgeniy-maksimovich-primakov-i-mesto-rossii-v-atr//
4. بانوف أ. حول اليابان. مقالات ودراسات دبلوماسي. اولما ميديا غروب. 2014. ص415.

من أجل تعزيز العلاقات الودية بين دول الجوار والنضال المشترك ضد الارهاب والانفصالية والتطرف، زخما غير مسبوق في الوقت الراهن. وهي تغتني باتجاهات ومواضيع جديدة في نشاطاتها مثل التصدي لخطر المخدرات والتعاون الاقتصادي المتعدد الأطراف وهي تكتسب كذلك الأعضاء الجدد. تم اتخاذ القرار بشأن قبول الهند وباكستان في منظمة شنغهاي للتعاون، وهو ما يعد بتغير المشهد الإقليمي بشكل جذري. وهناك أكثر من عشر دول حصلت على صفة المراقب في المنظمة أو على صفة شركاء بالحوار، وبشكل عام باتت «اسرة المنظمة» تضم 18 دولة. وينمو بشكل مطرد اهتمام دول المنطقة بالمنظمة المذكورة.

وروسيا كقوة نووية، وكعضو دائم في مجلس الأمن الدولي تتحمل مسؤولية خاصة عن صون السلم والأمن الدوليين. في هذا الصدد، لا يمكن إلا أن يثير قلقنا وجود بؤر توتر حادة في منطقة اسيا والمحيط الهادئ على خلفية انعدام الثقة وعدم وجود منظومة امن مضمونة ومنظمة بشكل قانوني.

ولهذا السبب بالذات تدعو بلادنا بشدة الى تشكيل بداية جديدة للأمن في هذا الجزء من العالم، خالية من أيديولوجية المواجهة ولصالح تكوين في منطقة اسيا والمحيط الهادئ صرح شامل ومنفتح للأمن والتعاون على أساس مبادئ القانون الدولي والثقة المتبادلة واحترام مصالح كل الاطراف مع عدم استخدام القوة أو التهديد باستخدام القوة، وتسوية المنازعات بالوسائل السلمية. لقد تم في اواسط التسعينيات تنظيم افضل نموذج للعلاقات يتضمن هذه المتطلبات بشكل دقيق.

وتماشيا مع هذه التوجهات صدرت في عام 2010 عن موسكو وبكين المبادرة الروسية الصينية المشتركة لتعزيز الأمن الإقليمي. وحازت الوثيقة على الدعم المبدئي من جانب الشركاء في آسيان واعتبر ذلك كأساس لإطلاق حوار في غاية الأهمية، يقوم به في الوقت الراهن جميع المشاركين الرئيسيين في اطار قمم شرق آسيا.

عندما يقال إن بريماكوف «قام بقوة وبشكل خلاق بالترويج لأجندة إيجابية في الشؤون الدولية، وساعد في بناء الجهود الجماعية للبحث عن ردود على

بالأيديولوجية صدرت عن بعض العلماء الذين فقدوا الارتباط بالحياة، فهي اليوم اخذت تفتح لنفسها الطريق على خلفية المحاولات العقيمة من جانب الغرب الذي فقد هيمنته لإبقاء العالم بأي وسيلة تحت سيطرته.

وتجدر الإشارة إلى أن مقولة التكامل الأوراسي المتعدد المستويات صدرت عن بريماكوف قبل فترة طويلة من استحواذها لعقول العلماء والسياسيين الآخرين. لقد كان على قناعة تامة بأن فرز «النواة التكاملية» في هذه العملية، تعد مهمة ضرورية وحتمية. وأكدت الحياة ذاتها على صحة استنتاجه: في 1 يناير 2015 تم تأسيس الاتحاد الاقتصادي الأوراسي EAEC.

وكان بريماكوف أول من أعلن عن إمكانية التعاون بين روسيا والصين والهند. وهو أمر لم يكن أحد يصدقه في البداية. لكن فكرة «الثلاثي» بعد ذلك بفترة قريبة، في نهاية التسعينيات، تحققت على شكل آلية الحوار الثلاثي «ريك» (الحروف الأولى في أسماء الدول الثلاث).

وقام سيرغي لافروف بالتطرق لذلك في شعره الذي نظمه بمناسبة عيد ميلاد بريماكوف الثمانين:

«وأما المثلث الشهير – بكين ونيودلهي وموسكو؟

في البداية بدت الفكرة تحريضية ولكن ها هي «الترويكا» – هنا حية ترزق»

ولكن «الترويكا» اعطت دفعة قوية لعمليات اكبر وأوسع. في عام 2006، في الأفق الدولي لاح منتدى جديد واعد، حصل على أسم «بريك» بعد انضمام البرازيل. وفي عام 2011، مع انضمام جنوب أفريقيا، تحول إلى بريكس. وهذه المجموعة تعتبر اليوم من المنظمات التي تتطور بسرعة وديناميكية كبيرة وبات لها تأثير كبير على السياسة العالمية، وعلى الادارة العالمية وإصلاح العلاقات الاقتصادية الدولية.

وخلال العقد الماضي تغيرت وإلى حد كبير أحدى التجمعات التي ساهم بريماكوف وأنصاره في تكوينها – «خماسي شانغهاى»، التي تحولت في عام 2001 الى منظمة شنغهاي للتعاون SCO. لقد اكتسبت هذه المنظمة الاقليمية الفتية التي تأسست

مع استراليا ونيوزيلندا – في اسيم. وكدليل على التقييم العالي من المجتمع الإقليمي لمشاركتنا الفعالة في شؤون آسيا والمحيط الهادئ تم إعطاء روسيا حق استضافة قمة ابيك في فلاديفوستوك في عام 2012.

وتكمن قيمة التعاون مع بلدان آسيا والمحيط الهادئ بالنسبة لروسيا في حقيقة أننا نعلق على ذلك امال كبيرة بخصوص الانتعاش الاجتماعي والاقتصادي للمناطق روسية في سيبيريا والشرق الأقصى. وبعد الاجتماع الخاص بالنظر في مجموعة المسائل المتعلقة بذلك الذي عقد برئاسة الرئيس الروسي في يوليو 2010 في خاباروفسك، تمت صياغة برنامج عمل شامل لتعزيز مواقف روسيا في منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

ويجب القول إنه تجري هناك تغيرات هائلة في السنوات الاخيرة. ولقد وصف فلاديمير بوتين تنمية الشرق الأقصى «مهمة أولوية لروسيا خلال كل القرن الحادي والعشرين». ويهدف «الاتجاه الشرقي» للمساعدة في حل هذه المهمة.

❑

ومن نافل القول إن بريماكوف ترك أرثا نظريا ضخما ويبدو واضحا الان ان تنبؤاته البصيرة أخذت فعلا تتحق على ارض الواقع. وفي حديث له يوم 2 يوليو 2015 خلال أمسية أقيمت لإحياء ذكرى بطريرك دبلوماسيتنا في وزارة الخارجية الروسية، قال سيرغي لافروف: «يعتبر يفغيني بريماكوف بدون مبالغة مؤلف الاتجاهات الرئيسية لعقيدتنا في السياسة الخارجية، التي تحافظ على آنيتها على مدى عقدين من الزمن تقريبا وتبقى صالحة. أولا وقبل كل شيء، الحديث يجري عن نهج سياسي خارجي مستقل للبلاد وانفتاحها على التعاون مع أي دولة أخرى أو مجموعة من الدول على اساس المساواة وعلى أساس الاحترام المتبادل والمنفعة المتبادلة» (24).

وذكر لافروف أن لبريماكوف تعود الأولوية المفهومية في صياغة عقيدة العالم المتعدد الأقطاب، والتي غالبا ما تسمى وبحق «بمبدأ بريماكوف». وإذا كانت هذه الصيغة تبدو للبعض في التسعينيات من القرن الماضي فكرة طوباوية مشبعة

لكن هذا لم يكن سوى البداية. ومع انتقاله الى منصب وزير الخارجية وجه بريماكوف الاهتمام الشديد تجاه العمليات الجارية في مجال التكامل الإقليمي.

ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن روسيا ومع قيامها قبل عقدين من الزمن ببناء التعاون الفعال مع جيرانها الشرقيين ومع مراكز القوى الإقليمية، قامت بشكل مطرد بالعمل للانضمام الى عمليات التعاون المتعدد الأطراف في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. وفي عام 1996، أصبحت بلادنا طرفا في منتدى آسيان الاقليمى لشؤون الأمن. وفي الوقت نفسه وتحت توقيع وزير الخارجية الروسي بريماكوف تم ارسال خطاب مع الاعراب عن الاستعداد للانضمام الى المنتدى «آسيا – أوروبا» (اسيم). وامتدت عملية الانضمام إلى هذا الاتحاد على مدى 15 عاما ولكن في النهاية تمت بنجاح.

وفي عام 1998، تمكنت روسيا و»بعد معاناة طويلة وجهود الدبلوماسية» (وفقا لتعبير بريماكوف) من دخول منتدى «آسيا والمحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي». وقام بريماكوف بنفسه بتمثيل روسيا في أول مشاركة لبلادنا بقمة المنتدى المذكور في اكتوبر عام 1998 في كوالا لمبور، على الرغم من أنه كان من المفترض أن يشارك فيها الرئيس يلتسين.

جاء في مذكرات بريماكوف: «في 16 أكتوبر 1998، ألغى الرئيس رحلته الى ماليزيا، حيث كان من المقرر أن يشارك في قمة منطقة آسيا والمحيط الهادئ. وكان من المفترض ان تشارك روسيا في هذا الاجتماع لأول مرة بعد أن تم قبولنا اخيرا في منتدى آسيا والمحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي. وبدلا من رئيس الدولة سافرت لحضور القمة في ماليزيا» (23).

واستمر هذا الخط، بعد انتقال بريماكوف للعمل في الحكومة. في عام 2002، شاركت روسيا في القمة الاولى لمؤتمر التفاعل واجراءات بناء الثقة في آسيا، وأصبحت أحد المشاركين في الحوار حول التعاون في آسيا. و في عام 2004، انضمت الى معاهدة الصداقة والتعاون في جنوب شرق آسيا، وفي 2010 انضمت (مع الولايات المتحدة) الى قوام المشاركين في قمم شرق آسيا EAS، وفي الوقت نفسه

ويجب القول إن الاهتمام بمسائل الدبلوماسية المتعددة الأطراف في منطقة آسيا والمحيط الهادئ قد ولد لدى بريماكوف منذ فترة طويلة، عندما كانت البنى الإقليمية الأولى لا تزال تتخذ الخطوات الابتدائية على طريق قيامها. واعتقد ان بريماكوف تنبأ بمستقبل كبير للمنظمات والمحافل المتعددة الأطراف في تلك المنطقة. في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي كان بين المنظمات – في شكل «المسار الثاني» – مجلس التعاون الاقتصادي في المحيط الهادئ. و أصبح بريماكوف رئيس الوفد الروسي اليه.

❑

ولا تزال موجودة ذكريات الزملاء حول العمل في هذا المنتدى: «بقيت عالقة في أذهان المشاركين في اجتماع مجلس التعاون الاقتصادي لمنطقة المحيط الهادئ، الذي عقد في أوساكا في مايو 1988، الكلمة القوية التي ألقاها بريماكوف على مدى 5 دقائق وفيها قدم الاتحاد السوفييتي كدولة إقليمية كاملة الحقوق مع مصالح متشعبة ونوايا ذات طابع بناء» (21).

وتم انتخاب بريماكوف كأول رئيس للجنة القومية السوفيتية لشؤون التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ. ويجب القول إن اللجنة تشكلت بمبادرته في عام 1988 ومهدت الطريق لعضوية روسيا في مجلس «آسيا والمحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي». «وبالذات وفقا لأسلوب بريماكوف تم، وعلى الفور، بخطوة عملية عاجلة، تنظيم زيارة سريعة لمجموعة العمل من اللجنة القومية السوفيتية لشؤون التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ الى بلاغوفيشتشينسك، ويوجنو ساخالينسك، وفلاديفوستوك، وخاباروفسك. وعقد خلال ذلك الكثير من اللقاءات العملية وجرى الحوار الصريح مع قادة الاقاليم ومدراء المؤسسات والعلماء. وفي خريف عام 1988، عقد في فلاديفوستوك التي كانت في تلك الفترة مدينة «مغلقة» لقاء دولي غير مسبوق من حيث عدد المشاركين وذلك تحت عنوان منطقة «آسيا والمحيط الهادئ: حوار والسلام والتعاون» (22).

الشعب الديمقراطي الأفغاني ومعها انحدرت البلاد في فوضى الحرب الأهلية. واستولى المجاهدون على كابول، ولكنهم طردوا من هناك بعد وقت قريب من قبل لاعب خطير جديد في الساحة الأفغانية – حركة «طالبان». وعمليا توقف تطوير العلاقات الروسية الأفغانية لبعض الوقت.

ويتذكر المختص الروسي المعروف بالشؤون الأفغانية والدبلوماسي البارز كوناروفسكي أن بريماكوف خلال فترة توليه منصب وزير الخارجية ومن ثم بعد انتقاله الى وظائف اخرى كان يولي دائما موضوع أفغانستان أكبر قدر من الاهتمام.

«في فبراير 2002، التقيت مع بريماكوف، الذي شغل حينذاك منصب رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسية، عشية توجهي إلى كابول كسفير لروسيا في أفغانستان. وخلال اللقاء سرد بريماكوف رؤيته للوضع في أفغانستان ما بعد طالبان والحالة حول هذه الدولة. ومن الجدير بالذكر أن تقديراتنا تطابقت إلى حد كبير وكان ذلك بالنسبة لي دافعا قويا وملهما قبيل العمل في الظروف المعقدة للغاية التي تكونت في افغانستان. وخلال عرضه لأفكاره أظهر بريماكوف ليس فقط اتساع التفكير كمستشرق محترف وكسياسي مخضرم بل وكخبير مع رؤية استراتيجية للعمليات، وكشخص يدرك بعمق جوهر النزاع القائم في تلك الدولة. ومن بين نصائحه المحددة كانت نصيحة إقامة اتصالات واسعة مع البشتون الأفغان وقادتهم (وهي فكرة لم تكن تنل في تلك الفترة الدعم الكافي) وعدم التركيز كالمعتاد بالطريقة القديمة وفقا للتقاليد السوفيتية على الاقليات القومية في شمال افغانستان ومنحها الافضلية في التعامل. وحصلت من جانبه على الدعم الكامل لجدوى إقامة مجلس اعمال روسي افغاني في غرفة التجارة والصناعة الروسية، او بنية مشابهة أخرى، بهدف انعاش التعاون الاقتصادي التجاري واخراجه من حالة الجمود. وهذه الفكرة اكتسبت فعلا شكلا ملموسا في خريف عام 2002، خلال زيارة وزير خارجية أفغانستان حينذاك عبد الله عبد الله الى موسكو ولقائه مع بريماكوف».

المضني على مدى سنوات طويلة الذي قام به الخبراء الروس والصينيون وساعد بكل ما بوسعه لتسريع انجازه.

وخلال القمة التي حضرها رؤساء الدول الخمس في أبريل 1996 في شنغهاي ظهرت فكرة اجراء هذه اللقاءات من الآن فصاعدا وعلى أساس منتظم. وهكذا نشأت «خماسية شانغهاى». وفي عام 1997 اجتمع زعماء الدول الخمس من جديد في موسكو وفي عام 1998 في ألماآتا بكازاخستان. وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس الروسي يلتسين لم يتمكن من المشاركة في قمة ألماآتا ولذلك ترأس الوفد الروسي، وزير الخارجية بريماكوف الذي قال: «روسيا ستكون المشارك الأكثر نشاطا في هذا المجموعة الخماسية» (19).

وهذا التصريح لم يكن مجرد كلام. لقد بذل الوزير بريماكوف حينذاك جهودا دؤوبة لتعزيز «خماسية شانغهاى». ومع حلول موعد قمة المجموعة في بيشكيك في عام 1999، بدأت عملية تكوين وتشكيل آليات العمل لمنظمة جديدة ولكن غير رسمية بعد. وخلال قمة دوشنبه في عام 2000، تقرر إنشاء منظمة جديدة. وفي 15 يونيو 2001 وقع رؤساء الدول الخمس وأوزبكستان على إعلان تأسيس منظمة شانغهاى للتعاون.

وتعتبر إيران احدى الدول التي تتمتع بصفة مراقب فى المنظمة وهي احد المرشحين الأكثر حظا لنيل عضوية هذه المنظمة كعضو كامل. ومن المعروف أن بريماكوف أكد في مذكراته على أهمية طهران الخاصة كشريك هام لروسيا. «إيران دولة مجاورة تربطنا معها علاقات المنفعة المتبادلة على مدى عدة عقود. هذه العلاقات لم تنقطع، وشملت في ذاتها ليس فقط العنصر الاقتصادي القوي، وهناك تعاون سياسي بدأ منذ منتصف التسعينيات وخاصة حول المسائل التي يوجد للطرفين مصالح فيها» (20).

وعند الحديث عن دور بريماكوف في تطوير التعاون مع الدول الآسيوية، لا يجوز عدم التحدث عن أفغانستان. بعد انسحاب القوات السوفيتية من تلك الدولة في فبراير 1989، بقي بعض الاتزان هناك لفترة ولكن بعد ذلك سقطت حكومة حزب

الهادئ لتحقيق الاستقلال، والدفاع عن سيادتها ضد العدوان الأجنبي، وإنشاء الدولة الحديثة هناك. وإلى حد كبير وبفضل المساعدات السوفيتية الضخمة بالذات تم وضع أساس الصناعة الحديثة في الصين والهند وفيتنام ولاوس وكمبوديا وإندونيسيا ومنغوليا وميانمار وبنغلاديش وأفغانستان. وتم إعداد الهيكل الاساسي للنخبة المثقفة المبدعة والفنية الهندسية لهذه الدول، في الجامعات السوفياتية أو على يد الخبراء والمختصين السوفيت الذين تم إرسالهم لمساعدة هذه البلدان في آسيا. ويجب القول طبعا إن السياسة السوفياتية تجاه البلدان الآسيوية كانت تقوم طبعا على أساس إيديولوجي إلى حد كبير، ولكنها كانت مطردة ونزيهة.

ثم جاءت الأوقات الصعبة بالنسبة لبلادنا وانعكس ذلك سلبا على النشاط الروسي في هذا الجزء من العالم. ومع ذلك، منذ النصف الثاني من التسعينيات اخذ التعاون مع الشركاء في منطقة آسيا والمحيط الهادئ يكتسب طبيعة مختلفة نوعيا، طبيعة السياسة الهادفة والمنهجية الموجهة إلى التطوير الأولوي للتعاون الشامل والمتعدد الأوجه.

وبعد تطبيع العلاقات مع الصين في عام 1989 بدأ التقارب المكثف بين بلدينا على أساس تناغم المصالح الحقيقية والمنفعة المتبادلة وتسوية المشاكل العالقة التي ورثناها من الماضي. وأدى ذلك في عام 1996 لتشكيل شراكة استراتيجية بين روسيا والصين التيعززتها بعد خمس سنوات، في عام 2001، معاهدة حسن الجوار والصداقة والتعاون.

❑

وكمشتقات مستمدة من هذه العلاقات الجديدة، أصبحت الاتفاقيتان غير المسبوقين بين روسيا والصين وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان. في أبريل 1996 تم التوقيع على اتفاقية حول تعزيز الثقة في المجال العسكري في المنطقة الحدودية، وفي أبريل 1997 على اتفاق بشأن التخفيض المتبادل للقوات المسلحة والاسلحة في المنطقة الحدودية. ومن جانبه قدر بريماكوف عاليا العمل الشاق

وتيسر تنظيم البروفة مرة واحدة فقط وقبل يوم واحد من الحفلة. وكانت تلك فعلا أمسية رائعة نادرة لا تنسى بالنسبة لجميع المشاركين. تجمعوا في غرفة وزيرة الخارجية الامريكية في جو عائلي تقريبا. وجلس بريماكوف في كرسي وجلست أولبرايت مع قدميها على أريكة، وخلال كل المساء رددا الأغنية المعروفة مع كلمات جديدة مع الالتهاء بين الحين والاخر حولهما بمزحة ما أو حديث ما. ووفقا لشهود العيان، في البداية كان الامر صعبا بعض الشيء ولكن في اليوم التالي، على الخشبة، حدثت معجزة – جرى الغناء الثنائي بشكل سلس مع انسجام واضح بين الوزيرين!

وتحدث بريماكوف بشكل مفرط عن هذه «التحفة» في كتابه «حقل الألغام للسياسة»: «لقد ضم الناتو الى صفوفه هنغاريا – غنت مادلين أولبرايت مع موسيقى برنشتاين «قصة الحي الغربي».

ومن جانبي رددت مع نفس الموسيقى: «وهذا أكبر خطأ» وصفق الجمهور الذي ضم كافة اعضاء الوفود» (18).

واليوم تحتفل الشراكة بين روسيا وآسيان بمرور 20 عاما على قيامها وهي تنتقل خلال ذلك الى آفاق لم تكن متوقعة سابقا. خلال القمة الثالثة لاسيان – روسيا في مايو 2016 في سوتشي تم التوصل الى اتفاق حول نقل العلاقات الى مستوى الشراكة الاستراتيجية. ونحن، بالطبع، لا يمكن في هذه الذكرى السنوية إلا أن نتذكر أن يفغيني بريماوكف كان يقف عند أصول حوار الشراكة هذا.

وتم تحقيق اختراق وقفزة كبيرة في منتصف التسعينيات من القرن الماضي في العلاقات الثنائية بين روسيا والعديد من دول جنوب شرق آسيا: فيتنام واندونيسيا وماليزيا وتايلاند. وهذا لا يعني طبعا ان روسيا كانت تطور علاقاتها مع دول آسيا بشكل ضعيف في العقود السابقة. الامر كان على العكس. لقد كان لدى الاتحاد السوفيتي دائما في اسيا الكثير من الحلفاء والأصدقاء. ولا يجوز ان ننسى ان الاتحاد السوفياتي بالذات ساهم مساهمة حاسمة في نجاح التحرر الوطني لشعوب المنطقة من نير الاستعمار، وقدم مساعدة كبيرة للعديد من بلدان آسيا والمحيط

وقمت بكتابة النموذج الاول للنص – باللغة الإنجليزية وعلى شكل أشعار – وقدمناه للأميركيين. وكان ذلك بمثابة تهكم سياسي حاد. وكما كان متوقعا عرض الزملاء من وزارة الخارجية الأمريكية إعادة كتابة النص بالكامل. وبدأت عمليا مفاوضات دبلوماسية كاملة عن طريق المراسلة، واستمرت عدة أشهر، وكنت خلال ذلك ارسل للزميل الامريكي اقتراحاتنا وهو يعيدها لي مع التعديلات والمقترحات المضادة.

وبعد مناقشة طويلة وصعبة نوعا ما، تم الاتفاق أخيرا على نص محدد. وذهبت مع النص إلى الوزير. وقال بريماكوف بجفاف: «حسنا، ما الذي قمت بكتابته؟» وأخذ ورقتي واخذ قلما بيده وحينذاك فكرت برعب في نفسي: «إذا قام بريماكوف الآن بتعديل ما تم الاتفاق عليه بهذه الصعوبة فلن يكون هناك حتما اي عرض مشترك مع الامريكان. لن نتمكن من جديد تنسيق الموضوع...» ولكن كلمات الاغنية لاقت استحسان الوزير وطلب ادخال بعض التعديلات البسيطة فقط.

والآن، كان من الضروري التدرب على أداء النغم وكان من المفترض أن يقوم بذلك الوزيران بالذات وفي هذا الامر بالذات كانت المفاجأة – بريماكوف واولبرايت سيقوما على خشبة المسرح بشكل ثنائي باداء نغم العشيقين! وتنفيذ «البروفات» كان يمكن، بطبيعة الحال، فقط عند الوصول إلى مانيلا.

ولكن حالة واحدة هامة سهلت الموضوع الى حد كبير. كما هو معروف تكونت علاقات شخصية طيبة جدا بين مادلين أولبرايت ويفغيني بريماكوف. وكان بريماكوف يقدر فيها ليس فقط خصائصها المهنية بل والإنسانية أيضا – «عدم وجود الكلام المنمق» و«السلوك الطبيعي الجذاب». وقيم بريماكوف عاليا كذلك الصفات الفنية لدى الشريكة الامريكية. لقد كتب يقول وهو يتذكر الحفل الفني غير الرسمي بعد الدورة الرابعة للمنتدى الاقليمى لاسيان في يوليو 1997: «لقد انفجرت القاعة بالتصفيق عندما... قامت مادلين في كوالا لمبور، برفقة الوفد الامريكي، بتقديم أغنية مادونا مع نص كتب بشكل بارع خصيصا حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة!» (17).

لقد ولدت فكرة «امسيات» آسيان في وقت واحد تقريبا مع إنشاء المنتدى الإقليمي ARF الموجود منذ عام 1994. والهدف من الحفلات الموسيقية التي تنجز وتختتم اعمال المنتدى هو الاشارة الى الطابع غير الرسمي للمناقشات في إطار الرابطة.

وخلال الامسيات يقدم الوزراء واعضاء الوفود المقطوعات المضحكة والنكات مع التركيز خلال ذلك على المسائل التي تواجه آسيان، فضلا عن الخصائص الشخصية لبعض الحاضرين والمشاركين وخاصة الطريفة منها.

وعادة يستعد الدبلوماسيون لتلك «الامسيات» بقدر من الجدية لا يقل عن جدية تحضيرهم للجلسات والمباحثات. ويحضر المشاركون عادة معهم من بلادهم كل اللوازم الضرورية للامسيات المذكورة بما في ذلك الملابس.

ويؤكد كل الذين حضروا الامسيات السابقة على أن اداء الوفد الروسي يحظى دائما بنجاح كبير. وغالبا ما يقف الجمهور في طابور طويل بعد هذا الاداء لتهنئة «الفنانين» من وزارة الخارجية الروسية بالنجاح. وكان يفغيني بريماكوف أول وزير روسي يشارك في المقطوعات الفنية في هذه الامسيات. وحدث هذا في عام 1997 في كوالا لمبور» (16).

وتجدر الإشارة إلى أن شعبية «الامسيات» الفنية المرافقة لفعاليات المنتدى الاقليمى لاسيان ازدادت عاما بعد عام. وشارك فيها الوفدان الروسي والأمريكي عن طيب خاطر للغاية وبصدق كبير. ويتذكر الدبلوماسي الروسي الشهير والمستشرق أ. لسيوكوف، الذي ترأس في 1997-1999 الادارة الثانية لآسيا بوزارة الخارجية الروسية: «جاءتنا فكرة لتنظيم عرض مشترك مع الأميركيين وهو امر لا سابقة له في الدبلوماسية العالمية. ونالت الفكرة اعجاب وتأييد الشركاء الامريكان.

وقررنا معا أن الاساس الجيد للعرض يمكن ان يصبح مقطع من المسرحية الموسيقية المألوفة في برودواى «قصة الحي الغربي». ولكن الامر لم يكن في الموسيقى فقط. كان يجب تغيير كلمات الاغاني وجعلها مسلية ومقبولة لدى الجانبين الروسي والأمريكي. وهذا امر يدخل في السياسة.

الروسية تشهد ارتفاعا جديدا في هذا مجال من السياسة الدولية. ويجب القول إن المفهوم الروسي حول «العالم المتعدد الأقطاب» والنابع من سياستها لتوسيع نطاق شركاء روسيا، يتلاقى ويتناغم مع رغبة هذه الدول في انتهاج سياسة أكثر استقلالا عن الغرب، التي تمنحها قدر اكبر من حرية المناورة الاقتصادية والسياسية.

ويدل ويشهد على أن علاقاتنا الآن في ارتفاع، حتى التعداد البسيط للفعاليات التي تمت والمخطط لها على نطاق لم يسبق له مثيل بين روسيا و اسيان، وكذلك روسيا ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ، حيث تقع في مركز الاهتمام مسائل تعزيز التعاون وطبعا الاقتصادي في المقام الأول. على سبيل المثال، تم عقد اول جلسة للجنة التعاون روسيا – آسيان (06-05 يونيو، بموسكو)، واللقاء في اطار حوار روسيا – اسيان فى المنتدى الاقليمى لاسيان (29 يوليو، في كوالا لمبور)، ومؤتمر رابطة المصارف الاسيوية (1 – 7 سبتمبر، في موسكو)» (15).

ومع اسم بريماكوف يرتبط التقليد الذي ظهر في تلك السنوات، ونعني تنظيم حفلات فكاهية مصورة بمشاركة أعضاء الوفود الرسمية في نهاية دورات المنتدى الاقليمى لاسيان، وهي ظاهرة فريدة من نوعها حقا في عالم الدبلوماسية. طبعا يبدو بريماكوف بمظهره الخارجي في غاية الجدية بل وحتى الصرامة ولكنه في الواقع، كان محبا كبيرا للشعر وتأليف الأغاني، وكتب أبيات شعرية رائعة وكان يروي بمهارة الحكايات المختلفة ويحب اعمال الهواة الفنية. لقد اعجب كثيرا بفكرة تنظيم الامسيات الدبلوماسية وساهم في تحقيقها بشكل شخصي وحيوي.

في تلك الفترة اشرف مراسل وكالة «ريا- نوفوستي» م. تسيغانوف على تغطية السياسة الروسية في جنوب شرق آسيا وأحداث اسيان. وفى أحد تقاريره كتب: «يجب القول إن لقاء وزراء خارجية بلدان آسيان والدول الشريكة يعتبر المنتدى الدولي الوحيد الذي خلاله يقوم الدبلوماسيون ليس فقط بمناقشة القضايا الدولية والإقليمية الهامة ولكن يظهرون مهاراتهم في مجال مختلف غير متوقع تماما: كموسيقيين وممثلين ومطربين.

خاصة مسألة المحافظة على الدعم الإنساني من البلدان الأخرى وتطويره، وجذب الاستثمارات الأجنبية... وحل... مشاكل الطاقة الحادة في البلاد» (14).

❑

وبمشاركة مباشرة من بريماكوف تم منح الزخم القوي غير المسبوق لحوار الشراكة بين روسيا وآسيان، الذي علق يفغيني بريماكوف عليه الآمال الكبيرة. وفي أساس ذلك كان اليقين بأن آسيان تعتبر المنظمة الإقليمية هامة جدا، وان فلسفة هذه المنظمة ومصالحها قريبة بشكل موضوعي من روسيا ووانها تسعى بنفسها لتوثيق التعاون مع بلادنا.

وفي يوليو 1996، ترأس وزير خارجية روسيا وفد البلاد الى اللقاء الوزاري لرابطة آسيان في جاكرتا، حيث تم بشكل رسمي تنظيم حوار الشراكة بين روسيا والرابطة. وشارك الوزير كذلك في الاجتماع الوزاري لروسيا – اسيان واجتماعات المنتدى الاقليمى لاسيان في عام 1997 في كوالا لمبور وفي عام 1998 في مانيلا. وخلال هذه الفترة تم التوقيع على الوثائق الأساسية و تشكيل المؤسسات التي لا تزال حتى يومنا هذا تحدد طبيعة تعاوننا مع دول آسيان العشرة.

وفي 23 يوليو 1997 ظهرت في صحيفة «كوميرسانت» مقالة بعنوان «يفغيني بريماكوف توجه في رحلة آسيوية». وقالت الصحيفة: «وصل وزير الخارجية الروسي يفغيني بريماكوف اليوم الى سيئول، وهي الجهة الأولى لجولته في 3 دول في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. وبعد ذلك سيقوم بزيارة رسمية لماليزيا وتايلند، وفي العاصمة الماليزية كوالا لمبور سيشارك في المنتدى الاقليمى لاسيان، وفيه ستشارك وفود من دول اسيان وروسيا ومن الولايات المتحدة واليابان والصين وممثلو سبع دول اخرى من منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

وانطلاقا من المستوى الذي يجري خلاله استقبال الوزير الروسي في بلدان المنطقة ومن قائمة القضايا التي من المقرر مناقشتها، يمكننا أن نقول أن الدبلوماسية

العلاقات بين الدولتين تتطور ولكن ليس بالقدر المطلوب. ويبدو واضحا أن فترة التوقف في الزيارات المتبادلة على المستوى الرفيع، طالت.

لقد زار بريماكوف كوريا الجنوبية في يوليو عام 1997. وساهمت المحادثات التي جرت هناك في تعزيز التعاون الثنائي. وخلال الزيارة، تم التوقيع على اتفاقية لإنشاء «خط ساخن» – قناة للاتصال السري بين الكرملين والبيت الأزرق، وتم حل الخلاف بسبب الأرض التي كانت تتواجد عليها سفارة روسيا القيصرية في سيئول (تم افتتاح مبنى السفارة الجديدة في عام 2004). وجرت مناقشة جادة حول الوضع في شبه الجزيرة الكورية. وعلى الرغم من عدم التوصل إلى اتفاق بشأن الاقتراح الروسي حول إطلاق المحادثات السداسية بشأن القضية النووية في شبه الجزيرة الكورية (تعاطف الجنوبيون حينذاك مع الفكرة الأمريكية حول المفاوضات الرباعية) تأثر الكوريون الجنوبيون بالموقف الروسي البناء وباعلان بريماكوف عن استعداد روسيا لدعم أي تدابير تعزز الاستقرار في شبه الجزيرة الكورية. مرت ست سنوات، وفي أغسطس 2003 باتت «المحادثات السداسية» واقعا.

وبفضل جهود وزارة الخارجية تم إيلاء الاهتمام اللازم لموضوع تطوير العلاقات مع كوريا الشمالية وهي شريك قديم وهام لنا في منطقة الشرق الاقصى. ولكن للأسف، لم يتم حل «اللغز الكوري» حتى يومنا هذا. وبعد سنوات عديدة، وعند التفكير في العقدة الصعبة التي تشكلت في شبه الجزيرة الكورية، شجب بريماكوف السلوك غير المسؤول من جانب بيونغ يانغ وفي نفس الوقت لفت الانتباه إلى قلق كوريا الشمالية المشروع من عدم وجود ضمانات دولية لأمن هذه الدولة. وفكر بريماكوف كثيرا ايضا حول آفاق وتطور كوريا الشمالية نفسها. «يبدو من الخطأ الافتراض أن كوريا الديمقراطية لا تتغير. من غير المستبعد أنتعتمد هذه الدولة بعد فترة زمنية النموذج الفيتنامي للإصلاح مع الاخذ بالاعتبار الميزات والصفات المحلية. ولكن لكي يتم الانتقال الى الاصلاحات يجب توفير فترة من الاستقرار، التي يجب ان تتضمن بالطبع وضعا اجتماعيا واقتصاديا مستقرا. في مثل هذه الظروف تتسم بأهمية

لقد تبادل الوزيران ليس فقط ربطات العنق بل، وكان ذلكاهم بكثير، تم تبادل مكثف لوجهات النظر حول سبل تطوير العلاقات الروسية اليابانية. في ذلك الوقت بذل الطرافان جهودا كبيرة، وبفضل هذه الجهود والجو الجديد للثقة المتبادلة تم الاقتراب من حل مشكلة عقد معاهدة سلام.

❑

وواذا نظرنا الى الهند فرأينا ان موقفها اخذ يقوى ويتعاظم في «رادار» السياسة الخارجية الروسية في تلك السنوات. وفي مارس 1997، وبعد وقفة طويلة نسبيا، زار روسيا رئيس الوزراء الهندي د. جودا الذي اجرى في موسكو مباحثات ولقاءات إيجابية للغاية. وتم تنشيط العلاقات العملية ومن الجانبين تزايد الاهتمام في العلاقات التجارية والتعاون الاقتصادي. وبدأت صياغة برامج طويلة الأجل للتعاون العسكري التقني حتى عام 2010. واخذ التحسن يسود بسرعة اجواء العلاقات الروسية الهندية. وفي ديسمبر عام 1998، قام بريماكوف وكرئيس للوزراء بزيارة الهند التي وكما قال في مذكراته كان سيتم تعيينه فيها كسفير لروسيا في عام 1989 ولكن ذلك لم يحصل (13).

واخذت البذور التي زرعت في منتصف التسعينيات تعطي الثمار الغنية. وبدأت مرحلة جديدة في مجال تعزيز علاقاتنا مع الهند. واليوم، تتصف بأنها علاقات الشراكة الاستراتيجية المتميزة. وتعتبر الهند من المحالفين والزملاء الرئيسيين لروسيا في الشؤون الدولية، ووصل التعاون الاقتصادي والعسكري التقني بين الدولتين الى حدود غير مسبوقة من حيث الحجم والدينامية. ازدهرت الروابط الثقافية والإنسانية.

❑

وكان من الضروري إعطاء دفعة جديدة للعلاقات مع جمهورية كوريا. وبعد الزيارة التي قام بها الرئيس الروسي يلتسين الى سيئول في عام 1992 اخذت

كانت هناك حاجة لاتخاذ خطوات عملية من أجل تحريكها من وضع الجمود. «بدأت بالاتصال بيفغيني بريماكوف وبالرئيس بوريس يلتسين وحاولت إبلاغهما بضرورة تكثيف العمل على اتجاه الياباني. ويجب القول إن بريماكوف ويلتسين أدركا ذلك بشكل جيد، وبالتعاون مع القيادة اليابانية تحققت قفزة حقيقية، وبدأ حبنذاك» العصر الذهبي «لعلاقاتنا» (11).

وفي 2-1 نوفمبر 1997 حدثت أول قمة روسية يابانية غير رسمية وخلالها تم اعتماد «خطة يلتسين – هاشيموتو». وفي 19-18 أبريل 1998 عقد اللقاء الثاني بين يلتسين وهاشيموتو في منتجع كافانا.

وخلف كل ذلك كان عمل دؤوب ونشيط من جانب الدبلوماسيين، بما في ذلك على مستوى وزيري الخارجية. وفي فبراير 1998، زار موسكو وزير خارجية اليابان ك. أوبوتي، وفي نوفمبر من العام نفسه زارهذا الرجل روسيا مرة أخرى – ولكن هذه المرة كرئيس للوزراء. ولكن المحاور من الجانب الروسي كان نفس الشخص – بريماكوف، الذي شغل ايضا منصب رئيس الحكومة في ذلك الوقت.

أثناء زيارة فبراير التي قام بها ك.أوبوتي ظهرت قصة ربطات العنق، عندما دعا بوريس يلتسين خلال المحادثات في الكرملين، الوزيرين إلى إجراء مباحثات «بدون ربطات عنق» على غرار زعيمي الدولتين وللبدء بذلك اقترح تبادل ربطات العنق. ووفقا لشهادة بانوف الذي حضر ذلك، باشر الوزير الياباني بفك ربطة عنقه في حين بدا واضحا أن الفكرة لم تعجب بريماكوف. وكان واضحا للعيان سبب رد الفعل هذا. فالوزير الياباني كان من مواليد عام «الثور» وعلى ربطة عنقه كانت رسمة لقطيع من الابقار، أما ربطة عنق الوزير الروسي فكانت من النوع الفاخر، من منتوجات شركة مشهورة، ولذلك لم تعجبه بتاتا فكرة التبادل غير العادلة. ولكن كان من الصعب عليه معارضة اقتراح رئيس الدولة. وعلى الفور ارتدى الوزير الياباني الهدية، وهو ما دفع بريماكوف للقول: «ربطة عنقي تليق لك تماما ايها السيد الوزير...» (12).

إقامة الاتصالات وتعزيز العلاقات وتنظيم تبادل أكثر نشاطا في منطقة جزر الكوريل الجنوبية، وأكد على نية الجانب الروسي على العمل من أجل سحب القوات من تلك المنطقة. وأخيرا، دعا بريماكوف الى النظر في إمكانية أنشطة اقتصادية مشتركة في الجزر ودراسة موضوع تبعيتها من زاوية جديدة، وذلك في حالة ظهور الاهتمام من الجانب الياباني.

بشكل عام، وكما قال الوزير الروسي، هذا النشاط المشترك ستكون له اهمية ليست فقط اقتصادية بل وسياسية أيضا، وسيسمح بتقريب الدولتين نحو نوع من الحل الوسط بشأن مسألة ترسيم الحدود الإقليمية.

من جانبه وعد الوزير الياباني بأن بلاده ستدرس الاقتراح حول الأنشطة الاقتصادية المشتركة في الجزر، ولكن بشرط أن ذلك لن يكون بديلا للمفاوضات بشأن مشكلة الاراضي بل سيكون عبارة عن تدبير مؤقت يساعد في اقامة مناخ ملائم اكثر لاجراء هذه المفاوضات. ولم يثر هذا المسلك اعتراض الجانب الروسي.

وفي ربيع عام 1997 توجه الوزير بريماكوف من جديد إلى اليابان، وعقد لقاءات ومفاوضات جديدة ومحاولات لإيجاد حلول للمشاكل المعقدة، بهدف نقل العلاقات الروسية اليابانية الى مسار إيجابي.

ان هذه الجهود ساعدت و إلى حد كبير في كسر جليد سوء الفهم المتبادل والارتباك الذي ظهر بسبب المحاولة الخرقاء من جانب قيادة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية لحل مسألة إبرام معاهدة سلام مع اليابان في بداية التسعينيات من القرن الماضي. ويتذكر سفيرنا في اليابان في تلك الفترة أ. بانوف بعض التفاصيل ويقول: «منذ منتصف عام 1997 بدأ انتعاش العلاقات الثنائية. وانتقلت الى مرحلة من التطور في مجال الشدة والفعالية لم تشهدها قط العلاقات الروسية اليابانية، واستمر ذلك حتى نهاية عام 2001».

ويقول بانوف في كتابه «حول اليابان»: عندما تولى بريماكوف دفة القيادة في الخارجية الروسية نضجت ضرورة التغيير في العلاقات الروسية اليابانية. ولكن

في نفس المساء غادر الأمير تشارلز والحاكم العام البريطاني على متن اليخت «بريتانيا». وغادرت هونج كونج بعض الوفود الأجنبية، بما في ذلك وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت، التي التقى بريماكوف معها قبيل ذلك واجرى مباحثات ثنائية مفصلة. أما الوزير الروسي فبقي في هونغ كونغ.

الملفت للنظر أن اليوم التالي أي 1 يوليو، عندما استلمت الصين مقاليد السلطة في منطقة سيان غان الخاصة، كان الجو مشمسا بدون أية غيوم أو أمطار. في ذلك الصباح، عقد وزير الخارجية الروسي لقاءا وديا للغاية مع الرئيس الصينى جيانغ تسه مين. وخلاله شكر الزعيم الصيني، الضيف الروسي بريماكوف، الذي كان يصفه دائما بصديقه القديم، لمشاركته في الاحتفالات واعتبر ذلك على أنه علامة على دعم ودي تجاه بكين.

كمستشرق قوي كان بريماكوف يدرك بشكل جيد دور اليابان في العالم الحديث والحاجة إلى إيجاد سبل تؤدي الى تطورات إيجابية في علاقاتنا مع هذه الدولة المهمة جدا بالنسبة لنا. في السبعينيات من القرن الماضي اقيمت بفضل جهوده علاقات تبادل دورية بين معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية، والمجلس الياباني للشؤون الأمنية «Ampoken». وعبر هذا المجلس تيسر للدبلوماسيين الروس الاتصال بشخصيات مؤثرة في الحزب الديمقراطي الليبرالي، بما في ذلك ياسوهيرو ناكاسوني الذي وصفه بريماكوف «بالسياسي المتميز الذي لا مثيل له في اليابان الحديثة».

وفي اطار السياسة الروسية المتجددة في اسيا التي اقرت في عهد بريماكوف كوزير للخارجية تم إيلاء الاهتمام الكبير بالعلاقات مع اليابان. وكان من غير الطبيعي ان تكون لروسيا وبعد ان انضمنت الى قمم مجموعة «الدول السبع»، علاقات غير قوية مع احد اهم اعضاء هذا «النادي» – اليابان.

ولعبت دورا هاما في إحياء العلاقات الروسية اليابانية زيارة وزير الخارجية الروسي بريماكوف لليابان في منتصف نوفمبر عام 1996. وتميز حديث الوزير الروسي مع نظيره الياباني يو. إيكيدا بإبداء غاية الاحترام لليابان، وشدد بريماكوف على أهمية إعطاء دفعة جديدة للمفاوضات بشأن إبرام معاهدة السلام، وبالتالي دعا إلى

وفي 27-25 مارس 1997 استقبل بريماكوف تشيان تشى تشن في موسكو. وتوجه والزير الروسي مع الضيف الى قصر الضيافة التابع للوزارة في مشرينو. هناك تعم دائما اجواء الثقة والصراحة على الحديث بشكل اكبر ويمكن المزاح والضحك أكثر من المعتاد. أتذكر كيف رفع بريماكوف النخب التالي: «لنشرب من اجل تطوير الشراكة مع الصين. في هذا الصدد، نحن معكم على نفس العقيدة».

في احدى زيارات تشيان تشى تشن إلى موسكو تم في ختام المباحثات التي جرت في دار الاستقبال التابع للخارجية في شارع سبيريدونوفكا، تنظيم غذاء عمل. وخلال ذلك سرد بريماكوف على الضيف تفاصيل الحريق الذي وقع في الدار المذكورة وكيف ساهم الجميع في ترميمها وشكر الشركاء الصينيين على المساعدة التي تضمنت تقديم سجادة جديدة للقصر صنعت خصيصا في مصنع السجاد في تيانجين. من جانبه بدا تشيان تشى تشن معجبا جدا بما رآه وسمعه ورفع الكأس وقال بحماس: «لقد احترق القصر ولكنه، مثل طائر الفينيق، ظهر من جديد من الرماد. هذه القصة تشبه وإلى حد كبير قصة علاقاتنا التي شهدت الكثير من الارتفاع والهبوط». ولاحظ بريماكوف بمهارة: «لحسن الحظ لم تصل الامور الى الرماد».

في صيف 1997 مثل بريماكوف روسيا في مراسم نقل السيادة الصينية على هونغ كونغ. وكما جرى خلال الزيارات السابقة للوزير الروسي إلى الصين كان لي الشرف بمرافقته في هذه الزيارة أيضا. وصلنا في وفد صغير الى هونغ كونغ، التي كانت تعد الأيام المتبقية لها في ظل العلم البريطاني. وفي مساء يوم 30 يونيو اقام الانكليز حفلا جميلا لتوديع مستعمرتهم حضره الأمير تشارلز وجرت الفعالية تحت الهواء الطلق. وما أن ظهر الأمير، يرافقه الحرس وحملة المزامير على خشبة المسرح، حتى بدأ المطر بالهطول. ولم تنفع المظلات والمعاطف الواقية من المطر التي جهزها منظمو الاحتفال. وعلى الرغم من ذلك تابع بريماكوف، شأنه شأن جميع المشاركين في الحفل، الجلوس، وهو مبلل، في مكانه في صف الاول.

الشؤون الشرقية.عيون كوزيريف كانت تنظر إلى الجانب الأيمن، وعيون بريماكوف تنظر إلى اليسار».

وخلال رحلة الوفد الروسي برئاسة يلتسين الى بكين في أبريل 1996 تم في الطائرة بحث ومناقشة القضايا التي كان يجب أن تصبح مادة للمفاوضات في الصين. ووافق الرئيس الروسي على عرض بريماكوف حول تنسيق التعريف الرسمي الجديد للعلاقات الثنائية مع الجانب الصيني، والذي يقول أنها «علاقات شراكة متساوية في الحقوق ومفعمة بالثقة موجهة نحو التعاون الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين».

وتم من متن الطائرة ارسال برقية الى السفارة الروسية في بكين مع اقتراح لإدراج هذه الصيغة في الوثيقة الختامية للقمة الثنائية. وبعد إبلاغ الجانب الصيني بهذا الاقتراح عقد على الفور اجتماع للجنة الدائمة للمكتب السياسى للحزب الشيوعي الصيني وخلاله اتخذ قرار بقبول المبادرة الروسية. وكما اتضح لاحقا من نتائج الزيارة وتطور العلاقات خلال العقود اللاحقة هذه الصيغة لم تكن عبارة عن كلمات جميلة فقط» (10).

❑

وكانت علاقات بريماكوف جيدة مع نائب رئيس مجلس الدولة، وزير الخارجية الصيني تشيان تشى تشن. كان الرجلان من جيل واحد وجمعت بينهما الخبرة الحياتية وحب التحليل العميق للوضع الدولي ولكن ليس ذلك فقط. ويذكر أن الوزيرين كانا خفيفي الدم خلال المباحثات. ومن جانبي اتذكر زيارة بريماكوف الى الصين خلال فترة 19-17 نوفمبر 1996. حدث ذلك فور الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة، ودار الحديث خلال اللقاء عن المرشحين لشغل منصب وزير الخارجية الامريكي. وقال تشيان تشى تشن بعد التطرق الى كل الشخصيات المحتملة: «ومع ذلك، ربما يتم تعيين شخص غير متوقع تماما». ورد بريماكوف بالقول: «فعلا قد يحدث ذلك كما في روسيا».

ومن بين الذين لم يوافقوا على فكرة أداء إلقاء غورباتشوف كلمة أمام الطلاب كان بريماكوف. وفي الاجتماع الذي عقد في السفارة السوفيتية خلال اول يوم من زيارة الرئيس السوفيتي الى بكين اعلن بريماكوف انه ضد هذا الخيار. ويتذكر ف. إغناتنكو أن «بريماكوف كان أول من قال أنه لا يجوز القيام بذلك في أي حال من الاموال» (7).

وكتب في كتابه «لقاءات في مفترقات طرق»: «توجه الطلاب الى غورباتشوف بطلب القاء كلمة امامهم خلال احد التجمعات الجماهيرية. ولكننا، وأنا كنت من الذين الأكثر نشاطا في هذا الصدد، نصحناه بشدة بعدم القيام بذلك. وعلى الأغلب كنا على حق. تحت أي ظرف من الظروف، لو تحدث غورباتشوف امام الطلاب اعتقد أن مباحثاته مع دنغ شياو بينغ لم تكن مثمرة وودية بالشكل الذي كانت عليه» (8).

وتمسك بنفس الرأي نائب وزير الخارجية ي. روغاتشيف والسفير السوفيتي في تلك الفترة أو. اروبانوفسكي، والحمد لله انصت غوربتشوف الى نصيحتهم.

في سبتمبر 1995، زار مدير جهاز الاستخبارات الخارجية بريماكوف الصين وتمت دعوته وعلى عكس البرنامج المتفق عليه، الى تشونغنانهاى لمحادثات مع الرئيس الصيني. وبدلا من نصف ساعة كما كان مقررا امتد حديث جيانغ تسه مين مع الضيف لمدة ساعة. وحينذاك قال الزعيم الصيني: «يجب تطوير العلاقات الصينية الروسية على أسس جديدة لان ذلك ضروري جدا بالنسبة لبلدينا، وللعالم المحيط» (9).

وإلى بريماكوف بالذات تعود الصيغة التي تتميز بها العلاقات الروسية الصينية منذ عام 1996. وكان هو الذي اقترح على رئيس روسيا، الاتفاق مع الصين حول نقل العلاقات بين الدولتين الى مستوى الشراكة الاستراتيجية. وجرى الحديث عن ذلك في أجواء لم تكن بالمعتادة جدا. واليكم كيف يتذكر هذه القصة س. غونتشاروف الذي كان في تلك الفترة يعمبل بصفة موفد مستشار بالسفارة الروسية في الصين.

«في يناير عام 1996، حل يفغيني بريماكوف في مكان كوزيريف كوزير خارجية روسيا. في هذا الصدد، وخلال محادثات 25 أبريل 1996 ابلغ الرئيس يلتسين نظيره الصيني جيانغ تسه مين بوجود وزير خارجية جديد لروسيا وذكر أنه مختص في

لقد زار بريماكوف، في السنوات التي سبقت ذلك، الصين مرات عديدة وهو يشغل مناصب مختلفة: كعالم وعبر الخط البرلماني وكمدير للاستخبارات الخارجية الروسية.

ولكن، ربما، الحلقة الأولى الحاسمة التي تجلت فيها حكمة بريماكوف كانت في شهر مايو عام 1989 في بكين، خلال الزيارة التاريخية للرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف الى جمهورية الصين الشعبية، والتي أدت إلى اتفاقية بشأن تطبيع علاقاتنا مع الصين.

لننقل بعض ما تذكره شهود عيان لما جرى في تلك الفترة في العاصمة الصينية. «لقد حل صباح يوم 14 مايو وكان وسط بكين والشوارع المحيطة به تعج فعلا بالشباب. ووفقا للتقديرات التقريبية، اجتمع هناك في هذا الوقت حوالي مليوني شخص. وكانت تصرفاتهم ونشاطاتهم تقاد من قبلهيئة الاركان الطلابية وقيادة الروابط الشعبية الشبابية. وعبرالسفارة السوفيتية في بكين تم تسليم عدة طلبات لغورباتشوف حول اللقاء مع ممثلي الشباب والقاء كلمة في جامعة بكين. جاء في أحد الطلبات: «نحن في غاية الإعجاب بكتابك «البيريسترويكا و التفكير الجديد» ونعتقد أن زيارتك الى الصين ستعطي للشعب الصيني مفاهيم وأفكار جديدة بشأن تنفيذ الإصلاح والبناء في الدولة الاشتراكية...

وكان واضحا أن غورباتشوف يتعاطف مع الشباب الصيني. ورفرفت فوق الرؤوس في ساحة تيانانمين شعارات من نوع: «مرحى غورباتشوف» باللغتين الروسية والصينية، وكذلك: «في سبيل حريتنا وحريتكم!». وكان غورباتشوف على استعداد لمقابلة ممثلي الشباب الصيني» (5).

وفي وقت لاحق تذكر السفير السوفيتي في الصين في تلك الفترة أو. ترويانوفسكي: «من بين الذين رافقوا غورباتشوف كان هناك واحد أو اثنان من المتطرفين، وعرضا عليه التوجه إلى ميدان تيانانمن، ومن هناك القاء كلمة أمام المتظاهرين، ولكنه تم رفض هذه النصيحة المتطرفة» (6).

منطقة آسيا والمحيط الهادئ (في البداية كان أ. بانوف ومن ثم غ. كاراسين) وكذلك مدراء الإدارات الاسيوية في الخارجية الروسية.

وفي المحصلة تم تحقيق النجاح الملموس فعلا «على الجبهة الشرقية» لروسيا في فترة قصيرة نسبيا من الزمن. وكتب الدبلوماسي المستشرق الروسي البارز أ. بانوف الذي شغل منصب نائب وزير الخارجية لشؤون العلاقات مع الدول الاسيوية وقال: «مع حلول عام 1997 تمت صياغة وبدأ تطبيق المبادئ الأساسية للسياسة الروسية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. والهدف الرئيسي من هذه السياسة خلق «حزام» من حسن الجوار والثقة والأمن من أجل توفير ظروف مواتية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لروسيا، والتنفيذ الناجح لسياسة الإصلاح. ووضعت مهمة تنفيذ تطوير العلاقات الثنائية مع دول المنطقة الى أقصى قدر ممكن والسير فيها بعيدا بالقدر الذي يقبل به شركاء روسيا. وتم إيلاء الاهتمام الكبير جدا بربط روسيا بنشاطات كل المنظمات والمحافل الإقليمية» (4).

❑

ويمكن القول بدون مبالغة إن يفغيني بريماكوف قدم مساهمة كبيرة في تطوير العلاقات الروسية الصينية. وهو بالذات كان يترأس وزارة الخارجية الروسية عندما حدثت قفزة نوعية في العلاقات بين الدولتين، وأصبحتا زميلين استراتيجيين. في تلك السنوات بالذات تيسر وضع وترسيخ قواعد اتفاقية قانونية صلبة وقوية للتفاعل السياسي الروسي الصيني، وتحقق تقدم ملموس في مجال العلاقات العسكرية و التعاون العسكري التقني. وفي المسائل الأمنية جنبا إلى جنب مع كازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان انتقلنا الى اتفاقيات متعددة الأطراف هامة جدا. وطبعا لن يكون من العدل بتاتا القول إن الفضل في تعزيز العلاقات بين البلدين يعود كليا لشخص واحد، ولكن الاهتمام الذي اعطاه الوزير بريماكوف للصين كانت له قيمة كبيرة جدا فعلا.

المنظمات الإقليمية الناشئة». وكان يتميز دائما «بطاقة متفجرة وقدرة نادرة للعمل مع التركيز على المستقبل البعيد والفهم العميق لمصالح البلاد والقدرة على الدفاع عن هذه المصالح من خلال العلاقات الإنسانية الجيدة، حتى مع الخصوم» (3).

لقد مرعقدان منذ ذلك الوقت عندما تولى بريماكوف دفة السياسة الخارجية الروسية. لنحاول رمي نظرة منفتحة واسعة على ما تم القيام به على مر السنين في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ونرى ما أسفرت عنه نتائج هذه الجهود.

مع استلام بريماكوف لوزارة الخارجية تغيرت الكثير من الأمور في سياستنا الخارجية. أحد التغييرات الرئيسية المبدئية تلخص في اعادة تنظيم العلاقات بين روسيا و دول آسيا والمحيط الهادئ والزيادة الكبيرة في الاهتمام نحو الاتجاه الشرقي للدبلوماسية الروسية.

وربما يجب التذكير أن عام 1996 لم يكن فترة بسيطة في حياة روسيا. لقد استمر النزاع الدائر في الشيشان ودخلت البلاد حملة الانتخابات الرئاسية وكانت هناك مشكلات اقتصادية كثيرة. وتراكم العديد من المشاكل في العلاقات مع الغرب الذي اعتمد خط توسيع الناتو نحو الشرق مع تجاهل مصالح روسيا. ولكن هذا لم ينف السعي الى بناء العالم المتعدد الأقطاب الذي يلعب الاتجاه الاسيوي فيه الدور الهام، بل على العكس جعله أكثر آنية.

وباشرت قيادة وزارة الخارجية العمل النشيط في هذا المجال. وخلال السنة الأولى من وجوده فيمنصب وزير الخارجية سافر بريماكوف عدة مرات في زيارات لدول آسيا والمحيط الهادئ، واستقبل في موسكو عشرات الوفود من الدول الآسيوية. وفي أبريل، رافق بريماكوف الرئيس بوريس يلتسين خلال زيارته الى الصين. وفي يوليو زار اندونيسيا، حيث شارك في اجتماع وزراء خارجية الاسيان ودورة المنتدى الاقليمى لاسيان، وزار في نوفمبر الصين واليابان ومنغوليا. ومن الصعب فعلا حساب عدد الزيارات التي قامت بها وفود من البلدان الآسيوية في هذه الفترة الى موسكو، وكذلك عدد اللقاءات والمباحثات التي اجراها الوزير ونائباه لشؤون

واسعة للعمل في الشؤون الدولية. وبدون شك كان قدوم بريماكوف الى وزارة الخارجية بمثابة النذير بحدوث تغيرات مقبلة.

في أساس النهج المتجدد للسياسة الخارجية الروسية وضع مذهب العالم المتعدد الأقطاب ومبادئ الاحترام المتبادل للمصالح والتعاون على قدم المساواة والمنفعة المتبادلة، ورفض حق أي دولة في الهيمنة المطلقة وإملاء ارادتها على الاخرين، وتعزيز الدور المركزي للأمم المتحدة.

وخصص مكان هام في السياسة الخارجية الروسية الجديدة لتعزيز وزيادة التعاون مع مجموعة واسعة من الشركاء، بما في ذلك بمنطقة آسيا والمحيط الهادئ. واستند هذا «الاتجاه الشرقي» على فهم عميق للمصالح الوطنية الأساسية لروسيا وعلى عمل أجيال عديدة من دبلوماسيينا وعلى خبرة وانجازات كبيرة كانت متوفرة لدينا. ولن يكون غلطة القول أن يفغيني بريماكوف بالذات قام بصياغة هذا النهج في أواسط التسعينيات من القرن العشرين.

❑

هنا يجب علينا أن نعود قليلا إلى الخلف ونقوم باستطراد تاريخي. لقد بدأ كل شيء عندما تكهن وتوقع بريماكوف في دراساته التاريخية، الكثير من الامور والنقاط التي باتت لاحقا واقعا حقيقيا. وكما ذكر العالم المختص بالشؤون الهندية ف. ايفانوف الذي عمل تحت إشراف بريماكوف في معهد الدراسات الشرقية ومعهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية «كان بريماكوف احد أشد المؤيدين الثابتين والصلبين لتحول البلاد إلى الشرق، وكان المبادر في البحث عن حلول فعالة للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية في مناطق روسيا الشرقية. لقد ترأس الاكاديمي بريماكوف معهد الدراسات الشرقية ومن ثم معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولي في أكاديمية العلوم الروسية وشارك خلال ذلك بشكل فعال جدا في الحوار مع الشركاء الصينيين واليابانيين ومع مراكز البحوث العلمية في فيتنام والهند والولايات المتحدة ومع

وفي بداية قيام الدولة الروسية الجديدة اعلن ان أحد الأهداف المركزية لدبلوماسيتنا تتلخص في تطوير «شراكة متكافئة مع الدول المجاورة الديمقراطية والمتقدمة اقتصاديا على أساس التمسك بقيمنا ومصالحنا عبر التعاون الحقيقي وليس الانتقال من المواجهة إلى الطوباوية» (1). وجرى التأكيد على أن المجموعة المتطورة صناعيا في الغرب معنية بالعثور على مسالك مشتركة مع روسيا الديمقراطية في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها. من كل هذا تم الاستنتاج أنه يجب على «روسيا ان تسير بحزم على نهج تطوير العلاقات مع تلك الدول التي يمكن للتعاون معها أن يساهم ويساعد في حل المهمات الأولوية في النهضة الوطنية، وخاصة مع الدول المجاورة – الدول الغربية القوية اقتصاديا والمتقدمة من الناحية التكنولوجية ومع البلدان الصناعية الجديدة في مختلف المناطق. والفهم المشترك للقيم الأساسية للحضارة العالمية، والمصالح المشتركة في القضايا الرئيسية لتطور الوضع العالمي تقارب روسيا مع مجموعة هذه الدول بالذات» (2).

لكن ذلك لم يحدث. لقد اعتبر الغرب نهاية الحرب الباردة انتصارا ساحقا له واتخذ لنفسه القرار بإقامة العلاقات مع روسيا – وريثة الاتحاد السوفياتي – كعدو أصيب بالهزيمة. ولم تتحق آمالنا في ايجاد صفة جديدة للشراكة المتساوية.

وفي ظروف تركيز حلف شمال الاطلسي على التوسع دون اخذ اي اعتبار لمصالح روسيا بدت واضحة للعيان بشكل خاص أزمة نهج السياسة الخارجية السابقة. في هذه الحالة، بدأت القيادة الروسية تدرك، وكذلك المجتمع، مدى الضرر من التركيز على الاتجاه الغربي وحده في السياسة الروسية لأن ذلك من شأنه أن يقوض أمن البلاد القومي ويثبت التخلف الاجتماعي والاقتصادي ويعزز الاعتماد على الغرب ويجعل روسيا هامشية في الشؤون الدولية.

في أوائل عام 1996، تم تعيين يفغيني بريماكوف كوزير جديد للخارجية في روسيا – شخصية ضخمة معروفة ورجل دولة مقتنع يتمتع بآراء واسعة وصلبة وله خبرة

«الاتجاه الشرقي» الذي رسمه بريماكوف

كيريل بارسكي
سفير روسيا المفوض
وفوق العادة في تايلاند
rusembbangkok@gmail.com

تستدير روسيا في السنوات الأخيرة، أكثر من أي وقت مضى، بثقة ونشاط نحو الشرق – نحو منطقة آسيا والمحيط الهادئ. ومع ذلك، لا يوجد امر بعيد عن الحقيقة أكثر من التأكيد على أن الاستدارة الى الشرق كانت رد فعل على العقوبات الغربية. هذا النهج يتسم بالطابع المبدئي. لقد تمت صياغته نتيجة الادراك العميق للمصالح الوطنية لروسيا كدولة اوراسية ودولة من منطقة اسيا والمحيط الهادئ، وبالمعنى الاوسع كدولة تمتد من اوروبا الى المحيط الهادئ. وعند جذور هذا النهج وقف يفغيني بريماكوف، الذي شغل في فترة 1996-1998 منصب وزير الخارجية الروسية.

ومع وصول بريماكوف الى وزارة الخارجية كانت الافكار التي وضعها وزير الخارجية الأسبق اندريه كوزيريف في نهج السياسة الخارجية الروسية عام 1993 قد استهلكت نفسها الى حد كبير. وللأسف لم تصمد أمام اختبار الزمن، المفاهيم التي وردت في مذهب السياسة الخارجية الروسية في 1993 وتحطمت عند الاصطدام بالواقع القاسي للسياسة الدولية بعد فترة المواجهات. ومع حلول منتصف التسعينيات بات واضحا أن العقيدة المذكورة وممارسة تطبيق السياسة الخارجية تحتاجان لتغييرات جوهرية.

15. انظر: **يانوفسكي ك.** اليهودية والمسؤولية الاجتماعية لرجال الاعمال. تقرير في معهد «المختبر الموسكوفي». 10 مارس 2004.
16. انظر: **ايلون م.** القنون اليهودي المجلد 2. القدسن.1998.ص300.
17. نفس المصدر . ص 303.
18. نفس المصدر ص304.
19. نفس المصدر. المجلد1 القدس. 1998 . ص 195-194.
20. **فوروبيوفا ي. وإيلييف ر.** الوضع القانوني الدستوري للإنسان والمواطن في دولة اسرائيل. اصدار جامعة موسكو الحكومي للعلاقات الدولية، 2009 . ص 28.
21. بالتفصيل عن ذلك انظر: **نويبيرغر ب.** الدين والدولة والسياسة. تل أبيب: جامعة اسرائيل المفتوحة، 1977. ص 192-110.

كلمات البحث: اليهودية، حقوق الانسان، الوصايا العشر، التلمود، التوراة، إعلان حقوق الانسان والمواطن لعام 1789 والدين.

Международная
ЖИЗНЬ

وسائل النقل العام يوم السبت وأيام الاعياد الرسمية (من وجهة نظر التقاليد اليهودية ، والتعقيد في عمليات دفن غير اليهود في المقابر المشتركة وغيرها من المشاكل التي لا تتسم بها الدول الديمقراطية الليبرالية الحديثة، حيث عادة يفصل الدين عن الدولة (21).

وتجدر الاشارة إلى أن مجموعة القوانين والتقاليد والإرشادات الدينية اليهودية الأرثوذكسية الموجب تطبيقها لمن يتمسك بالديانة اليهودية «هالاخاه» غير موجهة إلى الذيم لا يؤمنون بالرب ولا يلتزمون بحرمة السب ويتجاهلون القوانين اليهودية حول نقاء الأسرة ويتناولون الطعام غير كوشير، وهؤلاء يشكلون الاكثرية بين سكان إسرائيل حاليا. وتتعارض تعاليم الأرثوذكسية اليهودية مع التوجهات المستقبلية للنساء الإسرائيليات المعاصرات اللواتي أصبحن أعضاء كاملي العضوية في المجتمع، على قدم المساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات.

المراجع:

1. اقتباسات من اليهودية والمراجع الدينية الاخرى وردت من كتاب «Judaïsme et droits de l'homme». Paris: Des Idées Et Des Hommes, 2007.
2. Eisenberg Josy. Une histoire des Juifs. Paris: Bibliothèque de culture historique, 1970. P. 18
3. Judaïsme et droits de l'homme… P.19.
4. Ibid. P.6
5. Ibid. P.25
6. Benamozegh Elie. Morale juive et morale chrétienne. Paris: Edition la Baconniere, 1946. P.150
7. Judaïsme et droits de l'homme… P.19
8. Ibid. P.14
9. Baruk Henri. Civilisation hebraique et science de l'homme. Paris: Edition Ziraton, 1965. P.58
10. Judaïsme et droits de l'homme… P.56
11. Bulletin de l'Association pour la fidélité a la pensée du président René Cassin. Paris: Conseil d'Etat, Palais Royal, 1983. P.17
12. Judaïsme et droits de l'homme… P.30
13. **تشلينوف م.** روسيا وإسرائيل: المسيحية الأرثوذكسية واليهودية. محاضرة في المؤتمر الدولي حول مشكلات الحوار الديني المشترك. معالي اهاميشا. إسرائيل. ديسمبر 1998.
14. أنظر: Forta Arye. Judaïsm. Heinemann Educational Publishers, 1995. P.114-115.

القانونية، أي إمكانية تعايش النظم القانونية المتعددة داخل الهيكل السياسي الواحد (20).

وبالتوازي مع هذه المناقشات، حاولت مجموعة من المحامين والمثقفين العلمانيين تطبيق الشريعة اليهودية في حياة المجتمع اليهودي ولكن على شكل قانون علماني. ووفقا لهم كان يجب على الأشخاص الذين يقودون الجالية أن يطوروا التشريعات اليهودية مع تكييفها مع الواقع المتغيرة في عملية صنع القرار القضائي. ومع الاخذ بالاعتبار أن قادة الجاليات اليهودية كانوا في غالبية الحالات من الأشخاص المتدينين فان المبادرين إلى «علمنة» التشريعات اليهودية اقترحوا تكليف المحامين العلمانيين بتنفيذ مواصلة التكييف لتجنب تأثير المعتقدات الدينية على هذه التشريعات. ولكن هذا المنهج قوبل بالرفض من جانب القادة الدينيين والقيادة الصهيونية.

ولكن يثير الاهتمام أيضا النظر في استخدام الأفكار الإصلاحية لهذه المجموعة من المتحمسين في إسرائيل الحديثة، حيث تتكون نخبة المؤسسة الدينية من الأرثوذكسيين والمتدينين الذين يملكون الاحتكار الكلي والفعلي لتفسير المسلمات اليهودية. في واقع الامرليست اليهودية مجرد دين، ولكنها أيضا أساس الثقافة. وفقا لذلك نرى أن الشريعة اليهودية ليست فقط مواعظ وأوامر ربانية يفسرها رجال الدين. هي يمكن ويجب أن تتطور تتجدد خلال عملية تكييفها مع الواقع الحديث. وهذه النظرة بالذات تجاه الشريعة اليهودية تبدو مثمرة اليوم.

وواقعة أن اليهودية لعبت تاريخيا دورا هاما في تطوير مفهوم حقوق الإنسان، لا تنفي حقيقة أن في الأوساط الدينية في اسرائيل اليوم تمثل المعارضة الرئيسية لتطوير وتعزيز التشريعات المتعلقة بحقوق الإنسان. وتسبب ضغوط القوى الدينية بظهور أكثر المشاكل المتعلقة بحقوق الانسان حدة في المجتمع الإسرائيلي. ويكفي أن نذكر في هذا السياق، منع عقد الزواج المدني بين اليهود وعدم وجود

والتقيد بالطقوس وأداؤها. اما غالبية القوانين فهي موجهة لضبط الحياة اليومية وتسوية مجموعة كبيرة من الخلافات. ومثل القانون المسيحي خلال فترة تألقه، وكذلك نظم القواعد واللوائح التي وضعها الإسلام والهندوسية، يشمل القانون اليهودي تقريبا كل جوانب الحياة الاجتماعية. ولكن إذا كانت القوانين الكنسية والتشريعات الإسلامية والهندوسية وضعت وترسخت تحت إشراف السلطة السياسية المهيمنة، فان تشكيل الشريعة اليهودية جرى خلال الفي السنين دون دعم من هيكل مماسل للسلطة.

وحتى في أوقات التناثر والشتات عندما كانت الجاليات اليهودية تشكل فقط مجموعة حكم ذاتي نسبي داخل أنظمة الدولة في البلدان التي يقيم فيها اليهود، كان افراد الجالية يسترشدون ويتقيديون خلال حل الخلافات بالقانون اليهودي وليس بقوانين الدول المضيفة لهم. ويفسر هذا التفضيل باعتبارات دينية والشعور بالاحترام العميق تجاه الشريعة اليهودية وتجاه مفسريها الذين ساهمت قراراتهم إلى حد كبير في الحفاظ على احترام الذات وبث الروح الحيوية داخل الجالية. مما لا شك فيه، ان هذا الهيكل السياسي القانوني أدى في نواح كثيرة الى بقاء الأمة اليهودية كمجتمع مستقل. وطبعا كان الأساس الديني للشريعة اليهودية السبب الرئيسي للمكانة العالية التي كانت تتمتع بها هذه التشريعات والقوانين في الجاليات اليهودية. وظهر ذلك بشكل ساطع وواضح جدا في الفترة عندما كانت الديانة العامل المهيمن في حياة الغالبية العظمى من الناس. ولكن بالإضافة لذلك تفسر مكانة القانون اليهودي السامية في ان الجالية كانت ترى فيه آلية مثالية صقلها الزمن للعثور على حلول عادلة ومنصفة للنزاعات والخلافات القانونية.

واليوم، يعتبر القانون اليهودي بمثابة المثال الشاهد على المنظومة القانونية التي صمدت على الرغم من عدم وجود جهاز الدولة الذي يدعمها. وعند النظر بشكل أوسع على المشكلة نرى ان بقاء الشريعة اليهودية تثبته إمكانية التعددية

كيف يمكن ان يكون لديهم مثل هذا الحق؟ إلا يوجد في ذلك عدم تطابق بين القانون الذي يفرض نموذجا محددا للعلاقات بين الناس وبين مصطلح «الإنسان» الوحيد من حيث نوعه؟ قال بونفو، السفير الفرنسي السابق في القدس: «كتابة كلمة «إنسان» بحرف كبير؟ أليس ذلك بالشيء الزائد الذي يضع الإنسان في مقام واحد مع القيم الروحية، بمعنى العالم والخلق؟».

وعلى الرغم من مثل هذا النوع من عدم المساواة والازدواجية، يبقى الاهتمام المعاصر بحقوق الإنسان يحمل في ذاته معنى. «انسان القرن العشرين لم يعد يحتاج بعد إلى الانتظار والتفكير قبل التصرف... ألم تصبح مفردات حقوق الإنسان بمثابة العلاج في المقام الاول لاستعادة التوازن البسيكولوجي بين معاصرينا؟»

مع مرور الوقت، تغير بشكل جذري مكان ودور اليهودية في المنظومة القانونية التي استرشد بها اليهود (في دول الشتات، ومنذ عام 1948 في دولة إسرائيل). الشريعة اليهودية الحديثة هي النظام القانوني الذي تطور على مدى آلاف السنين. في البداية، استند القانون اليهودي فقط على أحكام منفردة من التوراة، ولكن مع مرور الوقت جلبت الحياة في أرض إسرائيل التغييرات الضرورية التي تمليها احتياجات المجتمع اليهودي. ولكن القانون اليهودي كمجمع للقوانين والتشريعات تشكل نهائيا في الشتات. في بعض الدول، كان التشريع اليهودي يعتبر بمثابة القانون الذي عمل في إطار الحكم الذاتي السياسي والثقافي الذي منحته السلطة لليهود، أما في الدول الاخرى فكان ينظم العلاقات داخل المجتمع اليهودي بشكل غير رسمي. وعلى غرار الأقليات القومية الاخرى ، يفضل اليهود تسوية النزاعات وفقا لتقاليدهم الخاصة دون تدخل من السلطات الرسمية.

لقد تكونت هذه التشريعات والقوانين في أثناء حياة عدة أجيال. وبعضها يحمل الطابع الديني البحت، على سبيل المثال الالتزام بالوصايا الدينية والمحرمات

«حقوق الإنسان». في القانون الروماني، كان هناك المواطن والشخص بدون حقوق أي العبد.

والفهم الحديث لكلمة «إنسان» تأخذ بداياتها من التراث التوراتي. وتثير الاهتمام كذلك المصادر العبرية القديمة للقانون الحديث، التي درسها العديد من العلماء ومن بينهم ن. ايزاكس و ب. وويل. بالإضافة لذلك نشاهد ان اعمال غ. شوليم تسلط الضوء على التأثير الواضح والحاسم للفكر اليهودي في عصر النهضة.

ويرى ز. فرويد في ظاهرة الشمولية (التوتاليتارية) تراجعا غير عقلاني إلى الماضي البعيد، الى عصور ما قبل التاريخ. ولدى تحليل الاشتراكية القومية الألمانية توصل فرويد إلى استنتاج مفاده أن قاعدة الدكتاتورية النازية، التي تلعب فيها معاداة السامية في الرايخ الثالث دور القوة الدافعة الرئيسية، هي الغرائز والميول القديمة (الكراهية، النرجسية، الرغبة في القتل، ارتكاب زنا المحارم، لتمرد ضد الآباء). وفي هذا الصدد، كان اليهود الهدف الرئيسي لعدوان الجماهير، التي رأت في اليهودية مصدر التوحيد، الذي أضطرت شعوب أوروبا للخضوع له بالقوة.

ومن الضروري القيام مرة أخرى بتوضيح قيمة «المسلك اليهودي» تجاه حقوق الإنسان: احدى خصائص تقاليدنا تتلخص في أننا لا بد أن نسمي الأشياء بأسمائها.

إن العالم اليهودي يبنى حول التشريعات: نتحدث عن حقوق الإنسان، وليس فقط عن كرامة وقيمة الشخصية، وهو ما يشهد عن التوافق في الآراء بشأن أن معايير القيم يجب أن تكون قواعد قانونية لتحقيق قدر أكبر من الكفاءة. والقانون ووسائله توحد في ذاتها الادب والسلطة وتتقاطع فيها الأخلاق والسياسة.

القي ظل خسيس على حقوق الإنسان! فاذا كان الناس وعند فرض الأحكام القانونية اللازمة لصياغة فكرة ملموسة عن القضاء الجماعي، يخضعون للرب

والفكر اليهودي التقليدي الإنساني في طبيعته، والذي للأسف، غالبا ما يتم تجاهله، يجسد في ذاته القاعدة العقلانية والأخلاقية والإنسانية للحق في السلام والحق في التصرف بكرامة وبشكل نبيل، حتى تجاه العدو، وحتى في أوقات النزاع، وهذا الفكر يشكل الاساس الذي لا يمكن إنكاره لكل «أجيال» حقوق الإنسان.

ويجري الحديث في التلمود عن الاختلافات بين الحروب. ويرى أنه ليس من الواجب على أبناء إسرائيل المشاركة في الحروب التي تخاض من أجل التوسع الإقليمي أو السرقة. ولكن يجب عليهم الانضمام الى الجيش اذا ظهرت الحاجة لحماية الامة، القيام «بحرب مقدسة» ضد الغزاة.

وجرى الإعلان في الكتاب المقدس مرارا وتكرارا عن ضرورة حماية النساء والأطفال والممتلكات في حالة النزاع (وقبل مهاجمة العدو من الضروري محاولة اقناعه وجذبه نحو السلام) واحترام حياة وحقوق الأجانب، والتعامل معهم كأخوة، وابداء السخاء نحو العبيد.

وإذا كنا نؤمن بأن مراعاة حقوق الإنسان يسبقها حق الاحتجاج على الإساءة والظلم وعدم المساواة في الحصول على الرعاية الصحية أو التعليم، فيجب التذكير أن عملية تنظيم «كحال» بحد ذاتها تعني احترام هذه الحقوق. (كحال كان الهيكل التنظيمي الثيوقراطي في مجتمع إسرائيل القديمة وفقا للمخطوطات الماسورتيه من الكتاب المقدس، ملاحظة المترجم). والكحال هو المكان الذي يمكن للناس الاحتجاج فيه وسيجري الانصات لصوتهم.

إن عقيدة حقوق الإنسان لم تنل الطابع العالمي الشامل إلا في الآونة الأخيرة. ولكن فكرة الحاجة لحماية الحريات الفردية هي قديمة أكثر مما نعتقد. وهي تأخذ اصولها ليس من البيانات والإعلانات في القرن الثامن عشر، والتي من أشهرها الفرنسي والأميركي، وليس من الجمهوريات القديمة في العصور القديمة. في القانون القديم، ولا سيما في نظامه الأكثر تطورا - نظام التشريع الروماني، لا يوجد مفهوم

عندما شغلت الموقف الرائد في القرن الرابع بفضل الجهود المبذولة من جانب الامبراطور قسطنطين والامبراطور ثيودوسيوس، كانت تخشى انتشار نفوذ اليهود بين المسيحيين.

وفي القرون الوسطى تعرض اليهود المقيمين في أوروبا لمعاداة سامية قاسية بسبب عدم مصالحتهم الدينية. ولكن طابع معاداة السامية هذا لم يتسم بالطابع الدائم. في أوقات الأزمات والغموض كان اليهود يتحولون إلى «كبش فداء». ومع ذلك، فإن الكنيسة والسلطات العلمانية تركت لهم إمكانية الدخول في الدين المسيحي الكاثوليكي. هذا هو الفرق الرئيسي بين معاداة اليهودية في القرون الوسطى ومعاداة السامية الحديثة.

معادة السامية الحديثة (القرن التاسع عشر- القرن العشرين) تهمل الجانب الديني وبخلاف الوضع الحقيقي تمنح العرق اليهودي عددا من الصفات الخاصة، مثل حب المال وانعدام المشاعر الوطنية. لقد وضعت المقدمات لمعاداة السامية هذة، في اسبانيا في مطلع عصر النهضة، عندما منحت اهمية كبيرة جدا لما يسمى «بتطهير الدماء».

وباستثناء إسبانيا، أظهرت بقية أوروبا وحتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، التسامح الكبير تجاه الأقلية اليهودية. واستمر ذلك حتى الثمانينيات من القرن التاسع عشر وانتشار الأيديولوجية التوتاليتارية بين البرجوازية المثقفة. وبات بنك روتشيلد، الذي تم افتتاح فروعه في لندن وباريس وفيينا وفرانكفورت يمثل للقوميين والاشتراكيين، تجسيد الكسموبوليتية اليهودية التي تشرب دماء الشعب.

ويحتوي الكتاب المقدس والتلمود على العديد من الأحكام المتعلقة بالحد من حرية التعبير، ولكنها تبقى من القيود الأخلاقية والدينية. وأهم قيد على حرية الكلمة، والأكثر أهمية من الناحية الأخلاقية، عدم الافتراء. «لن تنشر الافتراء بين شعبك».

يكتمل إلا بوجود احدهما مع الاخر. والمرأة لم تخلق لأجل الرجل حصرا بل لها واجباتها الخاصة بها.

وبالنسبة لليهود فأن الخلاص الشامل لا يرتبط مع اليهودية فقط، ومع الدين بشكل عام. الخلاص متاح للجميع طالما كانوا يلتزمون بمبادئ العدالة. يقول التلمود إن الوثنيين الذين يعيشون وفقا لمبادئ العدالة يمكنهم أن يأملوا بمكانهم في العالم المستقبلي.

في نهاية القرن الثالث عشر أتخذ اليهود قرارا هاما حول ضرورة مرافعة الطرفين خلال المحاكمة. والقرار يقول إنه لا يجوز إصدار اي حكم دون سماع الأدلة من كلا الجانبين. وفقا للقرار صادر عن الحاخام حاييم وعن قادة الجالية في فيينا: «كل قاض يتخذ قراره دون أن يسمع لكلا الجانبين واستمع فقط لطرف واحد يقول: اسمعني ومن ثم اصدر قرارك الذي تعتبره ضروريا، هذا القاضي لن ينظر في أي قضية» (18).

وبرر نفس المبدأ من قبل الفيلسوف اليهودي البارز موسى بن ميمون وكاتب القوانين رامبام (1138-1204): «يجب في كل الامور المساواة بين الطرفين المتقاضيين. ولا يجوز عندما يسمح لطرف بالتحدث بحرية وينصح الطرف الاخر بالحديث باختصار. لا يجوز أن يجري الحديث مع طرف بودية وبهدوء، ومع الآخر بشكل قاس وصارم. يجب أن تكون هناك مساواة بين كل من المتقاضين في عيون وقلوب القضاة» (19). وكان في عيون معلمي القانون اليهود في القرون الوسطى من المهم جدا ضمان عدالة الإجراءات القضائية كما ورد في الكتاب المقدس: «ونفذ العدالة والحق في عيني الرب» (سفر التثنية 6، 18).

تمت صياغة مصطلح «معاداة السامية» في عام 1879 من قبل الصحفي الألماني ويلهلم مار للإشارة إلى الكراهية تجاه اليهود. وتمتد جذور أول مظاهر العداء لليهودية الى الأيام التي سبقت ظهور المسيحية في روما واليونان. والمواجهة بين المسيحيين واليهود تعود إلى القرن الاول الميلادي. والكنيسة

حقوق فئات مختلفة من الناس. وينص التلمود كذلك على ضرورة المساواة بين الرجال والنساء. «وهذه القوانين التي ستعطيها لهم» وهو ما يعني أن المرأة مساوية للرجل امام كل قوانين التوراة. على سبيل المثال اصدر الحاخام جرشوم ميور هاغول (التاريخ التقريبي للحياته عام 960-1028) أصدر قرارا بمنع طلاق الرجل لزوجته رغما عنها وضد ارادتها ورغبتها. وأعلن أن مثل هذا الطلاق غير ساري المفعول. وبهذا الشكل فرض هذا الحاخام قانون مساواة المرأة مع الرجل: الرجل يطلق زوجته، إذا كان يريد، وكذلك تصبح المرأة مطلقة فقط إذا رغبت بذلك (16). وأصدر كل من مئير بن باروخ (Maharam) من روتنبورج (1220-1293) والحاخام بيرتس بن إلياهو من كوربل قرارا يمنع بشكل صارم على الزوج ضرب زوجته. وكل زوج مذنب في ذلك كان مهددا بالعزل والنبذ من المجتمع (بمقاطعته). وجاء في قرار الحاخام بيرتس كذلك أنه يجب تقديم الدعم المادي للمرأة المضطرة لترك دار زوجها لمعاملته السيئة لها (17).

ويستند مفهوم الشريعة اليهودية تجاه المرأة الى اساس الفصول الثلاثة الأولى من سفر التكوين، والى الفكرة حول الدور المختلف للرجال والنساء، وهو امر يرتبط بالاختلافات البيولوجية. وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الأدوار، نجد أن مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة قائم أمام القانون.

وفي التوراة، نجد العديد من الأحكام المتعلقة بحقوق المرأة. في المقام الاول نرى في كل القوانينسعيا للتأكيد على دور المرأة كزوجة وأم. ومن قديم الزمان تم الاقرار بحق المرأة في الحصول على مهنة ، وهو ما يؤكد، ووفقا للملك سليمان، على صورة المرأة المثالية.

وفي التقاليد اليهودية، النساء لسن متساويات مع الرجال. فهن مختلفات ويشغلن المركز المتوازي وهو ليس بالمساوي لمركز الرجل بل يإكمله. والمرأة خلقت ليس بسبب الرجل بل بشكل مواز له. ووجود المرأة أو الرجل لا

الآباء»). وتؤكد اليهودية أن ضرورة الحياة البشرية تكمن في أن كل إنسان يساهم في تحقيق قصد الرب للحصول على مكان بين مخلوقات العالم «السفلي». ولهذا السبب، تشجب اليهودية وتدين بشكل قاطع الانتحار وقتل المريض الميؤوس من وضعه. والجنين لديه الحق في الحياة، لأن كل طفل حديث الولادة لديه أيضا دوره في المخطط الرباني. وتسمح اليهودية عموما بالإجهاض فقط إذا كان هناك خطر على حياة الأم.

ومن المعلوم أن وصايا أبناء نوح تمنع السرقة. وفقا للقانون اليهودي هذا يشمل ايضا الاختطاف (مثل احتجاز الرهائن). وبالتالي هذا الحظر يؤكد حق الانسان والمؤسسات المختلفة على امتلاك الاملاك وكذلك حق البشر في حرية الحركة والتنقل. وحظر الجرائم الجنسية يوفر الحماية للإنسان من الإهانة. لا أحد لديه الحق في القيام بأعمال عنف ضد الآخر. وتحظر قوانين ابناء نوح الخيانة الزوجية وتؤكد الحق الحصري للإنسان في الحب والرعاية من جانب الزوج. وحتى المداعبة الخفيفة مع زوجة أو زوج شخص آخر يعد بمثابة الانتهاك لهذا الحق.

من ناحية أخرى تعتبر الثروة، والعوامل التي تؤدي إليها أو التي تزيدها (من الموهبة في مجال الاعمال الى الحصول على ميراث او وجود حالة مواتية في السوق) هدية من الرب. وبالتالي بغض النظر عن مصدرها تمثل الثروة مهمة تتسم بالمسؤولية. ولكن هذا التكليف وهذه المهمة لا علاقة لها بالدولة والمجتمع. ولذلك يتحمل الرجل الغني، وكما ذكر أعلاه، المسؤولية في المقام الأول أمام الرب وليس امام الدولة أو المجتمع. وتتركز هذه المسؤولية في وجود واجبات متساوية للجميع في مجال مراعاة الوصايا وهناك مسؤولية خاصة تتعلق بوصيتي الواجب امام العاملين بالاجرة وتقديم الاحسان للفقراء (15).

في العصور الوسطى، وضع كتبة القوانين اليهود مجموعة كبيرة من القرارات والأحكام التي كانت تتسم بالطابع التقدمي لتلك الفترة وكانت تحمي

ولأول مرة مطالبة بتقديم الحماية القانونية لأولئك الذين تبدو مصالحهم عرضة للخطر – الغرباء والفقراء (سفر الخروج 49:12)، وفكرة القيمة العالية لحرية الإنسان والإصرار على إعادتها إلى أولئك الذين حرموا منها (اللاويين 10:25؛ ارميا 34 :17).

وتؤكد اليهودية أن وجود كل إنسان يتسم بهدف محدد وله مكان في المخطط الرباني (14). ومن هذا يمكن الاستنتاج أن الإنسان يجب أن يتمتع بحقوق وحريات معينة من أجل تحقيق الهدف الذي وضع لأجله. وتتحدث التوراة عن زمن كان فيه الناس في غاية الفساد وهو ما جعلهم «يرتكبون الشر باستمرار» (التكوين 6: 5). وهذا يعني حرفيا إنه لم يقم أي فرد في تلك الفترة بتنفيذ ولا حتى حسنة واحدة. هؤلاء الناس لم ينفذوا أي واجب من واجباتهم أي لم يعملوا ولو شيئا بسيطا من الأمور التي جلبهم الرب إلى العالم من أجلها. وبهذا فقدوا حقا أساسيا من حقوق الإنسان أي الحق في الحياة. لقد دمرهم الرب وقضى عليهم من خلال ارسال طوفان على الأرض.

في اطار رؤية العالم اليهودية، وكما جرت الإشارة سابقا، لا يمكن الفصل بتاتا بين الحقوق والواجبات. ووفقا للعقيدة اليهودية، حقوق الإنسان تعتبر المبادئ الأساسية للسلوك التي يجب على الانسان الاقرار بها تجاه نفسه وتجاه الآخرين، لكي يتمكن الجميع من تنفيذ ادوراهم وفق المخطط الرباني. وبعض حقوق الإنسان الأساسية تنصوص عليها الوصايا السبع لابناء نوح، والتي، وفقا للتقاليد اليهودية، تنطبق على جميع البشر. على سبيل المثال، حظر القتل. هذه الوصية تمنع الناس من قتل الاخرين المشابهين لهم وتؤكد الحق في الحياة.

وبالنسبة لليهود، تعتبر الحياة البشرية مقدسة، لانها مهداة من قبل الرب (التكوين 2: 7)، وفي الحالات العادية فقط الرب يمكنه حرمان الانسان من الحياة(التثنية 39-32). ويفسر الحكماء هذا الحكم على نطاق أوسع، ويقولون أن الحياة واجب إنساني. «عليك أن تعيش، ورغما عن رغبتك وارادتك» («أخلاقيات

والبشرية جمعاء. ومثل أي ديانة تتراوح بين الخاص والعام، عرضت اليهودية شكلا متوسطا يجسد في ذاته نوعا من التوازن المحدد.

وتجدر الاشارة الى ان التقسيم الايديولوجي الى حقوق الإنسان الفردية والجماعية بات احد أسس المواجهة السياسية. بعض الدول إعطت الأولوية للحريات الفردية على حساب العدالة الاجتماعية، وقامت دول اخرى بتفضيل المساواة الشاملة من النوع الجماعى على حساب الحريات الفردية. وعلى الرغم من أن هذا التقسيم إلى حقوق فردية وجماعية غريب للغاية بالنسبة لليهودية، فهي تقوم على وحدة الإنسان بمعنى ان الانسان الفردي والانسان الاجتماعي ليس إلا قسمين لواحد متكامل ولا يمكن تقسيمهما تحت طائلة الموت.

ومن الملاحظ أن التصورات حول القيمة الجوهرية لشخصية الإنسان البسيط، وبالتالي حول حقوق الفرد الذاتية تقوم وإلى حد كبير على تعاليم التوراة وأحاديث الأنبياء. ومفهوم حقوق الإنسان ليس في نهاية المطاف إلا اشتقاق من الحضارة اليهودية المسيحية، كما أشار وبحق العالم المعروف م. تشلينوف (13).

لقد ولدت فكرة القيمة الذاتية للإنسان من المبدأ اليهودي الذي يقول إنه جرى تكوين الانسان في صورة الرب ومثاله، ولذلك تم تمييزه عن بقية العالم الذي خلقه الرب (سفر التكوين 1: 27؛ المزمور8، الايات 7-5). ويتحدث المصدر نفسه عن الأسس الأخلاقية للمفاهيم الحديثة لحقوق الإنسان: فكرة قدسية الحياة البشرية («لا تقتل») والتغلب على الأنانية والمصلحة الذاتية («تحب قريبك كنفسك» (اللاويين 18:19) و»لا تفرح عندما يسقط عدوك، ولا تدع قلبك يكون سعيدا عندما يتعثر» (لأمثال 24: 17) و الرحمة تجاه الضعفاء والفقراء أو الذين لا يمكنهم الدفاع عن النفس («لا تضايق الغريب القادم ولا تضطهده لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر... ولا تضايقوا أي أرملة أو أيها اليتيم» (الخروج 22: -22 21) وهلم جرا.. في الكتاب المقدس، ظهرت

مشاركة الدولة في الحياة العامة. والانسان يتحمل الواجبات امام الملك والقاضي الحاق بشكل مباشر ودون أي وسطاء. وتوفر الدولة الأمن والدفاع، ولكنها ليست مضطرة للمارسة أي من الشؤون الاخرى. وعلاوة على ذلك، فان منع الملوك الذين يجب عليهم قيادة الشعب كقادة عسكريين في عهد النبي شموئيل (صموئيل) من «مضاعفة عدد الخيول والذهب والفضة»، يمكن والى حد كبير أن يفسر على أنه مطالبة للدولة بأن تحد من النفقات. ومن المهم ملاحظة أن كلمة «مملكة» في العبرية مرادف لكلمة «الدولة». والكلمة التي تستخدم كثيرا اليوم «مادينا» («الدولة») لها جذر واحد مع «دين» (المحكمة) وهو يؤكد على واجب الدولة الالتزام بالنظام القانوني، وليس بالسلام الاجتماعي.

وفي المقالة «حقوق الرب وحقوق الإنسان» لاحظ الحاخام الأكبر للمجلس الكنيسي المركزي رينيه صموئيل سيرات أن حقوق الإنسان لا تتمتع بأهمية كبيرة إذا لم تتم بالإضافة لها صياغة حقوق الرب، أوإذا كنا نتحدث عن ذلك بعبارات علمانية، واجبات الانسان (12).

وفيما يتعلق بمسألة الاختيار الرباني للشعب اليهودي فأن التقاليد اليهودية تفسر هذه الواقعة ليس بوجود تفوق لهذا الشعب على شعوب العالم الاخرى بل بوجود مسؤولية كبيرة يتحملها امام الرب. قال التلمود: «كل المشاكل في العالم من إسرائيل». وستستمر البلايا في العالم حتى يقوم إسرائيل بإنجاز المهمة الملقاة عليه. وتتلخص هذه المهمة في نقل القانون الأخلاقي للنزاهة والصدق، والذي ورد في الكتب المقدسة، الى العالم.

يمكننا القول أن السمة المميزة لليهودية تكمن ليس فقط في واقعة أنه تم في إطارها وضع وصياغة أحد المذاهب الأولى للأخلاق العامة الشاملة بل وفي أن انصار اليهودية بذلوا الجهود لتنفيذ مفهوم «حقوق الإنسان» وصياغة نموذج للسلوك على مستوى الحياة اليومية يصلح ويمكن ان يستخدم للمجتمع اليهودي

للنظام القضائي. وضمان القضاء العدال يسبق حتى التقيد بالقواعد الدينية: «الالتزام بالحق والقضاء العادل أكثر قبولا لدى الرب من التضحية». في المقابل تعتبر مراعاة القوانين وأسس القضاء العادل تتطلب دقة استثنائية والنزاهة.

ويشير أستاذ الفلسفة في جامعة باريس العاشرة - نانتير بلاندين باريت كريجل في مقالة «اليهودية وحقوق الإنسان» الى أن العدالة العليا تعود للرب. ويجب على القاضي أن يحكم ليس لصالح الغني او لصالح الفقير. يجب أن يكون نزيها لا يمكن شراء ذمته «وينتقى من جانب أعضاء المجتمع المحيط به» ولا يعين من قبل السلطات. ولا يحق للقاضي تلقي المكافآت. والشخص الذي يسعى للوفاء بواجبه يجب أن يسير على طريق العدالة المطلقة. ولإصدار الحكم العادل يجب التحقيق بدقة شديدة في الحدث والذنب وفقا للتهمة.

ومبدأ القانون الروماني الذي ينص على عدم كفاية شهادة شاهد واحد فقط ورد أيضا في سفر التثنية: «لا يجوز الاكتفاء بشاهد واحد ضد أي شخص في أي ذنب أو في أي جريمة يتهم باقترافها: وفقط عند وجود إفادة شاهدين تأخذ القضية مجراها». وكما يزعم، تدين التقاليد اليهودية تقديم الشهادة الزور خلال التحقيق في الجرائم.

ويطالب آخر من قوانين أبناء نوح بإنشاء نظام قضائي للتشريعات. وتعترف اليهودية بحق السلطات في وضع وصياغة القوانين من اجل صالح المواطنين وتطالب بتنفيذها. ويقول التلمود: «قانون الدولة المحددة هو القانون». ووصايا أبناء نوح، اذ تحمل المرء مسؤولية مراعاة قوانين الدولة التي يقيم فيها، فانها في الواقع تمنح لكل شخص الحق في الامل بالحصول على حماية القانون.

ويركز القانون اليهودي كما في عصر القضاة وخلال عصر الدول القديمة والهيكل الثاني وفي الشتات وكذلك في الظروف الحديثة ، على الحد الأدنى من

حق التصرف بحياة سكانها. والمثال على ذلك هو خروج الشعب اليهودي من مصر، حيث تم تشكيله في ظروف العبودية، وحيث حرم من أبسط حقوق الإنسان. في مقالة «حرية الفكر والتعبير في القانون اليهودي» أشار نائب الرئيس السابق للمحكمة العليا الإسرائيلية حاييم كوهين (10) إلى ان القانون الرباني منح في جبل سيناء لليهود الاحرار. و في الغرب، اتسم الاعتراف التدريجي بحق الانسان في الأمن بأهمية كبيرة: لقد أدى إلى اختفاء القنانة وتطور الفهم الحديث لحقوق الإنسان.

وأكد عضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم الاخلاقية والسياسية جان ريفيرو على أنه لا يجوز التمادي في استخدام كلمة «الحقوق»، وعلى الرغم من أن الوصايا العشر واجبات فقط، ولكن بشكل غير مباشر تتحدث نصوصها عن الحقوق أيضا. على سبيل المثال وصية «لا تقتل» تعني أن كل شخص لديه الحق في الحياة، و«لا تسرق» – أن لكل فرد حق في التملك. ونفس الأمر يتعلق بوصايا الكتاب المقدس التي لم تدرج في نطاق الوصايا العشر (11).

ويعرض التلمود عددا من المبادئ الأخرى، التي تعمل على ضمان سلامة وامان الحياة والحفاظ عليها من أية مخاطر. على سبيل المثال، يجب ضمان حد أدنى من الدخل للجميع، وهذا يعني توزيع أكثر عدلا للثروة.

ولا يجوز عدم تذكر حرية المعتقد، فهناك حرية الضمير والفكر والدين. لا يجوز القيام بأي ملاحقة قضائية أو مادية بسبب الأفكار أو الالتزام الشخصي بالمعتقدات الدينية المختلفة عن معتقدات أغلبية السكان. وعند الحديث عن أي حرية مهما كانت (الحرية الجسدية والروحية أو الدينية)، تملك كلها القيمة المطلقة وغير قابلة للتجزئة، وتعتبر مثالية بحد ذاتها، وتجسيدا للحق الفطري لكل فرد بامتلاك الادارة الذاتية.

وتتضمن اليهودية حماية الإنسان من المحاكمات الجائرة والتعسف. والحاجة الماسة للعدالة الاجتماعية يجب أن تساهم بالضرورة لانشاء بنية واضحة

نفسه يقال في سفر التكوين. عند الحديث عن تحريم القتل، تقول التوراة أنه « خلق الإنسان في صورة الرب ومثاله».

وفي اليهودية، تم وهب الانسان مكانة خاصة، وعظمة لا تقارن بشيء. ولكن الاكثر روعة ان الكتاب المقدس يمنح الامتياز ليس فقط للشعب اليهودي، ولكن أيضا كل الآخرين، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية.

وتمتلك الحرية مكانة أساسية في سياق حقوق الإنسان. ومن المعروف أن الشعب اليهودي كان في العبودية في مصر. هذا التذكير التاريخي يحمل أهمية روحية عظيمة. ويعيدنا الكتاب المقدس مرارا وتكرارا إلى هذا الحدث، ويقدم المشورة لنا، على سبيل المثال، ان نحب الغريب: «عليكم اظهار الحب للغرباء لانكم كنتم غرباء في ارض مصر». في مصر، كنا شعبا محروما من الحقوق الأساسية. وكل من يحرم أي شخص من الحرية يفعل ذلك كانتهاك لحقوق الإنسان الذي يرفض رؤية صورة الرب فيه، و يجعل من الشخص المضطهد مخلوقا أدنى.

وفي التقاليد القانونية اليهودية تعطى الاسبقية للواجبات تجاه الشخص، وليس للواجبات تجاه الرب. وهذه الواجبات تقف أعلى من اي اعتبار آخر. احترام القريب وحياته لا يتعلق بالدين الذي يمارسه ولا بالعرق الذي ينتمي إليه. لقد شدد البروفيسور هنري باروك، في كتابه «الحضارة اليهودية والعلم حول الإنسان» على أن كرامة اليهودية تكمن في حقيقة أنها ومنذ البداية ساعدت في تنفيذ المبادئ السامية العظمة ولم تكتف فقط بالاعلان عنهما. «لا تفعل لقريبك كل ما لا يمكنك تحمله. في ذلك تكمن التوراة كلها، والباقي فقط تعليقات» (9).

ويعني مفهوم «حقوق الإنسان» خيرا اخر، اذ تضمن للانسان الحرية في العالم، حيث يعيش، والتي، وفقا للكثير من علماء الدين، تعتبر أساسية. والحق في الأمن والامان اصبح أيضا احد أسس اليهودية. حق كل فرد للتصرف بجسمه يحرره من وضع الارتباط ويعني نهاية القانون القديم الذي يعطي للسلطات

المسيح». ولكن على الرغم من ذلك لا يجوز أن يكون العمل بمثابة العبودية. العمل يجب أن يسمح للإنسان أن يستعيد دوريا قواه البدنية والمعنوية. واليهودية كانت أول التعاليم التي رسخت الحق في يوم الراحة الاسبوعية. ولاحقا تم تثبيت هذا الحق في المادة 24 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948. وفيه جرت بشكل واضح وقاطع إدانة وحظر استغلال الإنسان للإنسان: «الويل لأولئك الذين يجبرون القريب على العمل بدون تسديد الأجور». وبشكل منفصل، يمكن وضع الحقوق الاقتصادية وواجبات الانسان: الحق في كسب الرزق والذي يفترض به حظر أي تعدي وتطاول على ما يربحه القريب. وهناك منع «خداع الواحد للاخر» خلال عقد الصفقات. على سبيل المثال، لا يجوز سحب الزبائن أو المنافسة غير النزيهة.

وتناول آلان غولدمان الحاخام الأكبر للمجلس الكنيسي اليهودي في باريس، في عمله «المصادر اليهودية لحقوق الإنسان» قضية واجبات الإنسان أمام الفقراء والمعدمين (8). تقول التوراة: «سيبقى الفقراء دائما بين أرضك». ولدى كل شخص مسؤوليات فيما يتعلق بالفقراء: تقديم المساعدة المادية، وعدم ظلمهم. على الجميع أن يحذو حذو الرب ويقدموا الملابس والمواد الغذائية للمحتاجين، يساعدوا المرضى، الخ.. ويجب التبرع بالمال والطعام والملابس، فحسب تعاليم التلمود، هذه أولى من الواجبات المعتادة لليهودي في حياته اليومية. هذا الواجب عام وشامل ويجب ان تمتد ثمار العمل الخيري وتشمل اي شخص آخر فقير في حاجة أكبر مما يحتاج هو.

قبل كل شيء، نلاحظ أن مصطلح «حقوق الإنسان» بحد ذاته لا يستخدم في هذه الصيغة في التقاليد اليهودية المكتوبة والشفهية. ولكن تكفي قراءة الكتاب المقدس لكي نفهم أن هذه المسألة أثيرت في كل صفحة في التعاليم الدينية.

وليس من المستغرب أن مقدمة الإعلان العام لحقوق الإنسان والمواطن لعام 1789 تنص على أن «جميع الناس يولدون أحرارا ومتساوين في حقوقهم». الشيء

وتفقد قوتها كافة التعاليم اليهودية المحرمة باستثناء عبادة الأصنام، والزنا والخيانة والقتل: «واحترام ما خلقه الرب يجب أن يكون أعلى من الالتزام بالمحرمات الواردة في التوراة».

ووفقا للشرائع اليهودية، الإنسان شبيه الرب والتجسيد للكون، وهو يملك كرامة وعظمة غير مسبوقتين. والبشرية جمعاء تعود في أصلها إلى سلف مشترك – آدم. وهكذا، تصبح أي إهانة موجهة إلى الإنسان وكأنها موجهة تجاه الرب. وبالإضافة إلى المعنى الرمزي، يحمل هذا التأكيد في ذاته معنى أخلاقيا واضحا، مما يجري التأكيد عليه في الكثير من طروحات التلمود: «لماذا خلق فقط إنسان واحد - ادم؟ من اجل الحفاظ على السلام بين الناس. فلا يتمكن أي أحد خلال الخلاف والجدل أن يقول: سلفي أفضل وأعلى من سلفك». واليهودية تفترض المساواة بين الناس. لقد كتب الفيلسوف المعروف ايلي بين اموزيغ وقال: «ومع أخذ الإلهام من الكتاب المقدس، يجب علينا أن نكافح من أجل المساواة بين البشر الذين خلقوا على صورة الرب ومثاله. الإنسان يعتبر ملك الكون. يجب على الجميع طاعته، لكي يتمكن من نشر السمو في كل مكان ويضع المعنى الروحي في كل شيء» (6).

كل حياة الإنسانية على نفس القدر من الأهمية، فيقول التلمود أن حياة أي مرتد تبقى حياة إنسان، ولها نفس الاهمية لدى الله كما حياتنا بالذات. تقول التوراة مرشدة: «يجب أن تحب قريبك كنفسك». حتى لو كان ينتمي إلى أمة متخلفة عن أمتك: «لا تشعر بالعداء تجاه الادوميين لأنهم أشقاؤك».

وتقوم المساواة في المجتمع على اساس مسؤولية كل عضو من أعضائه، وهي تفهم كاستقلالية هذا الانسان أي الاستقلالية الاقتصادية. ويشير مارك اجي المذكور أعلاه (7) إلى العمل الذي يبدو في هذه الحالة كوسيلة للحصول على الحرية بصفة أنبل الواجبات: «إذا كنت تزرع شجرة، وفجأة تخبرك بقدوم المسيح المنتظر، عليك في البداية ان تتم زراعة الشجرة ومن ثم أذهب للقاء

ارتكاب القتل. وقام العضو في الأكاديمية الطبية الوطنية الفرنسية هنري باروك بذكر طرح تعبير «Pirkei Avot» (تعاليم الآباء) التي تنص على أنه «أبدى تجاهه (الإنسان) الانتباه الخاص وخلقه وفقا لصورته» (2). وهذه الواقعة تعطي الانسان القيمة العليا القصوى في بنية الكون، وتدل على أن الإنسان الواحد المنفرد يعادل من حيث القيمة مجمل تكوين العالم.

من جانبه يورد رئيس الأكاديمية الدولية لحقوق الإنسان مارك أجي وكتأكيد لذلك بعض الكلمات من التلمود: «إذا قام أي أحد بالقضاء ولو على شخص واحد فسيتحمل لقاء ذلك العقوبة وكأنه قضى على كل الكون. وإذا قام شخص ما بإنقاذ ولو شخص واحد فسيحسب ذلك له وكأنه أنقذ الكون بأكمله» (3). وفي تصور اليهودية يعتبر الحق في الحياة هو الأول بين كل الحقوق الأساسية.

وأشار رئيس جمعية الصداقة اليهودية المسيحية في ستراسبورغ لانداو عازر في مقالته «اليهودية وحقوق الإنسان» (4) إلى ان الحق في الحياة يقوم على الطابع الفريد المطلق لكل إنسان: «الله سبحانه وتعالى خلق كل الناس يشبهون آدم، ولكن على الرغم من ذلك لا يوجد أي واحد منهم يشبه الآخر». ويعتبر رفع اليد على القريب والجار عملا مشينا حتى ولو لم تصل هذا اليد إليه: «أي شخص يرفع يده على قريبه يعتبر شريرا حتى لو لم يقم بضربه».

ويترسخ للإنسان حق الحفاظ على شرفه، والحق في الدفاع عنه في حالة إهانة هذا الشرف. وتحت مفهوم التطاول على شرف الإنسان يقصد الكذب والكراهية. ويعتبر التلمود الاهانة العلنية للإنسان، جريمة تشبه سفك الدماء. ويملك الإنسان حق الدفاع عن النفس. ويورد المدير السابق لمعهد العلاقات الدولية الإسرائيلي ماريون موشخات اقتباسا دينيا يؤكد ذلك: «اذا قرر شخص ما قتلك، استبق الأمر وأقتله» (5). والحق في الحياة يعطي إمكانية التضحية بالذات من أجل انقاذ الاخرين. وعندما يظهر الخطر الذي يهدد الحياة تختفي على الفور

هذا المنظور، يقول القانون أنه لا يجوز التضحية بحياة اي إنسان من أجل مصالح شخص آخر. وفي الواقع، عندما نتحدث عن حقوق الإنسان، فإننا نقصد، سواء أحببنا ذلك أم لا، مفهوم «الدولة» التي تعتبرالمؤسسة الوحيدة القادرة على ضمان تحقيق حرياتنا و حمايتها إلى حد ما. ومفهوم حقوق الإنسان، الذي نستخدمه لم تجر صياغته إلا في القرن الثامن عشر، أي في وقت واحد مع تعريف وتحديد مفهوم الدولة الحديثة.

واليهودية، على ما يبدو، تتميز ليس فقط بأنها كانت من أوائل من عرف مبدأ الأخلاق العامة الشاملة، ولكنها أيضا بذلت كل الجهود الممكنة من أجل التطبيق أحكام هذه «النواة الصلبة» لحقوق الإنسان على ارض الواقع، وصياغة نموذج للسلوك على المستوى اليومي، فردي وشامل في آن واحد.

أما فيما يتعلق بالعبودية فأن الشعب اليهودي كان الوحيد الذي كرس لها عددا كبيرا من القوانين من مجال القانون الإنساني. وعلى عكس الإغريق أو الرومان، على سبيل المثال، لم يعط اليهود لنفسهم الحق في تقرير مصير العبد – هل يجب أن يعيش أو يموت. ويستند الحق في الحياة على الطابع الفريد المطلق لأي إنسان.

وهناك ميزة هامة أخرى لليهودية وهي تتلخص في أنها كانت ومنذ البداية لم تقتصر على صياغة المبادئ الجميلة بل وطبقتها على أرض الواقع.

تقول اليهودية أن العمل بالذات يعتبر أساس كرامة الإنسان الاجتماعية. ولكن في نفس الوقت لا يجب أن يتحول الى عبودية. واليهودية كانت أول من تحدث عن ضرورة الراحة الأسبوعية. وتم أدراج هذه الفكرة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948. وكتاب العهد القديم العبراني يدين بوضوح استغلال شخص واحد من جانب آخر.

التوراة - الكتاب المقدس اليهودي - تلاحظ أن خلق الإنسان على صورة الله ومثاله يشير إلى المرحلة النهائية من خلق الكون. وفي التوراة يجري الحديث عن تحريم

1948، و الاتفاقية الأوروبية للدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية المعتمدة في عام 1950.

في الوقت الراهن، وعند النظر في مسألة حقوق الإنسان، من المفيد والمناسب أن نقارن الفصل 20 من سفر الخروج، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948. ومن المقارنة يتضح ومع كل الاختلاف في التعابير والصياغة ، أن النصين يكرران بعضهما البعض تقريبا.»واما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما» (الآية 10 من الاصحاح 20)، و»لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ» (البند 24)؛ و»لا تقتل» (الآية 13)، و»لكل فرد الحق في الحياة» (البند 3)؛ «لا تسرق» (الآية 15)، و»لكل شخص حق التملك» (البند 17). ويمكن العثور على أمثلة مشابهة كذلك لاحقا (1).

ومن المعروف ان حقوق الإنسان والحريات الأساسية مثل الحق في حماية الكرامة الإنسانية والحرية والمساواة والملكية، تظهر واضحة بجلاء في الاطروحات الدينية اليهودية، وتشدد على الامتثال لها مصادر عديدة أساسية مثل الكتاب المقدس والتوراة والتلمود. وفي الوقت نفسه، ينبغي أن نولي الانتباه إلى أن مصطلح «حقوق الإنسان» غير موجود في الأدب الديني اليهودي.

واليهودية تتضمن، وكما الإعلان الحديث لحقوق الإنسان، حماية الإنسان من الظلم والطغيان. وتم وضع القانون حتى فوق الدين. الله يفضل ضحايا العدالة القانونية. وهذا يعني أن القانون، الذي هو تجسيد للعدالة، ينبغي أن يراعى بدقة. وسفر التكوين يعلم أن العدالة هي سمة أساسية من سمات الرب. والتوراة، في العديد من أحكامها تنص على أن الجميع متساويين أمام القانون وان الوصايا كتبت للجميع، دون استثناء.

ومن المهم أيضا أن نلاحظ أن اليهودية تعلم الاحترام المطلق للحياة البشرية. وهكذا، فإن الكتاب المقدس والحاخامات غالبا ما يتحدثون عن تحريم القتل. من

المواطن فهي تخص فقط أولئك الأشخاص الذين يحملون جنسية دولة معينة .

لقد تمت صياغة الفهم الحديث لحقوق وحريات الإنسان من قبل كبار المفكرين في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولقي ذلك انعكاسه في الوثائق مثل اعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عام 1776، وإعلان حقوق الإنسان والمواطن، الذي اعتمد في فرنسا في عام 1789.

ومع ذلك، يظهر السؤال: هل يعتبر مفهوم «الحقوق والحريات» اختراع حصري للقرن الثامن عشر؟ يجب القول إنه يمكن العثور على ذكر لهذه العبارة في الوثائق القديمة أكثر. من المعروف أن مبدأ حقوق وحريات الإنسان يأخذ بدايته ليس من تاريخ اتخاذ إعلانات القرن الثامن عشر، ولا يعتبر نتيجة للحركة الليبرالية والفلسفية التي حصلت على تطورها في تلك الفترة أيضا. بل يجب القول إن أصول هذه العقيدة تتواجد ليس في الجمهوريات والديمقراطيات القديمة. وبالمناسبة، لم يتضمن أي نظام قانوني قديم، حتى الأكثر تقدما – النظام الروماني، مفهوم «حقوق الإنسان». وتجدر الإشارة إلى أن المواطنة لم تتضمن إضافة صفة الحرية والحق في الأمن. وفوق كل شخص حام حق الحياة والموت، وهذا الحق كان بيد الملوك والقناصل والأباطرة. وحتما لم يكن من الممكن أن يظهر المفهوم العام لحقوق الإنسان في المجتمع العبودي.

ويعتبر الكثيرون أن مفهوم «حقوق الإنسان» وضع في إطار من التقاليد الدينية العبرية وأن اليهودية تعتبر أحد أغنى المصادر الأولية حول هذا الموضوع وأكثرها وضوحا وفهما. ويجب القول إن التعريف الحديث لتعبير «حقوق الإنسان» يقوم وإلى حد كبير على أساس المبادئ المحددة في هذا الدين بالذات.

لا شك في أن تطور التصورات حول حقوق الإنسان عملية طويلة مترابطة لتنامي هذه الفكرة من فترة «الوصايا العشر» إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام

حقوق الإنسان في اليهودية والتقاليد القانونية العبرية

رومان ايلييف
محلل مستقل
iliev.moscow@gmail.com

فاليري فوروبيوف
سفير مفوض فوق العادة لروسيا في المملكة المغربية، أستاذ، دكتور في القانون، يحمل درجة الاستحقاق الروسية للعلوم
ambrusmaroc@inbox.ru

تعتبر مهمة تحسين وتطوير آلية الضمان القانوني الدستوري لحقوق وحريات الفرد، حاليا في غاية الاهمية وخاصة في العقود الأخيرة، عندما، من جهة، ازداد بشكل كبير عدد الدول التي في تشريعاتها وفي ممارسة تنفيذ قوانينها بات موضوع حقوق وحريات الإنسان والمواطن يلعب دورا هاما، ومن ناحية أخرى هناك تحديات غير مسبوقة تطرحها الجماعات الإرهابية، وخاصة مثل تنظيم داعش وجبهة النصرة. وهذه التنظيمات بالذات تسببت إلى حد كبير بتوتر شديد في العالم بين الدفاع عن حقوق الإنسان والمصالح والاحتياجات الأمنية (على الرغم من انه كان عادة موجودا بالفعل بدون ذلك).

لا يمكن تماما أن يدرك المفهوم الحالي لحقوق الإنسان والمواطن بشكل كامل دون معرفة أصول وجذور تشكل هذا التعريف، على أساس أن حقوق الإنسان وحرياته تخص وتتعلق بكل فرد، وأما حقوق وحريات

21. ل. غيمليوف. من روس القديمة الى روسيا. مقالات حول التاريخ الاثني. ايراس برس. عام 2008، ص292.
22. انظر: ز. بريجنسكي. رقعة الشطرنج الكبرى. M.1998. ص: 64، 148-108، 240-239. بريجنسكي ز. الاختيار: السيادة العالمية أو الزعامة العالمية. موسكو، 2006.
23. ز. بريجنسكي. رقعة الشطرنج الكبرى ص43.
24. ل. غوميليوف. نفس المصدر. ص31.
25. المرجع نفسه. ص 13.
26. ا. دوغين. الاوراسية: من الفلسفة إلى السياسة // اسس الاوراسية. اصدار: اركتوغيا سنتر. 2002، ص 17.
27. ل. تيتارينكو. روسيا تدير وجهها نحو اسيا. اصدار 1998. ص 6.
28. ف. بوتين. مشروع التكامل الجديد لأوراسيا – المستقبل الذي يولد اليوم. ازفستيا. 3 أكتوبر 2011 //http://izvestia.ru/news/502761

كلمات البحث: الاوراسية، الاوراسية الجديدة، الثقافة الروسية، ثقافة شعوب روسيا، الثقافة الجماهيرية، مذهب «اصطدام الحضارات»، العولمة.

Международная
ЖИЗНЬ

وهكذا، يمكن اليوم التأكيد وبحق أن الفهم السائد تقليديا للاوراسية لا يزال غير كاف ويجب منحه تعريفا جديدا وجهاز جديد مفهوم. وهذا يسمح بتحديث الهوية الوطنية للشعب الروسي المتعدد الجنسيات ومواصلة تشكيلها على أساس البولوفينية والتطور المشترك وتخليق ودمج كل ما هو جيد في العالم للإدراك المناسب لقدراتنا وللآفاق.

المراجع:

1. ف. بوتين. نص كلمة في لقاء مع نشطاء من حزب «روسيا الموحدة». موسكو. 24 أبريل، 2012. عن http://eurasian-movement.ru/archives/2136
2. ي. بيفوفار.. اللغة الروسية والعالم الروسي كعاملين للحوار الاجتماعي والثقافي في المجال ما بعد الاتحاد السوفياتي // الجلسة العامة «حوار الثقافات وشراكة الحضارات: قيام الثقافة العالمية». عن: http://www.lihachev.ru/pic/site/files/lihcht/2010_Sbornik/Tom_1_2010/000_Plenarnoe_zasedanie/056_E.I.Pivovar.pdf
3. هذا المصطلح الخاص يعود الى ب. سافينسكي وعن طيب خاطر استخدمه وطوره في أعماله. عن ل. غوميلوف. إيقاعات أوراسيا: العصور والحضارات. M.1993.، ص 10.
4. نفس المرجع، ص 10.
5. وكما أشار بشكل عادل البروفيسور س. لافروف: «دعا الاوراسيون الى الحفاظ على الهوية العرقية، ولكن ليس اطلاقا للمحافظة على التعصب القومي الضيق». عن نفس المصدر لل. غوميلوف.
6. الثقافة الروحية للصين: الموسوعة: في 6 مجلدات / رئيس التحرير تيتارينكو م. المجلد 1. 2006، ص: 285-284 و464-462.
7. التفاصيل في: تيتارينكو م. روسيا وجها لوجه مع اسيا. 1998، ص 10-5، 79-13.
8. غ. فيرنادسكي. كتابة التاريخ الروسي. الغورتيم، 2007. ص 16.
9. تروبتسكوي. ن. تراث جنكيزخان. اصدار: ايكسمو. 2007 ص. 291.
10. ن. تروبتسكوي. اوروبا والانسانية. صوفيا، 1920.
11. أ. توينبي. الحضارة امام محكمة التاريخ. M. 2002، ص.226.
12. العقيدة الروسية (مشروع سيرغي) / تحرير كاباكوفأ وافيريانوف. عام 2008، ص 30-29.
13. المرجع نفسه. ص 29.
14. ن. دانيلوفسكي. روسيا وأوروبا. نظرة على العلاقات الثقافية والسياسية للعالم السلافية نحو الرومانية الالمانية.اصدار: معهد الحضارة الروسية، 2008. ص. 76.
15. المرجع نفسه، ص 81.
16. م. لومونوسوف. ملاحظات في التاريخ الروسي.2003 .M. ص392.
17. المرجع نفسه. ص 388.
18. م. مندليف. افكار عزيزة.1995 .M. ص 375.
19. المرجع نفسه. ص 376.
20. ص. هنتنغتون. صدام الحضارات. ACT. 2003. ص 91-90.

وفقط روسيا كدولة اوراسية تستطيع تحقيق الاعتراف بالعلاقات المتساوية السيادية وذات المنفعة المتبادلة مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، وإقامة علاقات الاقتصادات الناشئة الجديدة، والتكامل في الهياكل الإقليمية.

وتجدر الإشارة إلى أن الجوانب الجيوسياسية والجيواقتصادية للتكامل الأوراسي يجعل آنية جدا ملاحظة فلاديمير بوتين حول أن «النظم الاقتصادية المنطقية والمتوازنة للشراكة بين الاتحاد الاوراسي والاتحاد الاوروبي تستطيع خلق الظروف الحقيقية لتغيير التركيبة الجغرافية السياسية والجيوسياسية للقارة بأكملها، وسيكون لها تأثير عالمي إيجابي بدون أي شك» (28).

ولا يقل اهمية كذلك أنه يجب تذكر ضرورة ان يترافق التكامل الأوراسي مع عمليات التكامل في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، التي اخذت تتحول الى مركز للاقتصاد والسياسة العالمية. وكما قضى دنغ شياو بينغ عدة سنوات من العمل لكي يمسح من عقول الكوادر والسكان النشطين في الصين الافكار الماوية حول الاشتراكية الفقيرة يمكن للتطور الحقيقي والازدهار في الاتحاد الاوراسي الاقتصادي والتعاون المتعدد الأطراف والتآزر التنموي المشترك مع «الحزام الاقتصادى لطريق الحرير» ان يقوم فقط على الأساس الحضاري للهوية الروسية ذات الانتماء الاوراسي والى المحيط الهادئ.

وهذا يتطلب تخطي التعلق بالنموذج الاوروبي المركزي، او بعبارة أخرى، الاستيعاب المدرك لقسم كبير من نخبة الاعمال للانتماء الاوراسي والى المحيط الهادئ والتحرر الفكري واعادة تربية قسم الواعي من المجتمع الروسي.

وتجدر الإشارة إلى أن روسيا الأوراسية لا تفرض آراءها وطريقة عملها على أي احد. وتبقى بلادنا منفتحة للحوار البناء مع ممثلي الثقافات الغربية والشرقية. ومن نافل القول إن المحافظة على وتطوير الهوية الاوراسية لروسيا سيساعد في توطيد التعاضد الداخلي للبلاد، وتعزيز وحدة ترابها وجعلها شريكا موثوقا به واعدا بالنسبة لجميع البلدان في العالم.

ذلك» لأنه، ووفقا لهم، يواجه العالم صدام الحضارات. وأكد المؤلف من جانبه أنه يمكن حدوث الامر الاخر وقال: «ذلك يتلخص في نهضة روسيا عبر انبعاث وإحياء الوعي الذاتي الوطني من جانب مواطنيها ومن جانب كل شعوبها ومن جانب كل الامم المقيمة فيها، ويتلخص في تعزيز وعلى هذا الأساس التعاون بينهما والتفاهم المتبادل والصداقة من أجل تركيز جهودها على تطوير الاقتصاد والثقافة والتعليم والعلوم في الوطن. وأما الاخر فيكمن الرعاية والاهتمام المستمر بالجذور الوطنية للثقافة لأنه عندئذ فقط ستبدو روسيا ليس كملحق اعمى بالغرب ولن تكون بمثابة الطرف الذي يحاول تقليده بكل قواه بل ستظهر كشريك يستحق الاحترام من جانب البلدان الأخرى، سواء كانت في أوروبا أو آسيا أو أفريقيا أو أمريكا» (27).

ويجب القول إن فكرة هوية الموقع الجيوسياسي الاوراسي لروسيا ولحضارتها تتمتع بأهمية أساسية للتطور السليم للبلاد الذي يضمن سلامتها واستقرارها الداخلي.

وفقط روسيا، المستندة على النموذج الاوراسي التي تعد بمثابة الجوهر للوحدة والتفاعل بين الحضارات، يمكن أن تحل مشكلة بعث وحدة أراضيها، والحفاظ عليها، ونهوض ثقافات جميع شعوبها وازدهار الثقافة الروسية.

وفقط روسيا، المستندة على النموذج الاوراسي، تستطيع لعب الدور الهام وتتفاعل داخل منظمات دولية مثل منظمة شانغهاى للتعاون، وريك وبريك وبريكس، وممارسة الحوار في إطار الابيك والمنتدى الاقليمى لاسيان لشؤون الأمن ومنتدى «آسيا – أوروبا» والمشاركة بفعالية في اللقاءات حول التعاون وبناء الثقة في آسيا، ومؤتمرات قمم شرق آسيا. وفقط على قاعدة الاوراسية ستتمكن الدبلوماسية الروسية من العمل بشكل مثمر في اطار منظمة شنغهاي للتعاون ومجلس التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ وتقديم مساهمتها في التغلب على الخطوط الفاصلة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وإقامة التعاون العادل في إطار مجموعة «الدول العشرون الكبرى».

أي تركيب مثمر او اي تحالف استراتيجي قادر على الاستمرار. هنا يوجد لدينا معارضة واضحة: إما نحن أو هم» (26).

على الأغلب يتطابق مع الروح الايجابية للاوراسية الجديدة مبدأ «من ليس ضدنا فهو معنا». ويجب القول إن التمسك بمبدأ الحوار المتساوي والتعاون والتنمية المشتركة، مع الحفاظ على العلاقات مع الدول القريبة والبعيدة على مستوى دبلوماسية الدولة والدبلوماسية الشعبية سيضمن ويوفر لروسيا ظروف خارجية مواتية. وسيكون ذلك بمثابة مساهمة روسيا في بناء عالم متعدد المراكز وتطوير الحوار البناء بين الحضارات، كثقل معاكس للمذاهب المختلفة من «صراع الحضارات» و «نهاية التاريخ».

ويشهد تاريخ القرنين الأخيرين على أن أي محاولة للسياسة الروسية للعمل مع الميل نحو جهة واحدة سواء كان باتجاه اوروبا او الشرق، ستؤدي حتما الى زعزعة أساس المجتمع وتقويض أسس الهوية الثقافية للشعوب، وحرمان البلاد من المرونة في اتخاذ القرارات الرئيسية بشأن مستقبلها. وفقط مع ادراك الوحدة المتكاملة لاثنين من أهم جوانب الهوية الوطنية، اي الشرقي والغربي يمكن ان يسمح لروسيا بالتحرك قدما الى الامام بثقة وثبات.

ولتحقيق ازدهار روسيا الداخلي والخارجي ينبغي أن تلتزم باستمرار بمبدأ التوازن، وإيلاء الاهتمام المتساوي بالسمت الغربي والشرقي للسياسة الداخلية والخارجية. وبعبارة أخرى، ينبغي الالتزام بدقة بالهوية الجيوسياسية الاوراسية لروسيا التي تم التعبير عنها بشكل رمزي في نسر برأسين وهو الشعار الحالي للدولة في روسيا.

ومن المعروف أن م. تيتارينكو قام في النصف الثاني من التسعينيات من القرن الماضي في كتابه «روسيا تدير وجهها نحو آسيا» بالاعتراض والتشكيك بمقولات الذين جاهدوا بقوة لدفن روسيا وقسموا أراضيها إلى مقاطعات مختلفة وشددوا على نفي آصالة الحضارة الروسية، واعتبروا تغريب روسيا كضم حتمي لا مفر منه لروسيا في نوع ما من «الحضارة العالمية». وقالوا: «لا يمكن حدوث غير

أعمال مهمات ادراك الواقع الجيوسياسي والحضاري الأوراسي لروسيا في سياق تحديد استراتيجية نهوض البلاد، وتطوير اقتصادها وثقافتها.

ويجب ان يتم تنفيذ هذه المهام في ظروف الحفاظ على علاقات جيدة من التعاون والعمل المشترك مع جميع دول الغرب والشرق في ظروف العولمة. وينبغي أن تصبح مبادئ الاوراسية الجديدة بمثابة الاساس المنهجي والإيديولوجي لاستراتيجية طويلة الأجل لتطوير وبناء روسيا كدولة موحدة متعددة الأعراق، وكجزء لا يتجزأ من عقيدة سياستها الخارجية. كل ذلك يعتبر حجر الزاوية لضمان الأمن في بلادنا، والحفاظ على وحدة أراضيها، وتعزيز سيادتها وكرامتها في الساحة الدولية.

ولا يجوز عدم الموافقة مع العالم الروسي البارز ليف غوميليوف الذي يعتبر من منظري الاوراسية الجديدة، الذي قال: «سأقول لكم بالسر إذا تم إنقاذ روسيا ففقط كدولة اوراسية وفقط عبر الاوراسية» (24). ولكن من المهم أن نتذكر أن العالم المذكور قال في المقابلة التي سبقت وفاته عبارة باتت بمثابة وصيته العلمية وخلالها صاغ «مقولته الاوراسية» المشهورة وقال: «يجب البحث ليس عن الاعداء فهم كثيرون بدون ذلك. يجب البحث عن الأصدقاء، وهذه القيمة الأكثر أهمية في الحياة. ويجب علينا البحث عن الحلفاء الصدوقين. على سبيل المثال يمكن للأتراك أو المغول أن يكونوا حلفاء صادقين اما الانكليز والفرنسيين والألمان، في اعتقادي، لا يمكن أن يكونوا إلا مستغلين ماكرين» (25).

في الظروف الحديثة، هناك قيمة حيوية هامة جدا لوجود وتطور التكامل الأوراسي، ولترافق ذلك بعمليات تكامل في المنطقة الأوروبية الأطلسية ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ، ولكن من المهم عدم اضفاء الصفة المطلقة على هذه المقولة وخاصة في مفهوم تطبيقه السياسي. وكما يبدو لنا، سار على هذا الطريق، أ. دوغين، مشددا على أن «الاوراسيين اقتربوا جدا من القانون الأساسي للجيوسياسة التي تؤكد انه يوجد بين الحضارة الاوراسية الجديدة التي تعتبر روسيا بمثابة نواتها والمجتمع الأطلسي الغربي، تناقض لا يمكن التخلص منه. وهو تناقض يستبعد معه

على هذه التحديات، عانت الشعوب روسيا وقدمت التضحيات الهائلة جدا. كان ذلك خلال الحرب العالمية الأولى التي أعقبت ثورة أكتوبر والحرب الأهلية. وقام الاتحاد السوفيتي الذي ظهر بعد ثورة 1917 ببناء دولة قوية جديدة. وفي بداية الاربعينيات من القرن الماضي رمت ألمانيا النازية بتحدي مميت في وجه الاتحاد السوفييتي. وفي المحصلة خرجت شعوب الاتحاد السوفياتي، بفضل بطولات الشعب الروسي الخارقة، منتصرة في الحرب العالمية الثانية، وأنقذت البشرية من الطاعون الفاشي، وساعدت في هزيمة العسكرية اليابانية.

على موجة النشوة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي (عام 1991)، أعلن الغرب نفسه بمثابة «المنتصر»، ووجه على ارض الواقع الانذار الى روسيا. وقام زبيغنيو بريجنسكي أحد المنظرين الرئيسين لصراع الغرب ضد روسيا ككيان في التاريخ العالمي، في كتاباته بتقديم شرح مفصل لمآخذ ومطالب الغرب تجاه روسيا وصاغ قواعد «السلوك الحضاري»، الذي يجب وحسب رأيه أن تتبعه روسيا. لقد وضع المذكور السيناريوهات والرسوم البيانية والخرائط للبلدان الجديدة، التي كان يجب وفقا لحساباته ان تقوم في مكان روسيا المتفتتة (22).

وقال بريجنسكي إن أوراسيا، حيث كان يقع الاتحاد السوفياتي، وحيث تقع روسيا حاليا، تعتبر «الجائزة الجيوسياسية الكبرى لأمريكا» (23).

لقد أدى انهيار الاتحاد السوفييتي، والضغط الهائل من جانب الغرب على روسيا، وتدخله السافر الوقح في الشؤون الداخلية للدولة الروسية ذات سيادة وكذلك التدخل الثقافي الكبير، إلى طمس خطير للهوية الحضارية والحكومية لروسيا ومواطنيها. اليوم يواجه بلدنا السؤال الحاد: «ما هي روسيا وما هو طريق تطورها؟»

العثور على الجواب يمكن فقط عن طريق التفكير والتمحيص الإبداعي في تاريخنا الطويل واستخلاص العبر من الماضي، والقيام بتحليل موضوعي للظروف الداخلية والخارجية المواتية وغير المواتية لتطور دولتنا التنمية وحضارتنا. وتقف على جدول

لقد ذكرت الأزمة كذلك كيف ترتبط دول العالم الحديث ارتباطا وثيقا فيما بينها. وتبين بشكل واضح أنه من المستحيل التغلب على مشكلة بهذا الحجم الضخم بشكل منفرد. وينبغي أن يكون الدرس المستفاد من الأزمة، الموافقة على فكرة ضرورة التعاون بين جميع الدول والشعوب من أجل التغلب معا على الآثار المدمرة للأزمة الحادة. لقد بين الدور البارز الذي تلعبه الصين والهند وبعض الدول غير الأوروبية الأخرى في دعم التنمية في الاقتصاد العالمي، وأظهر بشكل مقنع أهمية وضرورة الحوار الهادف بين حضارات الشرق والغرب.

في هذا الصدد أنه من المناسب أن نتذكر أنه حتى مؤلف كتاب «صدام الحضارات» لاحظ: «في نهاية القرن العشرين، الى ان مفهوم الحضارة العالمية يساعد بتبرير الهيمنة الثقافية الغربية على المجتمعات الأخرى وضرورة وحاجة هذه المجتمعات لنسخ التقاليد والمؤسسات الغربية. الشمولية هي الأيديولوجية المعتمدة من قبل الغرب لمواجهة الثقافات غير الغربية» (20).

وتجدر الإشارة إلى أن ليف غوميلوف وقبل عدة عقود من صموئيل هنتنغتون، قام بصياغة مفصلة لفكرة مشابهة على الشكل التالي: «لقد أثبتت التجربة التاريخية أنه حين احتفظت كل دولة بحقها بالعيش كما تريد، تمكنت الاوراسية المتحدة من التصدي بنجاح لهجوم أوروبا الغربية، والصين، والمسلمين. للأسف، قمنا في القرن العشرين بالتخلي عن هذه السياسة السليمة والتقليدية بالنسبة لبلادنا، وبدأنا نسترشد بالمبادئ الأوروبية اذ حاولنا جعل الجميع متشابهين. ومن الذي يرغب بأن يكون شبيها بالاخر؟ النقل الميكانيكي في ظروف روسيا لتقاليد السلوك الأوروبي الغربي لم يعط إلا القليل من النتائج الطيبة، وهذا ليس مستغربا» (21).

خلال القرن الماضي واجهت روسيا مرارا تحديات جدية خطيرة. في بعض الحالات، ادى ذلك الى اضعافها بشكل كبير وفي حالات اخرى كانت تظهر لديها الفرصة لإيجاد طرق جديدة للنهضة وتقوم من جديد بتجميع شعبها وأرضها. و للتغلب

الرئيسية لانصار الليبرالية الذين يريدون اجبار العالم كله على الاقتناع «بالسلطة المطلقة» للسوق، اتي يزعمون بأنها قادرة لوحدها بدون اي تدخل من الدولة بضمان النمو الاقتصادي والازدهار. ولكن حاليا نرى أن حكومات الدول الغربية الكبرى لا تبخل بالجهود والقوى لمنع الانكماش العميق في الاقتصاد وتسريع وتيرة الانتعاش.

لقد بينت الأزمة محدودية النموذج الغربي وخطورة سياسة «التغريب الشامل» للبلدان التي تنتمي إلى ثقافات أخرى. لقد أصبحت المشاكل الجدية في الاقتصاد العالمي بمثابة الحافز لإعادة التفكير في المقولة الخاصة «بعمومية» القيم الغربية. لقد ذكرت هذه الأزمة، الإنسانية ان النزاعات الدرامية من خلال العقدين الماضيين متجذرة ليس فقط في العمليات العسكرية التي نفذها الغرب بقيادة الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا، ولكن أيضا في المحاولات المصرة والتهديد الغربي بحل بالقوة المسلحة خلافاته مع إيران وكوريا الشمالية – كل بؤر التوتر هذه ظهرت بما في ذلك بسبب عدم رغبة وعدم قدرة الغرب على احترام القيم الحضارية والثقافية للبلدان الأخرى، وعدم احترام نمط الحياة في هذه البلدان وطرق تطورها. وآخر مثال على مظاهر هذه السياسة الأحداث في أوكرانيا.

لقد ترافقت المزاعم في الغرب حول إمكانية خلق الاستقرار العالمي في عالم أحادي المركز تحت هيمنة دولة عظمى واحدة، بالجدل حول حتمية وطبيعية اصطدام الحضارات الغربية والشرقية ونظم القيم. ويجب القول إن هؤلاء المنظرين وكذلك السياسيين الذي الهموا بنظرياتهم كانوا على قناعة تامة في التفوق الذي لا شك في كل المجالات وفي الكمال العام الشامل للحضارات الأوروبية الأطلسية والأمريكية، واعتبارها بمثابة الحضارة العالمية. وقد أظهرت الأحداث في العراق وأفغانستان أن التحالف الغربي يمكن ان تقوم بقوة السلاح بإسقاط السلطات التي لا تلائمها في الدول الاخرى.

على سبيل المثال، في اليابان لفترة طويلة كان هناك وزير لشؤون تنمية هوكايدو. اليوم في روسيا هناك بنية سلطوية على شكل ممثلي رئيس الدولة في المناطق. وهذا اجراء على الطريق الصحيح ولكنه يتطلب المزيد من التحسين والتطوير في الناحيتين السياسية-الإدارية والمالية.

ويجب القول إن نموذج الاوراسية الروسية الحديثة يعكس خصائص التطور الجيوسياسي والحضاري لبلادنا وهو لا يرتبط باي حال من الاحوال ولا يسترشد باميول تجاه الغرب او تجاه الدول الاسيوية. وعلى العكس زرع ونشر المركزية الاوروبية بالذات يقوض المواقف الدولية لروسيا ويحولها من حيث الجوهر الى الشريك الأصغر للغرب، وكملحق للخامات تابع له.

ومن الواضح أن الاوراسية الجديدة تعتبر البديل للمركزية الاوروبية وللتغريب المبتذل ليس فقط من حيث التعاضد الداخلي لروسيا كدولة موحدة متعددة الأعراق بل وفي المجال الدولي ايضا لأنها تتصدى لاحتواء الثقافات الوطنية وتتصدى لمفهوم العالم الأحادي القطب، وتشكل الاسس الفكرية النظرية والسياسية والحضارية (في المقام الأول الحضارية الثقافية) اللازمة لتشكيل عالم متعدد المراكز وازدهار الحضارة العالمية كسيمفونية من الثقافات المتنوعة.

ومع مرور الزمن تراجع موضوع الطرق المتعددة للتطور وبات ثانويا بعد ان ساد الغرب على أثر انهيار الاتحاد السوفيتي وخلق ذلك وهم القوة المطلقة للنموذج الأوروبي الأميركي، في حين أن الأزمة المالية الآسيوية عام 1998 وضعت محط الشك جدوى «المعجزات الاقتصادية» في شرق آسيا وقدرتها على الحياة والاستمرار. ولكن الصين حافظت الان في ظروف الأزمة العالمية بشكل لا مثيل له معدل النمو المرتفع وهو ما يدل على أن تحقيق أهداف التنمية والتحديث لم يعد مرتبطا بنسخ وتكرار الوصفات الغربية.

في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين اندلعت الأزمة المالية الاقتصادية العالمية وحصلت على طابع منهجي. وتسبب ذلك بتعرية وعرض فشل المقولات

شانغهاى وشنيانغ وهاربين وتشانغتشون وتيانجين وتشونغتشينغ ووهان وقوانغتشو وتايوان وشيان وأورومتشي.

وفي اليابان أيضا، بالإضافة إلى العاصمة طوكيو، هناك مراكز للتنمية والتطور الاقتصادي – أوساكا وكيوتو، وسابورو و نيجاتا.

وفي ألمانيا، يتم توزيع وسائط التأثير الاقتصادية بين برلين وهامبورغ وفرانكفورت وميونيخ ودوسلدورف وكولونيا ولايبزغ وهلم جرا.

ولكن لسوء الحظ، نرى في روسيا أن المركز يطغى ويهيمن بشكل مطلق ليس فقط من الناحية السياسية، ولكن أيضا من الناحية الاقتصادية وفي جميع النواحي الأخرى. وتتركز في العاصمة موسكو التيارات المالية الرئيسية أيضا. وعلى الرغم من وجود مناطق ومدن كبرى يطلق على بعضها أسم العاصمة الثانية مثل بطرسبورغ، إلا أنها تلعب في هذا الصدد دورا ثانويا.

أما المراكز الرئيسية في الأورال وسيبيريا والشرق الأقصى، فتقتصر قيمتها وإلى حد كبير في وجود امكانيات اقتصادية ضيقة في هذا المجال او ذاك. وبسبب شحة الموارد المالية لا تستطيع المصارف في سيبيريا والشرق الأقصى ان تلعب دورها المطلوب في تحفيز وتمويل والانتعاش الاجتماعي الاقتصادي لهذه المناطق، وغالبا ما تكون مراكز اقاليمية كبيرة للصرافة وتبديل العملات لا اكثر.

ومن اجل حل بشكل أفضل وأكثر فعالية لمسائل التنمية الاجتماعية والاقتصادية في سيبيريا والشرق الأقصى على المدى الطويل، من الضروري التفكير في تعزيز وإقامة وإنشاء ثلاثة مراكز اقليمية عامة وليس فقط للضبط الاقتصادي بل والسياسي ايضا وبالذات في مناطق سيبيريا الغربية وشرق سيبيريا والشرق الأقصى. ويجب ان يشرف على كل هذا العمل، وينسقه على الارجح رجل دولة يحظى باحترام كبير – على سبيل المثال نائب اول لرئيس الحكومة.

في الولايات المتحدة واليابان واستراليا وكندا وبعض دول أمريكا اللاتينية توجد هيئات حكومية ووزارات تكمن مهمتها في ضبط وتنظيم تنمية المناطق المتخلفة.

الأوراسي لحضارتنا. لذلك، يجب أن تقوم خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للاتحاد الروسي حتى عام 2030، وينبغي أن تقوم برامج التنمية الإقليمية على المدى الطويل وتعتمد على نموذج الاوراسية.

ويتطلب مفهوم روسيا كدولة أوراسية تنفيذ إصلاح جدي للنظام الحالي للإدارة الاقتصادية وتغيرات عميقة في أشكال وأساليب ادارة المناطق من المركز.

أولا، يجب أن تقترن المركزية الاحادية القاسية التي يمليها وجود مساحات شاسعة من الاراضي مع وجود النزعة الانفصالية التي تظهر في المناطق، تقترن على الرغم من كل ذلك مع دور العوامل الإقليمية، مع ضرورة الاخذ بالاعتبار الطابع المتميز الجغرافي والثقافي والاجتماعي للأقاليم والاخذ في الحسبان خلال الخطة الاقتصادية الإمكانيات الكبيرة للنشاط الذاتي الإقليمي، وحق المناطق في التطور الذاتي الابداعي والحق في تكييف الايعازات العامة القادمة من المركز مع الظروف المحلية.

ثانيا، لا شك في أن الحل الحقيقي لمهمات تطوير روسيا كدولة أوراسية يتطلب تنفيذ إصلاحات جدية لمنظومتها الإدارية الاقتصادية وتوطيد الهياكل الإدارية. وتقدم تجارب الانتعاش الاقتصادي للبلدان المتقدمة في الغرب والولايات المتحدة واليابان، والصين، المثال على الفصل بين مهام ووظائف ادارة عمليات تطور الاقتصاد وتوزيعها بين العاصمة والمراكز الإقليمية.

على سبيل المثال يقع المركز السياسي في أمريكا في العاصمة (واشنطن)، ولكن في ذات الوقت تملك المراكز الاقتصادية الحقوق الكبيرة في مجال الإدارة الذاتية وحل المشاكل الاقتصادية: نيويورك، وفيلادلفيا، وأتلانتا على الساحل الشرقي، وشيكاغو، وديترويت، و كانساس سيتي في وسط البلاد، وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس وسان دييغو على الساحل الغربي.

وفي الصين، تعتبر العاصمة بكين كمركز سياسي واقتصادي، ولكن مع ذلك، نراها تتقاسم الحقوق الاقتصادية في الادارة مع المراكز الاقتصادية والثقافية الكبرى مثل

هذا التعاون يتسم بقيمة غير عابرة بالنسبة لتوفير وخلق الظروف اللازمة والمواتية للتنمية المشتركة لبلداننا. وكتب مندلييف قائلا: «من الواضح أن الصين التي كانت مستقلة وأصيلة سابقا تستطيع أن تنمو بقوة أكبر، وبالنسبة لنا سيكون ذلك اكثر فائدة إذا تمكنا من عقد الصداقة مع الصينيين مع حلول تلك الفترة» (18).

ومع الإشارة إلى أهمية التعاون الروسي الصيني بالنسبة للبنية العالمية العامة شدد مندلييف على أن «اتحاد روسيا والصين سيكون مقدمة لاتحاد سلمي شامل والسبب في ذلك أنه سيجمع تحت راياته أكثر من ثلث جميع البشر، ولأنه لا يمكن إلا أن يتسم بالطابع السلمي والوقائي، لا سيما وأن لدى كل من الحليفين توجد هاوية كاملة من الاحتياجات المحلية العاجلة وكذلك الموارد الكثيرة جدا التي لا توجد في اي دولة اخرى ومع ذلك لا ترغب لا روسيا ولا الصين بشهر القبضات في وجه الاخرين» (19).

في السنوات الخمس الأولى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، اكتسبت السياسة الروسية الطابع القبيح والاحادي الوجه المسترشد بالغرب فقط في المجالات الاقتصادية والإنسانية وغيرها. وطبعا الآثار المدمرة لمثل هذا الانحراف غير المبرر معروفة ولا تحتاج إلى تعليق مفصل. ويجب القول إن عملية التصحيح التدريجي لهذا الانحراف الثقيل الاحادي الجانب بدأت مع تولي يفغيني بريماكوف لمنصب رئيس الوزراء في روسيا لفترة قصيرة. ثم، حصل هذا الاتجاه على التطور والتعزيز التدريجي خلال تولي فلاديمير بوتين لرئاسة الدولة. وكانت المحصلة الايجابية لهذا النهج - تعزيز الاستقرار الداخلي في روسيا وتعزيز موقفها الدولي - تشهد بشكل واضح على الطابع البناء للتوجه الأوراسي.

ونحن نعتقد أن أي مفهوم استراتيجي لتطور روسيا كدولة بشكل عام أو لأي منطقة منها لا يمكنه تجاهل ويجب عليه أن يأخذ في الاعتبار الجوهر الجيوسياسي

كان يجب على الدولة الروسية ان تحلها لكي تضمن التطور الطبيعي وتؤدي دورها المحدد في التاريخ. وكانت هذه الأهداف البرامجية الثلاثة على النحو التالي.

أولا، «القدرة الروسية تزداد وتشمل سيبيريا والمحيط الشمالي وتصل إلى المستوطنات الأوروبية الرئيسية في آسيا وأمريكا» (16).

ثانيا، «عندما... ينفتح الطريق والمسار المرغوب فيه عبر المحيط الشمالي تجاه الشرق سيصبح من الممكن بحرية تعزيز وتوسيع النفوذ الروسي في الشرق، وجمع مع المسار البحري، الطريق البري عبر سيبيريا إلى ساحل المحيط الهادي (17).

ثالثا، اعتبر هذا العالم العظيم أن احدى المهام الرئيسية للسلطات الروسية تكمن في «المحافظة على» و«مضاعفة الشعب الروسي» بما لا يقل عن مليون طفل من المواليد الجدد في العام. وفي ذات الوقت علق لومانوسوف أهمية كبيرة على إقامة علاقات طيبة بين السكان الروس الشعوب الأصلية في سيبيريا والشرق الأقصى. ومرت بعد ذلك اكثر من 250 سنة ولكن المهام الثلاث التي حددها لومانوسوف كشرط لنجاح تطوير روسيا بقيت حتى الان بدون حل وتنفيذ ولا تزال ملحة وآنية جدا.

وتجدر الإشارة إلى أن العقول الروسية الفذة لاحقا اكدت أيضا مرات عديدة على الأهمية البالغة لتنمية وتطوير سيبيريا وحل المهام الثلاث المحددة أعلاه. وخلال ذلك تمت الإشارة بشكل خاص الى ضرورة ادراك السياسيين وكل النخبة العليا الروسية للواقع الجيوسياسي السائد: الموقع الجغرافي الأوراسي غير عادي للغاية لروسيا، وتم التشديد على أهمية استخدام العامل الدولي – التعاون مع جيراننا في الشرق الأقصى في تطوير سيبيريا والشرق الأقصى. وتم إيلاء الاهتمام الخاص خلال ذلك الى ضرورة تعزيز التعاون والتفاهم المتبادل، وحتى العلاقات المتحالفة مع الصين.

وأشار العالم الكبير والرجل الوطني الروسي الفذ د. مندلييف في كتابه «أفكار ثمينة» بشكل خاص الى اهمية وأولوية التعاون الروسي الصيني. وشدد على أن

- في تحويل المناطق الشرقية الشاسعة الغنية بالموارد، الى نوع من المستعمرة الهامشية التابعة للجزء الأوروبي من البلاد، عمليا وكأمر واقع. من سيبيريا والشرق الأقصى وعبر التبادل غير المتكافئ، وحتى من دون اي تبادل، جرى ويجري استجرار الثروات الطبيعية الهائلة بدون أي تطوير ملموس وإنعاش للمناطق الشرقية؛

- في التنمية الاحادية الجانب والمشوهة لمناطق شرق روسيا. بات اتجاه الخامات في الاقتصاد هناك سائدا. وفقط في الثلاثينيات من القرن الماضي وخاصة اثناء الحرب الوطنية العظمى، نقل الى سيبيريا من الجزء الأوروبي الكثير من المنشآت الصناعية الكبيرة، والمرافق العلمية والثقافية. ولكن والحق يقال ظهرت هناك قبل ذلك مؤسسات صناعية عملاقة مثل مجمع التعدين بكوزباس، وعدد من مؤسسات بناء الماكينات في الشرق الأقصى وشرق وغرب سيبيريا. ومع ذلك، لعبت الدور الهام في توفير الايدي العاملة هناك، الاشكال القسرية للعمل، ومن بينها معسكرات الاعتقال الكبرى وهو ما جعل المنطقة تبدو بصورة غير جذاب بتاتا. واستمرت هذه الصورة السلبية حتى يومنا هذا؛

- في تفاقم التناقضات داخل الثقافة والحضارة الروسية ككل. تحت ضغط التغريب كانت الخصائص الوطنية للثقافة الروسية وثقافات القوميات الاخرى تنمحل في تقاليد دينية وحضارية تعود لشعوب غريبة وفي النماذج الغريبة والرخيصة للحضارة والثقافة الغربيتين الاوروبيتين والامريكيتين. وعلاوة على ذلك، تم في أواخر القرن العشرين، التقليل من اهمية الحضارة والثقافة الروسيتين الى درجة وضعت معهما على المستوى السياسي «مهمة الدخول والاندماج في الحضارة العالمية»، وهو من حيث الواقع، يعني تهميش الثقافة الروسية.

وفي منتصف القرن الثامن عشر، عندما تم توحيد الدولة الروسية المركزية على شكل الإمبراطورية الروسية، قام مؤسس العلوم الروسية والتعليم الروسي ومصلح اللغة الروسية م. لومونوسوف ولاول مرة بصياغة اجمالية لثلاثة اهداف استراتيجية

للموقع الجيوسياسي لروسيا وهويتها الحضارية، وهيمنة أيديولوجية المركزية الأوروبية في العقيدة والسياسة ومحاولة تصوير كامل أراضي روسيا باعتبارها منطقة «أوروبا الكبرى» يثير التناقضات في تطوير البلاد ويؤدي إلى تقلبات مستمرة في سياساتها، والى تقويض التضامن والتعاضد القومي المشترك للروس مع شعوب روسيا الاخرى، مما يؤدي إلى تآكل الهوية والثقافة وإضعاف موقف روسيا على الساحة العالمية.

وهناك مثال له دلالة في هذا المجال: عدم مشاركة الاتحاد الروسي (على الأقل حتى وقت قريب) في حوار القادة الأوروبيين والآسيويين في العديد من المحافل السياسية الهامة. ويعتقد ممثلو الدول الغربية أن روسيا يجب أن تشارك في الحوار من جانب آسيا لأن معظم أراضي روسيا في آسيا. وأما الدول الآسيوية، فتشير الى أن روسيا تصر باستمرار على أنها دولة أوروبية، ولذلك يجب ان تكون ممثلة ضمن الدول الاوروبية.

وللأسف، لم تتسم السياسة الداخلية لروسيا منذ عهد القيصر بطرس الأول بالاستمرارية في مجال حل مسائل الهوية الجيوسياسية والحضارية للبلاد وثقافتها. ومن المعروف ان بطرس الأول كان يدفع روسيا إلى أوروبا. وخلال الحقبة السوفيتية دعا فلاديمير لينين وبعض أتباعه المقربين إلى مكافحة المكونات الآسيوية في السياسة والثقافة الروسية. كل هذا زاد من هيمنة المركزية الأوروبية في سياسة البلاد، وتسبب بشكل خاص في التقليل من قيمة الجذور الروسية والسلافية الحقيقية ومكونات الحضارة الروسية. وظهرت هذه الاتجاهات في السياسة العملية وتظهر حتى الان في أن المركزية الأوروبية تهيمن في جميع الامور. وحصل كل ذلك على تكوين اقتصادي وسياسي ملموس:

- في تركيز الموجودات الاساسية الثابتة والأهداف الاستراتيجية الهامة لتنمية البلاد في الجزء الأوروبي من روسيا وتحول موسكو الى مركز احتكاري فوق العادة في مجال الموارد المالية وغيرها من الموارد في البلاد؛

مساهمة بقية الجماعات الاثنية في الهوية الروسية. وبالذات عند الاستناد على هذا المنهج يمكن تحديد الهوية الذاتية للاثنوس الروسي وللدولة وللنخب.

ويجب القول إن «المساواة» بين مفهوم الثقافة الروسية البحتة وثقافة شعوب روسيا، في وسائل الإعلام والممارسة الحكومية العامة، الناتجة عن إهمال الموظفين البيروقراطي أو عن الجهل، تعطي الذريعة لممثلي القوميات الاخرى لإلقاء اللوم على الشخصيات الثقافية الروسية وعلى الثقافة الروسية العظيمة وتوجيه التهمة بعدم احترام ثقافات الشعوب الاخرى غير الروسية. وبهذا الشكل يحمل الذنب للمثقفين والفنانين والوطنيين الروس على الرغم من انهم في الواقع غير مذنبين.

وقامت الثقافة الروسية وثقافة شعوب روسيا وعند طريق الاخذ الإبداعي وتطوير العديد من الانجازات في الثقافات الغربية والشرقية، بصياغة ووضع منظومة للقيم الحضارية تستطيع التفاعل مع الحضارات الشرقية الأخرى وتصبح البديل البناء لعقيدة التغريب العام العدوانية المخربة. ومنظومة القيم هذه تستطيع المساهمة في توحيد وانسجام العالم، وتهيئة الظروف من أجل الحفاظ على وازدهار وتنوع الثقافات والحضارات، وتطوير الحوار البناء بينها.

وعند الحديث عن الهوية الذاتية لروسيا وشعوبها، لا يمكننا أن نتجاهل العوامل الجيوسياسية. لأن ثلثي أراضي روسيا هي سيبيريا والشرق الأقصى. وبالإضافة الى الروس والشعوب السلافية القريبة منهم يعيش في روسيا اكثر من مئة قومية وشعب كبير بما في ذلك عشرات الشعوب الأصلية في سيبيريا والشرق الأقصى، التي بالفعل لا يمكن بأي شكل من الاشكال ربطها مع أوروبا، بدون الوقوف بثبات على طريق التغريب أو الاعتماد على مفهوم التعددية الثقافية الذي أثبت إفلاسه.

ومن المعروف ان الدول والشعوب الآسيوية تعتبر روسيا كقسم من الثقافة الأوروبية وأما الأوروبيون، وخاصة الغربيون، فينظرون الى روسيا عبر الموشور الاسيوي. وطبعا لا يمكن لأية من وجهتي النظر هذه ان تعطي فكرة كاملة عن الهوية الروسية، وخاصة الثقافة الروسية. ومن الواضح أن تجاهل الجوهر الأوراسي

بين الثقافات الوطنية وضمن الحضارة الروسية الموحدة. ويلاحظ أن بعض السياسيين ومؤلفي الاعمال العلمية الخاصة بعلم الثقافة غالبا ما يفضلون عدم التأكيد على الدور المحوري للثقافة الروسية والحضارة الروسية في تطور حضارة روسيا الموحدة.

وهم عندما يدور الحديث بالذات عن الثقافة الروسية البحتة وعن تجربة وتقاليد الحضارة الروسية، يعمدون على تسميتها بثقافة وحضارة شعوب روسيا. وجدير بالذكر أن مثل هذا الاهمال ليس بالعديم الضرر كما قد يبدو للوهلة الأولى ويمكن أن تنتج عنه عواقب غير مرغوب فيها جدا. وهذا النهج يؤدي إلى تآكل الهوية الوطنية للشعب الروسي وتهميش الدور التاريخي للثقافة الروسية والحضارة الروسية، سواء داخل روسيا وفي المقياس العالمي.

ولا شك في أن الفرز بين الثقافة الروسية البحتة وثقافة شعوب روسيا سيقلل من دور ثقافات الشعوب الأخرى في بلادنا، ويؤدي لتجاهل ميزات وخصائص ثقافات الشعوب الأخرى التي ساهمت بشكل كبير في قيام وترسيخ ثقافة الشعوب الروسية كخلاصة وافية من السمات والإنجازات المحددة المشتركة، التي تكون وتخلق سيمفونية من التنوع الثقافي و التطور الحضاري لجميع شعوب روسيا.

وفي حينه قام ن. دانيليفسكي بطرح تعليق في مكانه وقال: «لا يسمح التواضع الحقيقي ولا الاعتزاز الحقيقي، باعتبار روسيا من اوروبا... وفقط بعض المتسلقين المدعين الذين لا يعرفون التواضع الحق والاعتزاز النبيل يحلقون في دائرة يعتقدون أنها العليا السامية وأما الذين يدركون مدى كرامتهم فيبقون ضمن دائرتهم ولا يعتبرونها (في أي حال من الاحوال) مذلة ومهينة بالنسبة لهم بل يحاولون تحسينها بشكل يجعلهم لا يحسدون أي احد وأي شيء» (14).

ولكن، ومع تذكر تاريخ روسيا القيصرية المتناقض، لا يجوز بتاتا السقوط في تطرف اخر عندما تم إعلان كل ما هو ايجابي في تاريخنا، يعود الى السلافية. ونفس ن. دانيليفسكي عندما تحدث عن روسيا «كشخص تبنته اوروبا» (15) دعا الى تذكر

وسيتسبب حتما بكبح تطورها. و ممثلي النخبة في هذه الثقافات سيضطرون عن وعي أو بغير وعي للبحث عن بديل للثقافة الروسية، واللغة الروسية وغيرهما من مكونات مجتمعنا، وسيتمسكون بالمسالك الاوروبية المركزية وهو ما سيشجع على استبدال اللغة والثقافة الروسيتين كناقل لثقافات الشعوب الصغيرة، باللغة الانكليزية وسيؤدي ذلك بالتالي الى تعزيز وتقوية التقاليد الغربية للثقافتي الامريكية والاوربية بين هذه الشعوب.

ولا شك في ان تجاهل الجوهر الأوراسي لثقافتنا سيؤدي في واقع الحال إلى تقويض الوحدة وتدمير «الغلاف» الحضاري لروسيا. أما النموذج الأوراسي فيؤدي الى توحيد الشعوب التي تعيش في روسيا حول الثقافة الروسية. لقد اشار الباحث ال كبير للحضارة العالمية أ. توينبي إلى أن «الروس في العلاقات مع غير الروس يفتقدون لشعور الاحتقار تجاه الامم الاخرى». وذكر الباحث أن «هذا فعلا تقليد روسي ودي يستحق الاعجاب (11).

يعتبر الشعب الروسي العمود الرئيسي لنظام الدولة الروسية ولاكبر أمة بالعدد قامت بوضع وصياغة ثقافة فريدة من نوعها ووحدت تحت قيادتها وادارتها أراضي واسعة. وأقام الروس علاقات تعاون ودي قائمة على حسن الجوار والتعايش والتنمية المشتركة مع أكثر من 120 شعبا وقومية ومجموعة عرقية. ولقد لاحظ مؤلفو كتاب «العقيدة الروسية» عن حق أن: «الثقافة الروسية ثقافة عالية وسامية جدا لاستيعاب القيم الاجتماعية. والروس مع استيعاب الغنى الثقافي لمختلف التقاليد يفضلون عدم رفض أي شيء وعدم انكار أي شيء. وبفضل هذه الصفة لثقافتنا، يمكن ان تعيش في روسيا كل ما هو قيم مما أنشأته البشرية» (12).

ويرى مؤلفو العمل المذكور أن «العقيدة الروسية هي في جوهرها عالمية ولكنها موجهة في المقام الاول تجاه روسيا نفسها» (13). ومن هذا المنطلق تعتبر الاساس المبدئي المشكل للاوراسية وبمثابة المرشد الفكري لبناء الدولة وحوار الاثراء المتبادل

الروحية للصين والهند وغيرها من الدول الآسيوية المجاورة لنا، بل تمثل نموذجا جديدا لعلم ثقافتها الوطنية.

في البعد العقائدي تخلق الاوراسية حقلا كوكبيا تحدد فيه كل ثقافة أولا، مكانها بين الثقافات الأخرى، وثانيا، تقوم بتحقيق اكتشاف جديد لتقاليدها الخاصة، الذي يحفز فعالية الوعي في اتجاه الهوية الذاتية، وثالثا، تحصل وفقا لطبيعتها على طريقها خاص في الوجود والتطور، ورابعا، جنبا إلى جنب مع الثقافات الأخرى تشارك في صياغة ووضع القاموس العقلي للبشرية، وخامسا، تكتسب كل الثقافات وتبلغ الوحدة التي تنطفئ فيها احتمالات نشوب نزاعات بين الثقافات ويتحقق مستوى التناغم وحوار الثقافات البناء بشكل متبادل.

ويجري في هذا الحقل بالفعل وسيتعمق الحوار الحقيقي بين الثقافتي الصينية والروسية. ومن جانب الصين هنا يقف الانسان بالروحانية العالية ومن جانب روسيا، الانسان بروحانية الاوراسية الجديدة، وسيجري الحوار بينهما بلغة القاموس العقلي للبشرية.

ويجب القول إن فكرة الهوية الاوراسية للموقع الجيوسياسي لروسيا وحضارتها، في قناعتنا العميقة، تملك مكانة أساسية بالنسبة للتطور السليم للبلاد وتقوم بضمان وحدة اراضيها واستقرارها الداخلي وذلك لأن فكرة الاوراسية تأخذ بعين الاعتبار الجذور التاريخية والمكونات الحضارية الداخلية والعوامل الحضارية الخارجية التي وبفضل تمازجها تشكلت الثقافة الروسية التي باتت بمثابة الاساس الصلب لثقافة شعوب روسيا. وتجدر الإشارة إلى المكانة العالية لها جعلت منها القوة الناقلة والمحركة لنهضة وازدهار ثقافات الشعوب الناطقة بلغات اخرى التي تقيم في روسيا وباتت اللغة الروسية لغة الوصل والتخاطب بين اللغات والثقافات القومية الاخرى لكل شعوب روسيا مع الحضارة العالمية ومع الثقافة العالمية.

إن اي تجاهل لفكرة الاوراسية سيؤدي الى تمزيق الروابط المتنقلة والمتبادلة بين الثقافات الصغيرة والشعوب الصغيرة في روسيا الاتحادية مع الثقافة العالمية

الآوراسية مع بعضها البعض. وارتبطت بقوة في كتلة واحدة ضخمة، التي لم يعد من الممكن فعلا تفكيكها...» (10).

ويجب القول إن الاوراسية الجديدة تحمل في القسمين النظري والتطبيقي العملي الشفرة الوراثية لعموم الثقافة الأوراسية، وهي تقوم بتأريضها في التربة الاثنية والواقع الحضاري («موقع» و«مكان تطور» الحضارة)، وبهذا الشكل ترفع صفة القدسية عن السر المقدس للنواة الروحية للنظم الحضارية وتتخطى و«تزيل» الانغلاق اللاارادي وتجهز الامر للانفتاح مع ضمان عدم وجود الصدام وضمان السلامة والرخاء لكل ثقافة عرقية.

ويمكن بوضوح مشاهدة طبيعية الاوراسية في الثقافة الصينية منذ العصور القديمة. على سبيل المثال، تم عرضها في الأفكار الكونفوشيوسية عن الإنسانية، والاجتهاد، والود، ومبدأ «لا تفعل للآخرين ما لا تريده لنفسك» فضلا عن المبادئ العشرة للفيلسوف الصيني موزي، مثل «الحب العام الشامل والمنفعة المتبادلة» و«معارضة التبذير، والتوفير في التكاليف» و«القوي يساعد الضعيف» و«العدالة والمنفعة [للمجتمع]» الخ...

وفي العصر الحديث وردت هذه المفاهيم في مبدأ يانو الذي أعلن في الثمانينيات – التسعينيات من القرن التاسع عشر (توحيد الثقافة الروحية والأخلاقية المثالية المتكاملة للصين مع «التكنولوجيا والتقنية من الخارج»)، وفي مبدأ الاقتراض الإبداعي للخبرة الأجنبية، اي مبدأ هواشي (نشر الطابع الصيني على الامور الغربية) الذي صاغه سون ياتسين، و في الوقت الراهن، في بناء «الاشتراكية ذات الخصائص الصينية» على أساس الانفتاح والإصلاح والتحديث، بالاضافة الى «بناء الثقافة الروحية الاشتراكية» و«خلق الإنسان من مادة روحانية عالية».

وهذا كله يؤكد الموضوعية الكونية للاوراسية وطبيعتها العالمية، ويبين أن الكثير من الافكار الموجودة في الاوراسية الجديدة ليست بالغريبة بالنسبة للثقافة

المقيمة في روسيا الى حقلها، وتفتح لهذه الثقافات آفاق جديدة للتنمية المشتركة والمساعدة المتبادلة والتعاون بين سكان وشعوب روسيا وتكشف عن امكانات التعاون على أساس الوعي بالمصير التاريخي المشترك.

وفكرة الاوراسية الجديدة في صفة المبدأ الشامل للأوراسية تملك ليس فقط صفات روسية بحتة بل وعالمية شاملة. فهي، الاوراسية، تعطي البديل لابتلاع ثقافات وحضارات بعض الفئات الاثنية لثقافات وحضارات اخري وهي تتحول الى واحدة من الأفكار الأساسية لتشكيل النظام الجديد المستقبلي الكوني للعلاقات بين الحضارات التي تضمن وتوفر البيئة اللازمة للثقافات والحضارات مع الحفاظ على التنوع العرقي والحضاري. وعن طريق ترسيخ ذلك تلعب الاوراسية دور العامل العالمي للتطور وتشدد على فهم التطور التاريخي بالذات عن طريق المساواة لكل شعب واحترام اختياره والإثراء المتبادل بين الثقافات المختلفة.

وتلعب الاوراسية الجديدة دور المستقبل والمتابع والحافظ لكل التقاليد الإنسانية العظيمة التي جمعتها الثقافة الروسية. وهي تعطي الفرصة لتخطي الاستقطاب الدائم عبر خطي الشرق – الغرب، والشمال – الجنوب، وتفتح الطريق لازدهار جميع الدول على الفضاء الأوراسي. وتجدر الاشارة الى ان الاوراسية الجديدة تحمل آلية فريدة من التقارب والتنسيق والتنمية المشتركة والرخاء المشترك بين الثقافات الآسيوية والأوروبية، الأمر الذي يثير، ينعش ويلهم التقاليد الوطنية العميقة، ويكشف عن أصولها وجذوها ويبين وحدتها ونقاط اختلافها ويشكل طرق تجانسها.

وقام أحد مؤسسي الاوراسية في العشرينيات – الثلاثينيات من القرن العشرين الامير ن. تروبتسكوي بوصف جوهر الاوروسية كإنعكاس للمصير المشترك للشعوب التي تقطن أوراسيا: «في الأخوة الأوراسية ترتبط الشعوب مع بعضها البعض ليس وفق مجموعة العلائم هذه او تلك بل بالمصير التاريخي المشترك. وأوراسيا هي وحدة متكاملة جغرافيا واقتصاديا وتاريخيا. لقد تشابكت مصائر الشعوب

وتجدر الإشارة بشكل خاص إلى أن الاوراسية الروسية المعاصرة هي واقعة موضوعية عالمية وحقيقة جغرافية وإنسانية واجتماعية تعكس الموقع الجيوسياسي والعالمي لروسيا. ومن المعروف ان روسيا تغطي جزءا من الاراضي الأوروبية والآسيوية وتوحدهما في أوراسيا، وهي تشمل في مجالها عناصر الثقافات الأوروبية والآسيوية وتصهر ثقافة روحية ذات الجودة الانسانية الفضائية العليا.

ويجب القول إن الشفرة الوراثية للأوراسية الروسية تتوافق مع نوع معين للنظرة الشاملة التي تتركز فيما تم التعبير عنه في فكرة الاوراسية الجديدة. وهي التي كانت دائما موجودة منذ ولادة روسيا، ولكن عملية ايعائها كانت ملكا لدائرة صغيرة من المفكرين، وللأسف، ترسخت بمعناها الحقيقي في العقل الباطني لدى الجمهور أو جرى التعبير عنها في أشكال دينية غير مناسبة، وكانت تستبدل بعقائد مضاربة سياسية دخيلة وتهمل من قبل السلطة السلطات المسترشدة باشكال المركزيةالاوربية الغربية الاحادية الجانب.

ولكن هذه العقائد استنفذت نفسها في الوقت الراهن و من جديد وأخذت فكرة الاوراسية المتجددة في نموذج محدث تظهر على سطح الوعي الذاتي للاعراق الروسية. ويلعب ممثلو النخبة العلمية والروحية والفكرية الوطنية – ورثة المفكرين البارزين للاوراسية الفلسفية والدينية الروسية، دور كيانات نهضتها وانبعاثها وتشكل فئاتها وترسيخها في التربة الوطنية.

وبالنسبة لروسيا، تعتبر فكرة الاوراسية الجديدة بمثابة مفتاح حل مشكلة تماثل الأمة الروسية الذاتي، ليس فقط الجيوسياسي بل والروحي الإنساني، والكشف عن الاسرار الروحية للحضارة الروسية، وعن الاسس التيليولوجية والقاعدة المبدئية المكونة، وبدون ذلك قد تعتبر فقط كمقلدة وكمنتج ثانوي للحضارة الرومانوأطلسية. ومن نافل القول إن فكرة الاوراسية الروسية الجديدة تعطي للثقافة الروسية قوى جديدة تشكل عامل جذب لثقافات الشعوب الاخرى

ولكن الحديث يجري الان وفي المقام الأول عن مجموعة متقاربة وتوليفة للثقافة السلافية الروسية الأصلية مع طبقة ثخينة من الثقافة السياسية والإنسانية المأخوذة من البيزنطية والمسيحية، وكذلك من الثقافات الاوغورية الفنلندية والتركية المغولية، التي من خلالها اخذت روسيا بشكل غير مباشر بعض الاجزاء للثقافتين الماديتين والسياسيتين للصين والهند (7).

وفي هذا الصدد، كتب غيورغي فردانسكي: «حصل الشعب الروسي على ارثين من التراث التاريخي الغني – المنغولي والبيزنطي. الارث المنغولي على شكل الدولة الأوراسية. والارث البيزنطي على شكل الدولة الأرثوذكسية. وتم مزج البدايتين بكل وثيق فيما بينهما خلال التطور التاريخي للشعب الروسي. ولكن خلال فك تشابك خيوط هذا التطور، من الضروري أن نتذكر وجود البدايتين في آن واحد وملاحظة تأثيرهذه وتلك. وبدون شك يمكن القول إن العلاقة بين النفوذين المنغولي والبيزنطي في التاريخ الروسي هي العلاقة بين نظام الواقع و نظام الفكرة» (8).

ومع التوغل والذهاب أبعد من ذلك أكد ن. تروبيتسكوي، على سبيل المثال، ما يلي: «تقريبا كل اراضي الاتحاد السوفيتي حاليا كانت في وقت ما ضمن الملكية المنغولية، التي أسسها جنكيز خان العظيم. ومن الواضح ان ضم خوارزم وبخارى، اللتين احتفظتا بالاستقلال الوهمي خلال حكم اخر القياصرة الروس، إلى الاتحاد السوفييتي، وإعلان الجمهورية السوفييتية في منغوليا، ليس إلا بمثابة استمرار وتعزيز العلاقات التاريخية بين روسيا والنظام الملكي لجنكيز خان. وعلى نفس الطريق يمكن التنبؤ بثقة في المستقبل بانضمام تركستان الصينية. وهكذا، في منظور تاريخي، فان الدولة الحديثة التي يمكن أن يطلق عليها اسم روسيا والاتحاد السوفييتي (الموضوع ليس في التسمية)، ليست إلا قسما من النظام الملكي المنغولي العظيم الذي أسسه جنكيز خان» (9).

-4 وتتمتع الاوراسية بعدة قوعد لتشكيل الثقافات على أساس مبادئ التوليف المتقارب والتأثير المتبادل والتعلم المتبادل. وهي في بنيتها تعتبر وحدة متعددة الطبقات ومتعددة الأعراق، ومتعددة الحضارات تضمن التعايش بين مختلف الجماعات العرقية والثقافات المختلفة في إطار دولة واحدة، وعلى نطاق شامل.

وظاهرة الأوراسية في جوهرها تتضمن عناصر ومكونات تميز ليس فقط ثقافات شعوب أوراسيا. والاوراسية بخلاف المركزية الأوروبية، تنطلق من المساواة والبنية الأفقية للعلاقات بين الثقافات المختلفة، في حين أن المركزية الأوروبية تنطلق من العلاقات الشاقولية بين الثقافات والاقرار بأن احدى الثقافات أعلى وغيرها أدنى.

والمركزية الأوروبية الماكرة تنظر الى عملية استيعاب الثقافات الأخرى وانقراض الثقافات الصغيرة الفريدة من نوعها بوصفها الظاهرة الطبيعية والحتمية. وهي تتطلب استبدال نظم القيم الثقافية المميزة «بنظم عامة» وهو ما يعني من حيث الجوهر استبدالها بقيم الثقافة الغربية.

وتحت ذريعة «الدخول في الحضارة العالمية» يرغب انصار المركزية الاوروبية الروس تحطيم معنويات المبادئ الروحية الروسية والسلافية والثقافة الروسية وطمس الطابع الروحي للثقافة الروسية. ومن الناحيتين السياسية والاقتصادية وتحت نفس الذريعة يريدون إضعاف الوحدة السياسية والاستقرار الداخلي في روسيا كدولة متكاملة واحدة متعددة الجنسيات ومتعددة الطوائف.

هذا السؤال نفسه طرح في المناقشات وخلال المواجهة السياسية بين الغربيين أنصار نشر الطابع الاوروبي في روسيا، وأنصار الطابع السلافي ومن ثم اصحاب التراب ودعاة الوطنية والدولة الذين شددوا على الطابع الفريد للثقافة الروسية على اعتبارها بمثابة عنصر الالتحام والانصهار للعديد من الثقافات والتجارب التاريخية للعديد من الشعوب المقيمة تاريخيا أو التي لا تزال تقيم في أراضي روسيا وبجوارها.

الروسي في كتلة غير محددة من القاطنين في روسيا. من ناحية أخرى، تبدو مناسبة جدا في هذا السياق ملاحظة ي. بيفوفار حول إنه تقف خلف مصطلح «العالم الروسي»، ظاهرة اجتماعية وثقافية متعددة الأوجه تجمع بين روسيا بحد ذاتها والحقل الحضاري المرتبط بها» (2).

وتجدر الإشارة إلى أن منتقدي مفهوم «الاوراسية» كنموذج لتطور روسيا من جماعة «المتمسكين بالاوروبية» يحاولون تشويه المفهوم المذكور مستندين خلال ذلك الى المثال التاريخي للاوراسية الذى ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي والذي حمل الطابع المعادي للغرب بشكل واضح لا لبس فيه. ولكن هذه المشاعر المعادية للغرب كانت نابعة من الوضع السائد في ذلك الوقت.

-1 الميزة الرئيسية للأوراسية تتلخص في الاقرار بالخصوصية الجغرافية «لمكان التطور» (3). والوضع الدولي والأصل التاريخي للحضارة الروسية، التي تشكل الثقافة الروسية أساسها وعمودها الفقري وحيث لغة التخاطب هي اللغة الروسية.

-2 تقر الاوراسية بتعدد المراكز باعتباره مبدأ منهجي عام (4) والتعاون والتكامل بين الثقافات والمواقف تأثيرها المتبادل وتعلمها المتبادل. ووفقا للاوراسية فأن العلاقات بين الثقافات تبنى وتقام بشكل أفقي على أساس مبادئ الشمول، والمساواة، والتناغم، والاعتراف بالطابع الفريد المتميز لثقافات جميع المجموعات العرقية القومية، حتى ولو بلغ تعداد أفرادها عدة آلاف فقط (5).

-3 يقوم المبدأ الاوراسي للعلاقات المتبادلة بين الثقافات ويبنى على اساس الانسجام والتفاعل. وفي هذا المعنى تتطابق الاوراسية مع المسلك الكونفوشيوسي تجاه التطور الثقافي وانسجام التنوع (هي إير بوتون) والجدلية الدواية لتفاعل الظواهر المتعاكسة في الطبيعة والثقافة (هي إير إير اي، وفان فاي اير) – الاندماج بين الأضداد في واحد وتقسيم الواحد الى متضادات جديدة (6).

والوعي الوطني الذاتي لمواطني روسيا والاثنوس الاكبر فيها – الشعب الروسي، لا يمكن أن يتجاهل كذلك واقعة أن الحضارة القومية الروسية وحضارة سكان روسيا تشكلتا وتتطوران ويظهران تأثيرها الواهب للحياة في الفضاء الجيوسياسي، حيث تتقاطع وتتفاعل مع بعضها البعض حضارات كبرى: الروسية العظمى والسلافية والبيزنطية والرومانية الألمانية والاوغورية الفنلندية والإسلامية والصينية والهندية والمنغولية التركية وكذلك حضارات اكثر من مئة من الشعوب الأصلية الصغيرة في حوض الفولغا والأورال وسيبيريا والشرق الأقصى وفي المناطق الشمالية.

كل ذلك خلق في مجال النو (Noosphere) حقلا قويا للتأثير المتبادل والتعلم المتبادل والتكافل والتعايش الأثني الاجتماعي الثقافي والتقارب الثقافي، الذي وفرته الثقافة الروسية وثقافات شعوب روسيا أي المحصلة الإجمالية لمنجزات ثقافات كل الشعوب القاطنة في روسيا التي تجري الإشارة إلى تميزها الفريد بمصطلح «الاوراسية».

ومع الاخذ بالاعتبار ما ذكر أعلاه، فسيكون من الخطأ أن يجري وضع مفهوم «الفكرة الروسية» و»الاوراسية المعاصرة او الجديدة» بشكل متعارض، وذلك لأن «الفكرة الروسية» تعتبر بمثابة العمود الفقري القوي وبمثابة الشريان الحيوي للأوراسية. ويجب الاعتراف وللأسف الشديد، بأن مصطلح «الاوراسية» بحد ذاته يمكن أن يبدو للبعض احادي الجانب لأننا وعند النظرة السطحية نراه يعكس جانبا واحدا فقط من هذه الظاهرة، اي الموقع الجغرافي حيث تكونت هذه الظاهرة الثقافية الحضارية والروحية. وهذا يثير جميع أنواع الجدل التي تتعلق غالبا فقط ببعض الجوانب الثانوية لتلك الظاهرة الفريدة الى هذه الدرجة.

ماذا يعني مفهوم «الاوراسية» ؟ وماهي خصائصه المميزة وكيف يختلف عن «فكرة الروسية»؟ عارض بعض العلماء استبدال مفهوم «الفكرة الروسية» بمصطلح «الاوراسية» لأنه ووفقا لاعتقادهم سيؤدي ذلك الى انحلال وذوبان الشعب

روسيا الفيدرالية، وظهور افكار الانفصالية المحلية، والانعزالية الإقليمية، فضلا عن ظهور وتفاقم التوترات العرقية.

من المعروف أنه تراكمت لدى الشعب الروسي الذي عاش في المجال الطبيعي القاسي في أوراسيا على مدى قرون طويلة مع شعوب روسيا الاخرى، تجربة فريدة من نوعها في مجال العيش واستثمار مساحات واسعة جدا من الاراضي واستغلال ثرواتها الطبيعية، وتمكن من تكوين وخلق أشكال ثقافية وحضارية غنية ومتنوعة في محتوياتها وهي التي تشكل الخلفية الطبيعية والتاريخية الأكثر ملاءمة ليس فقط من أجل البقاء في الظروف المناخية السيئة والقاسية، ولكن أيضا لتطوير كل كيان قومي عرقي سكن واستقر داخل هذه الاراضي وفي هذه البلاد، على أساس حسن الجوار والتعايش والتعاون والتنمية المشتركة، والدعم المتبادل، والتأثير المتبادل، والتعلم المتبادل والتسابق غير التصادمي والتنافس الشريف. وبشكل عام، كل ذلك يعد بمثابة المساهمة الضخمة التي لا تقدر بثمن من جانب الشعب الروسي، وشعوب روسيا الاخرى في الحضارة العالمية.

وتجدر الإشارة إلى أن الصفات والطباع الايجابية المتأصلة في الشعب الروسي: الكرم والود واتساع الآفاق وروح الدعابة والعظمة والانفتاح، وعدم الجشع – انعكست بشكل كاف في الطبيعة والثقافة الأخلاقيتين والفكريتين لخصائص ملاحمته الطبيعية والتاريخية.

والفكرة الروسية هي فكرة المحافظة على وتطوير ومضاعفة الجوانب الخيرة السياسية والاقتصادية المعيشية والثقافية الحياتية والبسيكولوجية للشعب الروسي وتكييفها مع الخصائص الجيوسياسية الأوراسية لموقع التواجد وللتنوع الحضاري الذي يشكله تقاطع العديد من الثقافات والديانات في هذا الجزء من اوراسيا: المسيحية في كل مظاهرها، والإسلام والشامانية والبوذية والكونفوشيوسية الطاوية واليهودية وغيرها.

جوهر مفهوم «الاوراسية» في إطار التطبيق. ويزيد من تعقيد الوضع تاريخ ظهور وتطور هذا المصطلح في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي والصراع والجدل الفكري السياسي بين مختلف مجموعات المهاجرين الروس في أوروبا (في براغ، وباريس، وبرلين، وصوفيا) وفي آسيا في (هاربين وشانغهاى). وهذه الخلافات كانت عبارة عن انعكاس للعلاقات المعقدة من جانب ممثلي النخبة الروسية الوطنية السابقة الذين تركوا الوطن، تجاه الواقع السوفياتي في ذلك الوقت، وفي الوقت نفسه عن البحث عن طرق وسبل للحوار.

طبعا لا تشمل مهمتنا وصف تاريخ ظهور هذا المصطلح وتفسيراته في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي في أعمال العالم الكبير الأمير ن. تروبيتسكوي والاساتذة ب. سافيتسكي ول. كارسافين وغ. فردانسكي، ومن ثم في الستينيات – الثمانينيات من القرن العشرين في أعمال ل. غوميليوف. حول هذا الموضوع هناك مراجع أدبية كثيرة وغنية جدا. في بداية التسعينيات وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي تم التقاط بعض الأفكار الدولانية والإبداعية لمنظري الافكار الاوراسية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي وبعد أن تمت إعادة صياغتها لعبت دور الدفعة القوية لظهور اتجاهات وتيارات مختلفة من الاوراسية التي تمثلت في روسيا بأسماء متعددة، من بينها أ. دوغين، وس. بانارين، وم. تيتارينكو، وغ. يوغاي. ويشغل مكانه الخاص المتميز بين أنصار هذا الاتجاه الفكري والسياسي، المشروع الأوراسي لرئيس كازاخستان نور سلطان نزاربابيف.

نحن يهمنا جوهر «الاوروسية» الجديدة التي أصبحت مادة آنية وملحة جدا في النقاش الفكري والسياسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والبحث عن فكرة الوطنية، التي من شأنها أن تخدم كأساس للتعاضد ونهوض روسيا المستقلة في ظروف التوسع والتدخل الثقافي الحضاري الصارم من جانب الغرب. لقد أدى هذا التوسع إلى تآكل خطير للهوية الذاتية الثقافية الحضارية والابتعاد عن السياسة والنفور منها والاكتئاب الروحي للشعب الروسي وغيره من شعوب

حول الهوية الاوراسية الجديدة لروسيا

فلاديمير بيتروفسكي
كبير العاملين العلمين في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية، دكتور في العلوم السياسية
petrovsky@gmail.com

ميخائيل تيتارينكو
اكاديمي في أكاديمية العلوم الروسية

تسبب تنفيذ روسيا للنهج الاستراتيجي للتحول نحو الشرق، بإضفاء الطابع الآني على النقاش العلمي والسياسي الاجتماعي حول التحديد الذاتي الاوراسي لدولتنا وحول الفهم المناسب والكافي للهوية الاوروسية لروسيا. وحسب اعتقادنا لا زال يتوجب علينا صياغة وإدراك القيمة الفلسفية والجيواقتصادية والجيوسياسية الحقيقية للصفة الاوروسية لروسيا.

وكما أشار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، «الطابع الاوروسي هو تقاليد أفكارنا السياسية. وهو متجذر في روسيا منذ فترة طويلة، والآن بات يأخذ معنى جديدا بشكل تام، وخاصة بسبب تكثيف عمليات التكامل في المجال ما بعد السوفيتي. وبالإضافة لذلك لقد انتقل بالفعل من مجال الفلسفة السياسية الى المستوى السياسي، وإلى جدول أعمال النشاط الساري» (1).

وفي ذات الوقت يتطلب الطابع الآني للصفة الاورواسية لروسيا، وبدون شك، بعض التوقف التاريخي والفلسفي وهو ما يفرض بدوره ضرورة التعليق الشامل على

(1) في فبراير عام 2016 انتقل ميخائيل تيتارينكو إلى العالم الاخر. وهذه المقالة تعتبر العمل الاخير له، وقام بتحضيرها خصيصا لمجلتنا.

المراجع:

1. http://sov-europe.ru/2014/1/Starkenkov.pdf
2. المرجع نفسه.
3. المرجع نفسه.
4. Hospodarske Noviny. 11.01.2016.

كلمات البحث: هجرة، الاتحاد الاوروبي، «بؤر الخلافة»، انغيلا ميركل، ر. فيكو، اللاجئون المسيحيون، نهاية التعددية الثقافية.

بتقديمها وهذا يتعلق بشكل خاص بالمسيحيين السوريين الذين تبدو حياتهم مهددة بالخطر».

ويجب القول إن بعض الدول الأوروبية متعاطفة مع المسيحيين القادمين من الشرق الأوسط الذين نجوا من كارثة لا تقل بل قد تكون أكبر من تلك التي عانى منها المهاربون المسلمون. ومن المعروف أن الجمعيات المسيحية بالذات تعرضت لملاحقات ولاضطهاد قاسي على أسس دينية. وبدون أدنى شك، لا يكون اللاجئون المسيحيون مشاكل خطيرة للأوربيين في المجال الاثني الديني. بالعكس، يمكن لأوروبا العلمانية أن تأمل بأن هؤلاء اللاجئين بالذات الذين عانوا بسبب الانتماء الديني سيساعدون الأوروبيين بتذكر جذورهم الحضارية هذا إذا لم يقوموا ببعثها. فحتى الان بدت صورة العلاقات الدينية بين السكان الأصليين والمهاجرين المسلمين غير متناسبة على الاقل: ففي المانيا اعتنق الاسلام 500 الف شخص من القومية الالمانية وفي فرنسا 300 ألف فرد من ابناء البلاد الاصليين. كل ذلك يعطي الاساس للخبراء للخروج بالاستنتاج التالي: «المسيحية الأوروبية (وخصوصا الكاثوليكية والبروتستانتية) اخذت عمليا تسلم مواقعها وتفقدها».

طبعا تسود اليوم بين بعض المختصين المتفائلين آراء تقول إن أوروبا القوية والغنية قادرة على «هضم» المهاجرين وستتمكن من استيعاب تياراتهم المتزايدة. ولكن التاريخ يعرف امثلة اخرى عندما لا يخرج الأقوى فائزا بشكل دائم.

«ومع نهاية العام اعترضته القوات السورية ودخلت الى يهودا ودار السلام، وقضت على كل أمراء الشعب وارسلت كل الغنائم المأخوذة منهم إلى ملك دمشق. على الرغم من أن عدد الجيش السوري الواصل كان قليلا إلا أن الرب سلم ايديهم قوة كثيرة لأنهم تخلوا عن رب وإله آبائهم» (2nd Chronicles. Ch. 23, 24).

فلن يقبلهم السكان المحليون طوعا. وسنضطر حينذاك لتنظيم مركز لهم، حيث سينشئون العالم الخاص بهم مع الجريمة وانعدام القانون والبطالة»(4). ويرى رئيس الوزراء السلوفاكي أن عملية الهجرة خرجت عن نطاق السيطرة وهي تحمل في طياتها مخاطر وتهديدات إرهابية في غاية الجدية. وخلال ذلك استند الى تقارير الهيئات الامنية الالمانية المختصة التي اقرت أن تهديد الهجمات الإرهابية اليوم أعلى حتى مما كان عليه خلال مهاجمة برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك. وقال ان هجمات كولونيا تدل بشكل واضح أننا نتعامل مع سلوك غير عقلاني للمهاجرين. ونوه بأن «أفضل تدبير وقائي هو منع تشكيل جالية مغلقة». واعرب عن اعتقاده «بان كل الجالية الإسلامية تشكل التهديد الجدي على طريقة الحياة الأوروبية». وتوصل السيد فيكو إلى استنتاج محزن: «نحن لا يمكن ان نسمح بان تستقبل سلوفاكيا عدة آلاف من المهاجرين من شمال أفريقيا والشرق الأوسط. وكما تبين من تجارب الدول الاوروبية الاخرى لا يمكن تكامل هؤلاء ودمجهم في وسط مغاير».

طبعا يخاطر رئيس وزراء سلوفاكيا كثيرا عندما يحاول تسمية الأمور والأشياء باسمها الحقيقي. لقد لاحظ احد زملائي الألمان «أن العادة جرت في المانيا الآونة الأخيرة بإطلاق لقب الفاشيين على الذين لا يؤيدون موقف ميركل تجاه المهاجرين».

وتجدر الاشارة الى ان معظم المهاجرين هم من الشباب الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و35 سنة. وتبلغ نسبتهم 80٪ من مجموع المهاجرين. ويقول ر. فيكو معلقا: «يرتدون عادة الملابس الجيدة ويحملون بطاقات الائتمان، ولا علاقة لهم بتاتا مع المهاجرين الذين يفرون من الجوع والعطش. طبعا لا استبعد وجود بينهم بعض الاشخاص الذين يحتاجون للمساعدة وسنقوم

حيث كان أئمة الجوامع يتمتعون بسلطة نهائية لا جدل فيها. وفي كل بلدان أوروبا الغربية تقريبا باشرت العمل المحاكم الشرعية الاسلامية ، التي «هيمنت تماما على الجاليات المسلمة مبعدة الهيئات القضائية الحكومية. واصبحت دولة قطر الممول الرئيسي للمحاكم الشرعية في أوروبا»(2). وفي المحصلة ولدت تسمية معبرة جدا لهذه البنى والهياكل المسلمة المغلقة في اوروبا - «بؤر الخلافة».

لقد باءت بالفشل كل محاولات إذابة و «تغريب» المهاجرين المسلمين. «في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بالذات ظهر في أوروبا الغربية الجيل الثالث أو حتى الرابع من العمال المهاجرين الذين تأملت سلطات الاتحاد الاوروبي في تكاملهم في المجتمعات التي استقبلتهم. ولكن أحفاد المهاجرين المسلمين الذين تمتعوا بالتسهيلات والمزايا الكثيرة في الدول المضيفة لهم أخذوا اكثر فأكثر يرفضون دراسة اللغات المحلية، ويرفضون استيعاب الثقافة الأوروبية مستعرضين خلال ذلك التزامهم بالقرآن والامة المسلمة» (3).

ومباشرة بعد الحرب العالمية الثانية قدم سنويا الى أوروبا الغربية 70-60 الف مهاجر غالبيتهم من الدول الاسلامية، ومع حلول نهاية القرن ازداد المؤشر الى 700 الف او حتى مليون شخص. وخلال ذلك وصلت حصة القادمين بالنسبة الى عدد السكان 10.3٪ بحلول عام 2000، وبحلول عام 2013 ارتفعت هذه النسبة إلى ما يقرب من 15٪، والآن بعد الأحداث المعروفة يمكن أن تزيد بشكل كبير. كل هذه الظروف اجبرت عددا من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي على اتخاذ موقف صارم ضد المهاجرين. وقال رئيس حكومة سلوفاكيا روبرت فيكو في مقابلة أجريت معه مؤخرا: «إذا سمحنا بدخول البلاد لعدة آلاف من الأشخاص وفقا لنظام الحصص

وبروكسل التي حاولت في «سنوات الهدوء» صياغة نهج مشترك لمشكلة الهجرة، لم تعد اليوم حتى تحاول «لجم» هذا الموضوع وذلك لأنها تدرك أنه لا يمكن أن تعطي وصفة واحدة، دون التسبب في ضجة وتذمر كبير. في وقت ما كانت ألمانيا مثل العديد من البلدان الأوروبية الغربية الأخرى تتمسك بأيديولوجية «ثلاثة A" تجاه القادمين من بلدان «العالم الثالث». وكان يعتقد أن المهاجرين المسلمين يجب أن يخضعوا لعملية تكيف (Adaptation)، ومن ثم لعملية استيعاب (Assimilation)، وأخيرا لعملية الامتصاص (Absorption)، اي يجب أن يذوبوا تماما في مجتمعهم الجديد. ولكن ذلك لم يحدث لعديد من الأسباب. ويكفي القول إن كل رابع شخص من الجالية التركية في ألمانيا اليوم لا يعرف اللغة الالمانية وكل واحد من اثنين لا يتعاطى مع الالمان. وتوجيه الاتحاد الاوروبي حول حق جمع الاسرة شطب كل الآمال المتعلقة بحدوث زيجات مختلطة: الرجال من المهاجرين يفضلون دعوة الأقارب واختيار الزوجات من بنات وطنهم.

وادى تكوين مجتمعات وجاليات ذات عرق واحد ومن طائفة دينية واحدة التي في حقيقتها ليست الا جيوبا منغلقة، الى السماح للمسلمين بتشييد المساجد. وكانت المملكة العربية السعودية بمثابة الممول الرئيسي لعمليات بناء المساجد في جميع أنحاء أوروبا. لقد جاء في أحد بجوث معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية: «تحولت المساجد الى مراكز ابتعاد للمسلمين عن المجتمع في أوروبا الغربية. وحدث كل ذلك في إطار الحقوق والحريات المنصوص عليها في الدساتير الديمقراطية الأوروبية الغربية» (1). وكانت مسائل تعليم الشباب، ودورات في القرآن الكريم، وكذلك تسوية الخلافات بين المسلمين، وبين العمال المهاجرين وأرباب العمل، وبين أفراد المجتمعات المحلية والسلطات، تتم داخل هذه الجيوب

«بؤر الخلافة» في أوروبا

أرمين أوغانيسيان
رئيس تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»
oganessian@interaffairs.ru

أن نسخ النموذج الأمريكي «لبوتقة الصهر»* أخذ يكلف أوروبا غاليا. ويبدو واضحا اليوم أن اوروبا وعلى الرغم من أنها تنتمي إلى العالم الغربي، إلا أنها تمتلك هويتها المتأصلة التي تتجلى في وجود طاقة متميزة لقوة التجاذب والتنافر تجاه الثقافات والحضارات الأخرى. وعلى الرغم من ذلك يبدو واضحا أن «ارتباك وتردد» طبقات السلطة العليا في أوروبا حول قضايا الهجرة يشكل تهديدا خطيرا لوحدة الاتحاد الأوروبي. وتجدر الإشارة إلى أن السيدة ميركل التي وقفت لتدافع عن الحد الأقصى للانفتاح والتسامح تجاه الموجة الجديدة للمهاجرين واللاجئين، أقرت منذ وقت ليس ببعيد بفشل سياسة التعددية الثقافية. وإذا كان الأمر كذلك فكيف ستكون السياسة المقبلة تجاه ملايين المهاجرين الذين يستقرون في أوروبا؟ لا شك في أنه لا توجد لدى برلين إجابة على هذا السؤال.

* نموذج التطور الاثني الذي يروج له الأمريكيون وفيه تنصهر مختلف العناصر الاثنية معا لتشكل ثقافة موحدة. ويستخدم هذا المصطلح لوصف استيعاب الدولة المضيفة للمهاجرين، وبدأ استعماله في ثمانينيات القرن الثامن عشر – **ملاحظة المترجم**.

7. نفس المصدر.
8. *Barber J.* The Puls of politics: electing presidents in the media age. NY, London, 1980. P.3.
9. *Rothkopf D.* In Praise of Cultural Imperialism // Foreign policy. 1997. Summer. №107. P.40.
10. Commentary. February 1984. p.45.
11. *Blair T.* A Battle for global values//Foreign affairs. 2007. January/February// http://www.feelingeurope.eu/Pages/A%20battle%20for%20global%20values.html
12. Ibid.
13. The Times. 2004. 19 October.
14. سايمس د. وأيلسورت ر. اخلاق الواقعية الامريكية. / روسيا في السياسة العالمية. العدد 1. 2005 يناير-فبراير. ص96.
15. *Hoch M.* Krieg und Politik im 21. Jahrhundert // Aus Politik und Zeitgeschichte. Beilage zur Wochenzeitung Das Parlament, 2001. 11 Mai. S. 19.
16. لدى داعش تم اكتشاف " مبادئ الادارة" // http://vz.ru/world/ 2015/12/7/782398.html

كلمات البحث: «الحرب الهجينة»، «القوة الناعمة»، «القوة الصلبة»، المعرفة والمعلومات.

وبسرعة الحصول على القدرات الفكرية واستخدامها بفعالية ضد الأجهزة الأمنية العملاقة لدى القوى العظمى. لقد تمكنت «الدولة الاسلامية» من الجمع بين تكنولوجيا التدمير الحديثة و الأصولية والتعصب، سواء كان إسلاميا أو علمانيا أو غير ذلك. وتسعى «الدولة الإسلامية»، عن طريق استخدام أساليب وتقنيات خاصة في الدعاية لأفكارها وأهدافها وحشدت وتجنيد المؤيدين لها من خلال وسائل الإعلام الإلكترونية والشبكات الاجتماعية، تسعى الى تنفيذ استراتيجيتها الخاصة بتصدير الثورة الإسلامية مع الحشوة الإرهابية.

من كل ما سبق يمكننا أن نستنتج أن بناء النظام العالمي الجديد يتم في جو لا يسوده الحماس بسبب انتصار الديمقراطية في العالم، بل في ظروف عدم الاستقرار وعدم اليقين والغموض ومع أشكال جديدة من الصراع والحروب والإرهاب، التي جاءت الى العالم الجديد على أجنحة العلوم والتكنولوجيات الجديدة والتقدم. في هذا المعنى، يمكن القول إن تكهن ونستون تشرشل اخذ يتحقق. قال تشرتشل إن العصر الحجري قد يعود لنا في أجنحة مشرقة من العلم. ومن الواضح ان العالم لن يتحول في المستقبل المنظور، إلى عالم واحد يتميز بهيمنة السلام والوئام بين الأمم. سيبقى العالم كمجتمع العديد من الدول الأخرى والشعوب والبلدان والثقافات والأديان، والتحالفات والائتلافات، المتنافسة والمتناحرة فيما بينها.

المراجع:

1. انظر: *Mueller J.* Retreat from Doomsday: The obsolescence of major war. NY, 1989.
2. *Boniface P.* The Proliferation of States//The Washington Quarterly.Spring 1998. V. 2. №3. P. 110.
3. انظر بشكل موسع: غاجييف ك. الافاق الجيوسياسية لروسيا. ملامح النظام العالمي الجديد. موسكو، 2011.
4. انظر: بولونين أ. الناتو: نهج الحرب الهجينة. ماذا ستعطي للحلف الاستراتيجية الجديدة للنضال ضد ;http://svpressa.ru/politic/ article/137300//الاعلام المستقلة روسيا؟
5. *Nye J. Jr.* Soft power // Foreign Policy. №80. 1990. Autumn. P.167.
6. توفلير. إي. التحول المسخ للسلطة.المعرفة والثروة والقوة عند بوابة القرن الحادي والعشرين. موسكو،2002. ص40.

ظاهرة جديدة في التاريخ الحديث تحمل اسم «دولة الاسلام في العراق والشام»* أو داعش.

وفي أغسطس عام 2014 اعلن تنظيم داعش عن تشكيل «الخلافة الإسلامية» على قسم كبير من اراضي سوريا والعراق مع الاحتفاظ بتسمية «دولة الاسلام». وبمرور الزمن يجهد زعماؤها لنشر نفوذهم على ليبيا واليمن والعربية السعودية وافغانستان واندونيسيا وغيرها.

ويجب القول إن الفارق النوعي الذي يميز داعش عن الجماعات المتطرفة والإرهابية التقليدية هو أنه يوجد لدى هذا التنظيم قاعدة أراضي يسيطر عليها. وبشكل عام يمثل زعماء وانصار داعش والمشاركون فيه ذلك القسم من المجتمع الإرهابي، الذي خرج من العمل السري الى العلن وأعلن عن نفسه ودوافعه وعن أولوياته بشكل قوي ووقح جدا في جميع أنحاء العالم على اعتبار إنه دولة تقوم على أيديولوجية الإرهاب. بالطبع، نحن هنا في الواقع نتحدث عن شبه دولة التي يحاول قادتها لتحويلها الى دولة حقيقية مع السمات المناسبة والمؤسسات والمبادئ والضوابط وهيئات الادارة.

وتشهد على ذلك الوثيقة المعنونة «مبادئ ادارة الدولة الإسلامية» التي حصلت عليها بعض وسائل الاعلام. ووفقا لصحيفة «الغارديان» البريطانية تتألف الوثيقة من مجموعة من القوانين حول السياسة الدولية، والدعاية الداخلية والخارجية، والسيطرة على النفط والغاز والقطاعات الأخرى من اقتصاد «دولة الخلافة» (16).

ومن الواضح أن هذا التنظيم وأي كانت المظاهر التي تستر بها، تمكن من إثبات قدرته على الاستفادة من منجزات الحضارة الصناعية الحديثة، والقدرة بكفاءة

* وتجدر الإشارة إلى أنه تم في البداية الاعلان عن تأسيس شبه الدولة هذه في العراق في أكتوبر 2006 في تحت اسم «دولة العراق الإسلامية». ولعب "تنظيم القاعدة" في العراق في إنشائها دورا رئيسيا. وفي عام 2011، ومع بداية الأزمة في سوريا قام تنظيم القاعدة بتشكيل «جبهة النصرة». وفي أبريل 2013 توحدت»الدولة الإسلامية» وجبهة النصرة في منظمة جهادية موحدة حملت اسم»دولة الاسلام في العراق والشام» ولكن في نوفمبر 2013 حدث انقسم بين داعش والقاعدة حول العديد من المسائل ولكن في اساس الخلاف كان الطموحات الشخصية لزعماء التنظيمين.

و في فترة النظام العالمي الثنائي القطبية، تم بمباركة ودعم من الدولتين العظميين تشكيل كيان خفي متوازي للسياسة العالمية يستطيع التأثير بشكل كبير على الاتجاهات الرئيسية للتطور الجيوسياسي للعالم الحديث. ويجب القول لها قوة وخطورة هذا النوع من «النشاط السري» العدواني الشرس المتمثل في مختلف انواع المنظمات والجماعات القومية دون الوطنية والوطنية وفوق الوطنية الارهابية والاجرامية، تظهر في لا يعترف المعايير والقيود الاخلاقية والقانونية والقوانين التي ترسخت في الدول المختلفة وبين الدول.

وتجدر الاشارة الى ان صعوبة التحليل والبحث عن التقييم الصحيح للإرهاب تزداد تعقيدا لأنه لا يوجد حتى الان أي تحديد وتعريف للإرهاب كظاهرة اجتماعية وسياسية، ولم يتم تحديد خصائصه الأساسية، والحدود، والمكونات لهذه الظاهرة والوضع القانوني لها ألخ. هناك المئات من التعاريف لهذه الظاهرة وتم تخصيص الالاف من المنشورات لها. ويحظى هذا الموضوع الآن بتغطية واسعة في الأدب المحلي والأجنبي. وهنا تجدر الاشارة الى أن الإرهاب الحديث في بأهدافه وأساليبه ووسائل تنفيذه يعتبر بمثابة الرد غير متكافئ على الهجوم العدواني من جانب القيم الثقافية الاجتماعية والسياسية الثقافية والديمقراطية الغربية ومن مبادئ نمط الحياة الغربي اكثر من اي كان.

ولعل المذكور ليس إلا نوع من الظاهرة التي تسمى في الادب بظاهرة «الحرب الصغيرة». وكما لاحظ الباحث الألماني م. كوخ فان «الحرب الصغيرة» هي من حيث المبدأ لا تعرف الحدود، ويتم خلالها استخدام كل الوسائل المتوفرة مع كل الاساليب الوحشية التي تتميز بها. وهي تنال الصفات التي تقربها من ظاهرة الحرب الشاملة: حيث يعتبر بمثابة العدو، إجمالي مكونات الخصم الذي يصبح هدفا للأعمال القتالية وليس فقط القوات المسلحة (15). على خلفية ذلك ظهرت على ساحة الشرق الاوسط الكبير في صيف 2014

وليس محض صدفة ان يقوم العديد من الممثلين البارزين في المؤسسة السياسية والفكرية الأمريكية، بتسمية جورج بوش الابن وبعض الأعضاء البارزين في إدارته، بالثوار وتسمية سياستهم بالثورية. لقد كتب احد المخضرمين في الدبلوماسية العالمية هنري كيسنجر حول هذا الموضوع: «يبدو لي أن المحافظين الجدد قريبين جدا إلى التروتسكيين» (13). وأشار بعض السياسيين والخبراء الامريكان الاخرين، مثل د. سايمس و ر. ايلسورت، إلى أن تصرفات الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق كانت تقوم على اساس «الايمان التروتسكي الجديد في الثورة الدائمة (حتى لو كانت ديمقراطية وليست بروليتارية)» (14).

وعلى الرغم من أنه لا ينبغي أن تؤخذ هذه التقديرات حرفيا، ولكنها ليست بأي حال من الاحوال بمثابة الانتقاد عديم الاساس من المعارضين لإدارة بوش. ففي الكثير من النواحي كانت استراتيجيتها السياسية الخارجية تحتوي على عناصر نظرية تروتسكي عن الثورة الدائمة، وعن نشر وفرض قيم ومواقف لليبرالية المفسرة بشكل غريب على شعوب جديدة. ومن المهم أن نلاحظ أن الإدارة الأمريكية الحالية لم تتخل عن عدد من أحكام هذه النظرية.

الابعاد الارهابية «للحرب الهجينة»

على ما يبدو ينبغي عبر هذا الموشور، النظر كذلك الى بعض فروع الإرهاب التي تعتمد نشاطاتها بشعارات تصدير الثورة الإسلامية. وكمبرر لهذا التقييم يمكن ذكر الواقعة الواضحة المتلخصة في ان الكثير من ظهورات الإرهاب وانتشاره من على المستوى الداخلي للبلدان الى المستوى العالمي يرتبط ارتباطا وثيقا مع نمو التوسع الثقافي المعلوماتي والأيديولوجي للغرب، الذي رافقته ودعمته تدريجيا زيادة الاساليب العسكرية ووسائل إقناع الشعوب في الشرق الأوسط الكبير بأنه لا يوجد بديل للقيم والفلسفة وأسلوب الحياة الغربية.

وظهر نوع من التمازج العضوي بين «القوة الناعمة» و«القوة الصلبة» في استراتيجية تصدير الثورة الديمقراطية، التي ظهرت على شكل سلسلة من الحروب التي شنتها الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فضلا عن «الربيع العربي،» وكذلك «الثورات الملونة» في المجال السوفياتي السابق. وفي الكثير من الأحيان، تحققت تحت ستار مختلف «الثورات الملونة» و انتفاضات «الميادين»، انقلابات حكومية تم التحضير لها وتمويلها بشكل جيد. ومن الأمثلة على ذلك: «ثورة الورود» في جورجيا و«الثورة البرتقالية» في أوكرانيا في عام 2004، وكذلك «انتفاضة الميدان الاوروبية» في شتاء 2013/2014 في اوكرانيا التي نجم عنها تنفيذ انقلاب حكومي تم عمليا بدعم وإلهام الدول الغربية. وبالرغم من الاحاديث عن الثورة الشعبية المزعوة وتحقيق ارادة الشعب، يمكن القول إن هذا الانقلاب جزء من «الحرب الهجينة» ضد عدو حقيقي أو وهمي.

ومن نافل القول إن الحروب التي شنها الغرب، و«الربيع العربي» و«الثورات الملونة» غيرت جذريا الصورة الجيوسياسية للمنطقتين، وكذلك جزء من أوروبا الشرقية وجنوب القوقاز. ولو افترضنا أن الهدف الرئيسي لكل ذلك كان فعلا زرع الديمقراطية ذات النمط الغربي في مختلف البلدان والمناطق، فيجب تقييم نتائجهذه الحروب كفشل ذريع مع عواقب كارثية. ولكن إذا افترضنا أن الهدف الرئيسي لها كان انتشار الفوضى، فيمكن القول إنه تم تحقيق «النجاح» الكبير في هذا المجال. في الواقع، يتضح انه و في معظم الحالات، كادت البلدان التي تعرضت لتجارب تصدير الثورة الديمقراطية، أن تتحول الى مسرح للفوضى الشاملة والصراعات والحروب الدامية الدائمة. ومع ذلك، فإن هذا يعد طبيعيا لأنه وكما قال في زمانه الكورسيكي العظيم (نابليون)، الذي كان يعرف الكثير عن مثل هذه الأمور، «الحراب يمكنها ان تفعل كل شيء ولكن فقط لا يمكن الجلوس عليها».

طريق اعتقال أو قتل قادتها، بل من الضروري تدمير القيم التي تقوم عليها. واضاف بلير القول: «نحن نستطيع تحقيق الفوز من خلال إظهار أن قيمنا أقوى وأفضل وأكثر عدلا من القيم البديلة» (11).

والفكرة الرئيسية لهذه التدخلات، تكمن ليست في مجرد تغيير النظام، بل تغيير نظم القيم التي تسترشد بها البلدان المعنية. وتوصل بلير الالاستنتاج التالي: «إذا كنا نريد حماية طريقتنا في الحياة، لا يوجد بديل سوى الكفاح من أجل ذلك. وهذا يعني الدفاع عن قيمنا ليس فقط في بلادنا بل في جميع أنحاء العالم» (12).

واكتسب هذا الطرح اللون الاصولي لدى المحافظين الجدد الامريكيين الذين وبخلاف اسلافهم في الثمانينيات من القرن الماضي، باتت تطلق عليهم تسمية neocons. ولعب هؤلاء دور المؤلفين الرئيسيين للتبرير الإيديولوجي للسياسة الخارجية لإدارة جورج بوش الابن واخذوا على عاتقهم مهمة التبرير الإيديولوجي لسياسة تصدير الثورة الديمقراطية وحقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم من أجل تغيير عقلية وقيم الدول التي تعتبر هدفا لهذا التصدير.

واذا اخذنا بعين الاعتبار الأحداث والعمليات التي ترتبط مع استراتيجية تصدير الثورة الديمقراطية، فرأينا انه لا يمكن ان تجري «الحروب الهجينة» بدون اللجوء إلى التهديد أو استخدام الفعلي «للقوة الصلبة». ويجب علينا أن لا ننسى حقيقة واضحة وهي أنه في مختلف الازمان والعهود كانت تنتصر دائما الافكار المدعومة بالقوة، وكان ينتصر الأنبياء المسلحون القادرون على اجتذاب القوة لتنفيذ أفكارهم. وفي الظروف الحديثة لم تفقد «القوة الصلبة» أهميتها كمورد أساسي للدولة يمكنه ان يضمن الصفة الجيوسياسية لهذه الدولة ونفوذها في العالم. وعلاوة على ذلك، خلال الظروف التي نشأت في العقود القليلة الماضية اخذ عامل «القوة الصلبة» بأشكال ومظاهر جديدة يكتسب أهمية متزايدة باستمرار.

وفي نفس «الحروب الهجينة» تحصل على أهمية كبيرة، مسائل التبرير الأيديولوجي أو الإعلامي الأيديولوجي لها. وتجدر الإشارة إلى أن المحافظين الجدد الأمريكيين من الموجة الأولى في الثمانينيات من القرن الماضي مثل إي. كريستول ون. بودهوريتز ود. موينيهان، وج. كيركباتريك وغيرهم، المبتعدين عن المحافظين التقليديين الذين نفوا الحاجة إلى أي نوع كانت التشكيلات الأيديولوجية، دعوا الى إعادة بث الروح العقائدية في السياسة والى اعادة التسليح العقائدي للسياسة الخارجية الامريكية. وكما لو أنهم قاموا وبطريقتهم الخاصة بإعادة صياغة مقولة غرامشي المذكورة أعلاه، أعلنوا أنه وللاستيلاء على السلطة والنفوذ في المجتمع الدولي، وخاصة للفوز والحفاظ على المواقع القيادية أو الهيمنة في العالم، من الضروري ضمان الهيمنة الإيديولوجية والأيديولوجية الإعلامية للذات. وأعلن هؤلاء على لسان السيد كريستول أن «السياسة غير الأيديولوجية عبارة عن سياسة عزلاء بدون سلاح» (10).

ومن الواضح أنه يطرح بمثابة الهدف الأساسي، تغيير طريقة التفكير ونمط العيش والاسس العقلية أو نموذجية لترتيب كل العالم غير الغربي. وبالإضافة الى الثقافة والأفكار والأيديولوجية، تفرض على الشعوب الاخرى ليس فقط وسائل الترفيه، ولكن أيضا القيم والمواقف والصور النمطية، والصور، وفلسفة الحياة.

على سبيل المثال، لتبرير مشاركة المملكة المتحدة في العدوان على العراق - الدولة ذات السيدة، زعم توني بلير، عندما كان يشغل منصب رئيس الوزراء البريطاني، بأن الحديث في هذه الحرب يدور «ليس فقط حول الأمن والتكتيكات العسكرية. انها معركة القيم التي يمكن الفوز فيها نتيجة انتصار التسامح والحرية. وتعتبر افغانستان والعراق نقطتي الانطلاق الضروريتين لهذه المعركة». ولكن النجاح هناك يجب ان يترافق مع الترويج الجريء والمطرد للقيم العالمية بقيادة واشنطن. ولذلك، قال بلير، معلنا الحرب ضد الإرهاب، إن الغرب اختار كساحة للقتال ليس الامن بل القيم لأنه من المستحيل الحاق الهزيمة بالايديولوجيات المتعصبة عن

الحضارة» (8). وفعلا يصبح منتجو وموزعو المعلومات، عند تحولهم الى خالقي الافكار والاوهام والخرافات والرموز والمعايير وقواعد اللعب وسلوك الجماهير العريضة من السكان في جميع أنحاء الارض المأهولة، يصبحون الحملة الحقيقيين للسلطة الاقتصادية والسياسية. في هذا المعنى، يمكن القول أن الصيغة الشهيرة لفرانسيس بيكون «المعرفة قوة» يمكن اعادة صياغتها على النحو التالي: «المعلومات هي القوة والسلطة».

وتتخذ هذه التحولات على نحو متزايد الاهمية وتصبح اكثر إلحاحا على خلفية التوسع العلمي المعلوماتي الثقافي والإعلامي الأيديولوجي للغرب. وطبعا تبدي الولايات المتحدة وتظهر النشاط الاكثر في هذا المجال لأنها تطالب بوضع الزعيم في العالم المعاصر بشكل لا جدل حوله وتسعى لفرض وضعها المهيمن في الفضاء المعلوماتي العالمي، وليس فقط.

وكما لاحظ الموظف السابق في إدارة بيل كلينتون، السيد د. روتكوبف «في عصر تكنولوجيات المعلومات ينبغي ان تصبح المهمة الرئيسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة، تحقيق الانتصار في سوق التيارات الاعلامية العالمية. ويجب على الولايات المتحدة ان تحقق الهيمنة في العالم مثل الهيمنة التي حققتها بريطانيا في زمانها في البحار والمحيطات». ووفقا له، «في حال انتشرت في العالم لغة واحدة فقط، يجب ان تكون الإنجليزية حتما. وفي حالة انتشار قواعد مشتركة في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية والأمن، فيجب ان تكون هذه القواعد أمريكية بالضرورة وحتما. وفي عملية توحيد مختلف التلفزيون والإذاعة والموسيقى لمختلف الفئات الاجتماعية يجب أن تلعب دورا قياديا في ذلك وسائل الإعلام الأمريكية. وفي حال صياغة قيم مشتركة، يجب اعتماد النظام الذي يتعرف فيه الامريكان على أنفسهم». وقد شاهد د. روتكوبف في مثل هذه السياسة، الخير والمصلحة ليس فقط لأمريكا، ولكن أيضا لبقية العالم. وقال: «ما هو صالح وجيد بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية سيكون صالحا وجيدا للبشرية كلها» (9).

السبعينيات، والتي جعلت عديمة الفعالية بل وحتى عقيمة وضارة، الطرق التقليدية للدعاية والترويج والدعاية المضادة.

وانطلاقا من ذلك وفي ظروف انتشار ثورة المعلومات والاتصالات تصبح المعارف والمعلومات اقساما مكونة هامة جدا للسلطة والقوة والثروة. وكان محقا إي. توفلير عندما ذكر ان السلطة المطلقة تصبح في متناول الذين يكونون قادرين وعند الضرورة استخدام ادواتها الثلاث معا - القوة والثروة والمعرفة، و»وجمعها بمهارة مع بعضها البعض، والتناوب بالتهديد بالعقاب والوعد بالمكافأة مع اللاقناع والتفهم السريع». ومن الواضح أن من بين المصادر الثلاثة المذكورة باتت المعرفة تكتسب اهمية متزايدة باستمرار وبها تتعلق السلطة والثروة: «لم تعد المعرفة مرفقا لسلطة المال و سلطة القوة بل باتت المعرفة ذاتها تشكل جوهرهما. وهي تعتبر في الواقع بمثابة المقوي النهائي لهما. والمعرفة هي المفتاح لفهم التحولات المقبلة والقادمة للسلطة وهذا يفسر لماذا يندلع القتال من أجل السيطرة على المعرفة ووسائل الاتصال في جميع أنحاء العالم» (6). وفي المحصلة تصبح المعرفة «ليس فقط مصدر السلطة العالية الجودة بل وكذلك احد العناصر الهامة جدا للقوة والثروة (7).

المعرفة والمعلومات

أصبحت المعرفة قوة كبيرة ليس بحد ذاتها بل عندما تحولت الى معلومات. وخلال تقييم هذه العمليات والاتجاهات، تسود لدى الكثير من الباحثين، القناعة بان السلطة في المجتمع اخذت تنتقل بشكل تدريجي الى ايدي الذين يخلقون ويتحكمون ويعالجون المعارف والمعلومات. لقد أشار المختص الامريكي في العلوم السياسية جورج باربر، الى ان الذين يرسمون خرافات وصور العالم المعاصر، «يمارسون السلطة التي هي ليست إلا عبارة عن سلطة تحديد اتجاهات تطور

لقد لجأ اجداد الأميركيين الحاليين للسيطرة على الغرب الأوسط والأقصى، ليس فقط الى المسدسات والبنادق بل واستخدموا المجوهرات المزيفة وما يسمى «بماء النار» بشكل فعال.

واتضح أن هناك بعض الأشياء التي لا يمكن تفسيرها على نحو كاف بوجود الافضلية الاقتصادية بحتة أو حتى القوة العسكرية. وتجدر الإشارة إلى أن المستوى العالي من الرفاهية والقوة العسكرية الفائقة لا يضمنان بالضرورة النجاح أو النصر. كما هو معروف، لقد سار الكثير من الإمبراطوريات الجبارة والحضارات القوية نحو الانحطاط والاندثار واختفت عن مسرح التاريخ وهي في ذروة الازدهار الاقتصادي والرفاه المادي. وفي يومنا هذا قد تتحول القوة المطلقة في بعض الاحيان إلى عدم كفاءة وعجز في الحالات عندما لا يتم دعمها بالمثل والإرادة اللازمة والقادرة على ضمان تحويل القوة الاقتصادية والعسكرية الى مكاسب سياسية. بدونها قد يتحول العملاق مع السلاح النووي او السلاح العالي الدقة الى ما يشبه العملاق بأقدام من الطين غير القادر على التصرف. وتشهد على ذلك تجارب الولايات المتحدة في جنوب شرق اسيا وفي الشرق الاوسط الكبير والاتحاد السوفيتي، والناتو في أفغانستان الخ...

في هذا الصدد نرى أنه من المناسب التذكير بأن الاتحاد السوفياتي، الذي كان امبراطورية عظيمة لا تقهر سقط صريعا دون إطلاق رصاصة واحدة. لقد خسر الاتحاد السوفيتي الحرب الباردة امام الغرب، لأنه وفي الكثير من النواحي كان الغرب يملك سلاحا اعلاميا ايديولوجيا أقوى وذلك في ظروف انتشار ثورة المعلومات والاتصالات. ويبدو واضحا أن التآكل التدريجي للستار الحديدي وتغلغل الأفكار، والقيم، والمواقف، وأنماط الحياة الغربية لعبا دورا هاما في انهيار النظام السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ككل. وهذا الجانب اتخذ الطابع المتزايد الحجم اكثر فأكثر مع انتشار ثورة المعلومات والاتصالات في النصف الثاني من

المسلحة التي تسمى «القوة الصلبة» (hard power - هارد بوور). وإذا كان هدف «القوة الصلبة» والمقصود منها معاقبة وتخويف العدو بقوة السلاح، فمن شأن «القوة الناعمة» جذبه الى جانبها، أو على الأقل تحييد هذا الخصم بوسائل سلمية وبدون سفك دماء. و في اساس «القوة الناعمة» الثقافة والقيم والافكار والرموز والأساطير، وهلم جرا. وبات واضحا تماما أنه وخلال الظروف الحالية، لم يعد من المحتم وليس بالضرورة أن يتم تحديد وتغيير المعايير الرئيسية والأولويات في السياسة العالمية، بواسطة القنابل والحراب، ومن خلال الانتصارات العسكرية وفرض الهزيمة. في بعض الاحيان تعلن التغييرات الجوهرية عن نفسها بدون مفاجآت ملموسة أو بعبارة أخرى، قد تظهر في الأفق الجيوسياسي ما يسمى «بالبجعات السوداء» بشكل مفاجئ وغير متوقع بالنسبة لجميع كيانات السياسة العالمية.

وفي هذا الصدد، أصبحت «القوة الناعمة» واحدة من المكونات الرئيسية لقوة وقدرات الدول. وكتب احد مؤلفي وواضعي هذا المفهوم ج. ناي وقال: «عندما تتمكن من تحفيز الاخرين على ان يرغبوا بكل ما تريده بنفسك سيكون ذلك بالنسبة لك ارخص من اسلوب الجزرة والعصا لدفع الناس في الاتجاه الصحيح. الإغراء دائما أكثر فعالية من الإكراه والإرغام. ويجب القول إن العديد من القيم مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والفرص الفردية تبقى مغرية للغاية. ولكن الرغبة يمكن أن تتحول إلى الاشمئزاز وإذا شعر الطرف الاخر بانه يوجد في السياسة الغطرسة أو النفاق» (5).

ومع ذلك، فإن «القوة الناعمة» في مختلف أشكالها وتركيباتها ليست من اختراع عصرنا. يجب القول إن الدعاية والخداع، والدبلوماسية، وجميع أنواع الأساطير، والخرافات والوثائق المزورة مثل «وصية قسطنطين» و»وصية بطرس الأكبر» وغيرهما من الوثائق المماثلة تم استخدامها منذ الزمن السحيق من قبل من هم في السلطة لاكتساب المزيد من السلطة وحماية ما هو موجود منها. وبالمناسبة،

والتكنولوجيا، والسلع، والخدمات، الخ. وبات بشكل متزايد، يعتمد حل النزاعات بين الدول، على سعر الفائدة وأسعار الصرف والقدرة التنافسية الوطنية في الأسواق العالمية، الخ...

وإذا قمنا بإخراج العديد من الجوانب التي لم تتطور بما فيه الكفاية في المجال الجيوسياسي الوطني والخارجي، الى خارج القوسين، يمكن اعتبار فرض العقوبات الاقتصادية كمظهر من مظاهر «الحرب الهجينة»، وهو امر يجب ان يولى الاهتمام الخاص. ويمكن تسمية ذلك وبجدارة «بحرب العقوبات» التي تشنها دولة أو مجموعة دول ضد دولة معادية من أجل تدمير اقتصادها، وبالتالي قمع إرادة المقاومة فيها. لقد أصبحت العقوبات وسيلة خطيرة وجدية للغاية وهي تستخدم اكثر فأكثر كوسيلة لممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على الخصم.

والحرب التي شنها الغرب ضد روسيا ردا على معارضتها لتوسيع الناتو، ينظر إليها كوسيلة لقمع إرادتها وفرض العزلة عليها، وذلك بمثابة العقاب لإعادة توحيد شبه جزيرة القرم مع روسيا ودعم تطلعات الشعب دونباس في الدفاع عن مصالحه الحيوية. ومع إعادة صياغة العبارة الشهيرة لكارل فون كلاوزفيتز «الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى» فإنه يمكن القول إن العقوبات هي شكل من اشكال وشن الحرب الباردة من خلال وسائل أخرى. ولكن التجربة خلال كل فترة سريان العقوبات بينت أن روسيا اثبتت أن العقوبات عديمة الجدوى كمحاولة لتدمير الاقتصاد الوطني وفرض العزلة على بلادنا بهذه الطريقة.

«القوة الناعمة» كسلف «للحرب الهجينة»

قبل ظهور مفهوم «الحرب الهجينة» بحد ذاته ظهر في الأدب العسكري والسياسي والعلمي والصحفي مصطلح «القوة الناعمة» (soft power)، والذي يغطي مجموعة كاملة من الموارد والفوائد للدولة، وهي لا ترتبط بالقوات

وكاشكال ظهورها يمكن اعتبار المحاولات واسعة النطاق التي اتخذت خلال عملية التحضير لدورة الالعاب الاولمبية الشتوية في سوتشي في عام 2014، لتشويه سمعة هذه الدورة وإلغائها، وكذلك ما يسمى بحملة مكافحة المنشطات ضد روسيا في نسختها المسيسة في شتاء وصيف 2016، وكذلك مختلف الحملات المماثلة. وفي السياق نفسه، يمكن النظر الى الحملة التي لا تخمد لإلغاء كأس العالم بكرة القدم في روسيا في عام 2018. وكذلك يمكن اعتبار «الرجال الخضر» الذين لعبوا دورا هاما وناجحا للغاية في عملية إعادة توحيد شبه جزيرة القرم مع روسيا، من وسائل وأدوات «الحرب الهجينة». وطبعا هذه القائمة يمكن ان تطول كثيرا ولكن لا يوجد اي داع لذلك من اجل فهم التحولات الجارية.

في الحروب من النوع التقليدي كل الامور تبدو واضحة بهذا الشكل او ذاك: من هو العدو ومن الذي يهاجم ومن الذي يقف مدافعا ومن الذي حقق النصر ومن الذي اصيب بالهزيمة وما هي القوى التي تقف خلف كل الأطراف المتحاربة. الوضع يختلف تماما مع «الحرب الهجينة». في هذه الحرب لا توجد جبهات واضحة للقتال ولا يوجد تحديد واضح للمشاركين فيها ولا يوجد خط لجبهة القتال لأنه يمر في كل مكان ونتيجة لذلك يصبح شفافا جدا بل وحتى وهميا. والتهجين يطمس خطوط التمييز بين الحرب والسلام، والتهديدات الداخلية والخارجية للأمن القومي، وبين الانقلاب والثورة، وبين الاشكال الجائزة وغير الجائزة والممكنة للصراع بين المدافعين والذين يدمرون القانون الدولي. في بداية الخمسينيات من القرن الماضي قال وزير الخارجية الامريكي حينذاك دالاس إن «الاقتصاد بات خط دفاعنا الأول... وإذا لم يكن هناك استقرار في القطاع الاقتصادي، لا يمكن الحديث عن المستوى المناسب من أمن الأمة». وانطلاقا من ذلك تم وبالتدريج ادخال مفهوم «الأمن الاقتصادي». وحاز ذلك على أهمية خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وتكثيف عمليات العولمة. هنا تحظى بأهمية متزايدة المسائل المتعلقة بظروف وشروط التجارة وتدفق الموارد – رأس المال

الدولية. وعلى خلفية ذلك ظهر في السنوات الاخيرة واخذ يترسخ بسرعة في معجم المصطلحات العسكرية والسياسية مصطلح «الحرب الهجينة». وعلى الرغم من قصر فترة استخدامه، ظهر الكثير من الاعمال التي تستخدم هذا المصطلح بهذا السياق او ذاك.

لقد ترسخ هذا المصطلح ليس فقط في الكتابات العلمية والصحفية، وكذلك وسائل الإعلام، بل ويجري استخدامه بشكل واسع في الوثائق الرسمية التي تحدد سلوك البلدان في الساحة الدولية. على سبيل المثال، في اجتماع مجلس وزراء خارجية حلف شمال الاطلسي بجلسته المنعقدة بتاريخ 1 ديسمبر 2015 في بروكسل، تم ولأول مرة اعتماد «استراتيجية الحروب الهجينة». وأشار السكرتير العام لحلف الناتو ينس ستولتنبرغ، إلى أن «الحرب الهجينة تشمل مجموعة واسعة من مختلف انواع العمليات الحربية... ويستخدم هذا المصطلح لوصف مجموعة من الوسائل العسكرية وغير العسكرية والعمليات السرية والعلنية... انه مزيج من الاعمال والتصرفات المدنية والعسكرية المختلفة». ووفقا له، كمثال على «الحرب الهجينة» يمكن اعتبار ما قامت به روسيا ونجم عنه «ضم شبه جزيرة القرم»، فضلا عن نشاطاتها في منطقة دونباس (4).

ويجب القول إن أية حروب ليست إلا نتيجة لقرارات سياسية تهدف لتحقيق مآرب واهداف سياسية. ومن ميزات وخصائص «الحروب الهجينة» بالمقارنة مع الحروب العادية التقليدية، يمكن ذكر أنه تستخدم خلالها مختلف الاشكال والوسائل والطرق والتكنولوجيات الحربية وغير الحربية للمواجهة الايديولوجية والمعلوماتية والثقافية والاقتصادية والجيواقتصادية والسياسية والجيوسياسية وغيرها. وكجزء من «الحروب الهجينة» يمكن اعتبار الرسوم الكاريكاتورية السيئة السمعة والاستفزازية والتي تعتبر ناتجة لحرية الكلمة غير المحدودة التي تلعب من حيث الواقع دور الترويج للعنصرية وكره الأجانب وغيرها من اشكال الأصولية السياسية والأيديولوجية وهي لا تختلف كثيرا عن الإسلام المتطرف.

والإقليمية والحروب الأهلية والدينية التي في ظروف العولمة وثورة المعلومات والاتصالات تكتسب أشكالا جديدة بالمقارنة مع الاشكال القديمة السابقة (3).

دعونا نركز على أكثر نواحي هذه العمليات والتوجهات وضوحا، حسب اعتقاد المؤلف.

«الحروب الهجينة» كظاهرة ملحوظة في السياسة العالمية

في سياق التحولات والتغيرات التكتونية التي حدثت خلال العقد الماضي في العالم، بات يظهر بشكل جديد تماما الكثير من مشاكل حماية المصالح الوطنية وضمان قضايا الأمن القومي. كانت القوات المسلحة تعتبر خلال كل تاريخ البشرية السابق بمثابة الاداة الرئيسية لتنفيذ هذه الوظيفة، أما الظروف الحالية فتتزايد معها اهمية وسائل وطرق اخرى.

قام احد مؤسسي ومنظري الحزب الشيوعي الإيطالي، غرامشي في الثلاثينيات من القرن الماضي بوضع وصياغة نظرية ما يسمى الهيمنة الثقافية، وفيها جرت محاولة لإثبات بأنه ولتحقيق النصر في الصراع على السلطة السياسية يجب أولا وقبل كل شيء الفوز بالهيمنة في الفضاء الثقافي. وقد اكتسب هذا الطرح للموضوع، اهمية وآنية خاصة في ظروف العولمة وثورة المعلومات والاتصالات. وحلت في مكان أشكال وأساليب الدعاية الإيديولوجية التقليدية القوية، تكنولوجيات الترويج المتنوعة المتعددة المستويات العميقة التصميم والصياغة التي تؤثر بشكل قوي جدا ليس فقط على المستوى العقلاني، بل وفي المقام الأول على المستوى العاطفي والنفسي بل على مستوى الوعي الباطني غير العقلاني.

والحديث يدور في الدرجة الاولى عن وسائل الحماية الاقتصادية والإعلامية والإيديولوجية والبسيخوترونية (psychotronic) وغيرها وتعزيز المصالح الوطنية وضمان الأمن القومي، وتحقيق الهيبة والاحترام وتشديد تأثير الدولة على الساحة

إلى الخارج، بينما تم في المجال السياسي الداخلي تعزيز القيم والمؤسسات الديمقراطية. وترافقت ملحمة تشكيل وقيام الديمقراطية ومؤسساتها في قارة أمريكا الشمالية بملحمة اخرى، دموية مرارا: باستيطان مساحات شاسعة مما يسمى بالارض «الحرة» هناك عن طريق إخلائها وقتل من يسكنها من الشعوب والقبائل الأصلية. وكان هناك ومنذ بداية التاريخ الأميركي تقريبا بدايتان تبدوان متناقضتين - الإمبراطورية والديمقراطية. وهاتان البدايتان كانتا مرتبطتينن فيما بينهما ارتباطا لا ينفصم، وتكمل وتعزز بعضها بعضا. وقدمت في تعاون وثيق وضمنت تكوين القيم والمواقف والأفكار التي شكلت معا أساس نظرية الاستثنائية الأميركية «وتحديد المصائر» واعتبار أمريكا «كمدينة على تلة» لتشكل المثال المحتذى لجميع الشعوب الأخرى في العالم.

وفي أيامنا هذه ومع اختفاء المواجهة الجبهوية المباشرة والمواجهة الأيديولوجية والعسكرية السياسية بين اللاعبين الرئيسيين في السياسة العالمية بدا وكأنه اختفت المقدمات لاستخدام النزاعات والحروب كوسيلة لحل الخلافات بين الدول ولحل التناقضات والمجادلات ولحماية المصالح الوطنية وضمان الأمن الوطني والدولي. وعلى الرغم من ذلك نضطر، مع الأسف، لملاحظة أن التحولات الجذرية خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية بما في ذلك انتقال عدد متزايد من البلدان والشعوب الى اقتصاد السوق والديمقراطية السياسية، لم تقلل من مخاطر الحروب والصراعات المسلحة. وقد تبين أن توسع مجال انتشار القيم والمواقف والمؤسسات الديمقراطية السياسية لا يؤدي دائما وبالضرورة الى ترسيخ مبادئ الديمقراطية في العلاقات بين الدول.

وعلاوة على ذلك، تبدو متناقضة لأول وهلة واقعة أنه ومع زيادة الدول التي اخذت تسير على طريق التطور الديمقراطي، ازداد كذلك عدد الدول حيث ظهرت الى السطح النزاعات الطائفية والعرقية وظواهر كراهية الاجانب وغيرها التي كانت تعسعس تحت السطح. وتعتبر هي بمثابة الارض الخصبة لاندلاع الصراعات العرقية

ولكن في الواقع، تبين أن العولمة والتكنولوجيات المعلوماتية التي تعتبر كانتشار للديمقراطية السياسية على نطاق عالمي، تساعد من ناحية على تكثيف التفاعل بين الثقافات، ومن ناحية أخرى تؤدي الى المزيد من التشرذم وتنويع الثقافات التي تشكل الوجه الآخر للعولمة. في هذا المعنى، أصبحت العولمة عاملا من عوامل تفكيك وتفتيت العالم الحديث. على الرغم من أن فكرة سيادة الدولة القومية تتعرض إلى تحول كبير ملحوظ، تبقى احد مفارقات العالم المتجه نحو العولمة بسرعة كبيرة، السعي المعاكس للعولمة نحو تفكك الدول المتعددة القوميات، مثلا انهيار الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا، وظهور العديد من الدول القومية على بقاياها، وتسييس العرقية والتعصب القومي واضفاء الطابع الايديولوجي عليهما، ومختلف انواع الخوف «الفوبي»، ومختلف أشكال الأصولية والقبلية والتطرف اليميني واليساري، وكأنها اجتاحت العالم كله. وعند تقييم هذه هذه العمليات والتوجهات وصل بعض المؤلفين الى الحديث عن بدء عمليات «تجزئة»، أو «بلقنة العالم» (2).

وأهمية هذه الاتجاهات وما شابهها تصبح واضحة جدا بشكل خاص إذا اخذنا بالاعتبار ان الساحة العالمية على الرغم من كل جاذبية الصور النمطية الثقافية الغربية تتميز بتوسيع متزايد للحرب العالمية بين الافكار ومعاييرالحياة والمذاهب الفلسفية الاجتماعية. واحتدمت المنافسة بين السمعات والتصنيفات في سبيل اعادة تقسيم الاسواق العالمية، والقيادة العالمية لمختلف نماذج التنظيم الذاتي الاقتصادي والسياسي للشعوب والمناطق.

ومن وجهة النظر هذه تكتسب أهمية خاصة، واقعة أن ما جرى خلال العقود القليلة الماضية من تحولات لا يلغي الخبرة العالمية التاريخية والحديثة ايضا، التي تشهد على أن الديمقراطية وفي ظل بعض الظروف المعينة يمكن ان تنسجم بشكل عضوي مع البدايات الإمبراطورية ومع تفاقم العلاقات والتناقضات، والصراعات الدولية والحروب. ومن المعروف أن الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية توسعتا

النهائية، أعلن أن هدفه ليس أقل ولا أكثر من «إنقاذ العالم من أجل الديمقراطية». وكان من المفترض أن تكون الحرب اخيرة تضع النهاية لكل الحروب. ولكن، بعد عقدين فقط من التوقيع على معاهدة فرساي، أصبح الكوكب كله مسرحا لمذبحة غير مسبوقة في تاريخ البشرية، سواء في نطاقها وقسوتها.

وعندما انهار جدار برلين في 9 نوفمبر عام 1989 اعتقد الكثيرون أن أوروبا بل والعالم كله سيشهدان أخيرا فترة الانسجام والهدوء الشامل. وساد الاعتقاد الذي نص على أن الاتجاه نحو ترسيخ الديمقراطية في العدد المتزايد من البلدان والمناطق سيؤدي في النهاية إلى تغيير جذري في طبيعة العلاقات السياسية الداخلية والخارجية على نطاق عالمي. واعتقد الكثير من الباحثين والمراقبين أن النتيجة الرئيسية ستكون اختفاء الحروب من حياة البشرية بفضل تشكل منظومة دولية جديدة تعتمد في أساسها على التحول الجذري الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعقائدي للعالم الحديث في طرق اقتصاد السوق والديمقراطية السياسية.

وظهرت مجموعة كبيرة من الأعمال التي كانت فكرتها الرئيسية تتلخص في مقولة أن كل أنواع النزاعات والحروب ستختفي مع ترسخ النموذج الغربي للديمقراطية السياسية في كل العالم بما في ذلك بين الدول وستصبح الحروب من المخلفات التاريخية (1). وعلاوة على ذلك، أعلن بعض الأنبياء المزعومين عن الانتصار النهائي للقيم الليبرالية الغربية على النطاق العالمي، وبالتالي عن حلول نهاية تاريخية معينة.

وكان يفترض أن العولمة ستؤدي إلى وحدة العالم الحديث على مبادئ الليبرالية واقتصاد السوق والتجارة الحرة والتوافق حسب واشنطن. وكان يعتقد أنها تدفع الى الخلفية أو ستزيل سيادة الدول الوطنية. وستجري عملية نزع الصفات القومية للشعوب الامر الذي سيجعل الهوية القومية من مخلفات الماضي. وجرى الحديث بشكل جدي في الاتحاد الأوروبي عن المواطنة الأوروبية والهوية الأوروبية، لتحلا محل مواطنة الدولة والهوية القوميتين.

النزاعات والحروب المتحولة المسخة في العالم الحديث

كمال الدين غاجييف
كبير الموظفين العلميين
في معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية
التابع لأكاديمية العلوم الروسية،
دكتور في العلوم التاريخية

كان العالم الخالي من الحروب والنزاعات الدامية، المثال الأعلى الذي روجت له أفضل عقول البشرية في مختلف الأوقات والأزمان. ونال هذا الموقف شعبية كبيرة جدا في التاريخ الحديث مع النضج التدريجي لاقتصاد السوق والديمقراطية السياسية. ومع بزوغ فجر العصر الجديد أخذ الناس يطرحون الاسئلة التقليدية: ما الذي ستجلبه معها الليبرالية والحرية والتجارة والمنافسة الحرة والديمقراطية واقتصاد السوق – النزاعات أو التعاون، السلام أو الحرب؟ كيف ستكون العلاقة بين الديمقراطية والحرية السياسية من جهة، والصراعات والحروب من جهة أخرى؟ وهل تستطيع الديمقراطية أن تصبح المحفز في اندلاع الصراعات والحروب؟

نهاية التاريخ التي لم تتم؟

على هذه الأسئلة أعطى مختلف المؤلفين الأجوبة المتنوعة في كل فترة تاريخية وذلك انطلاقا من مجموعة متعددة من العوامل. وهنا تبدو مناسبة الإشارة إلى أن الرئيس الأمريكي و. ويلسون ولدى الدخول في الحرب العالمية الأولى في مرحلتها

المراجع:

1. Living Under Siege. The Syrian Arab Republic // OHCHR. 2014. February 14.
2. Report of the International Commission of Inquiry on the Syrian Arab Republic. 12 February 2014 // UN document A/HRC/25/65
3. Syria at war. Five years on //UNESCWA. University of St. Andrews, 2016.
4. النشرة الاعلامية للمركز الروسي لمصالحة الجهات المحاربة داخل الجمهورية العربية السورية. 10 اكتوبر 2016.// www.mil.ru

كلمات البحث: سوريا، المساعدات الانسانية ، داعش، جبهة النصرة، مجلس الامن الدولي، القوات الجوية الفضائية الروسية ، المجموعة الدولية لدعم سوريا.

Международная
ЖИЗНЬ

قواتها من طريق، «كاستيلو» الذي كان يجب ان تمر عبره القوافل الانسانية، ولكن واشنطن لم تتمكن حينذاك او لم ترغب بدفع المعارضة لتنفيذ نفس الشيء. قد يكون السبب في أنها فعلا تنظر بشكل لا مبالي تجاه احتياجات السوريين الانسانية او انها تستغل هذا الموضوع لتحقيق مآرب و أغراض سياسية، أو انها ببساطة لا تستطيع على التأثير على فصائل المعارضة.

وهكذا، لقد أظهرت كل قصة «البعد» الإنساني للنزاع السوري وتعاون المجتمع الدولي في مجال المسائل الإنسانية في سوريا، أن روسيا تبقى في الواقع الدولة الوحيدة التي تعمل بشكل مسؤول لحل مهام محددة تتعلق بضمان وصول المساعدات الإنسانية. وبفضل الجهود الروسية بالذات ومساعدتها وصلت المساعدات الانسانية الى كل المراكز السكنية السورية المحاصرة. وموسكو بالذات قامت جنبا إلى جنب مع الأمم المتحدة بصياغة ووضع خطة مفصلة للعمليات الإنسانية في حلب التي عمد المسلحون الى افشالها ومنع تنفيذها. وواجهت روسيا عمليات زيادة التوتر في الساحات الدولية، بما في ذلك في مجلس الأمن الدولي، بالعمل الهادئ المطرد والمنسق مع السلطات السورية والأمم المتحدة حول مجمل القضايا المتعلقة بوصول المساعدات الإنسانية. ومن الواضح جدا سقم وعقم التصريحات والبيانات الرنانة والمحاولات عبر مجلس الامن الدولي لممارسة الضغط على السلطات السورية وروسيا.

لا شك في ان محاولات تسييس القضايا الإنسانية واللجوء الى اسلوب المواجهة، ومحاولات تشويه سمعة السلطات الرسمية لن تساعد في حل مهمات محددة، بل تلحق الضرر بالأمم المتحدة، وتؤثر بشكل سلبي على المناخ السياسي وبطبيعة الحال، لا تساعد في إيجاد حل سياسي للنزاع السوري الذي طال أمده.

ومن نافل القول ان التعاون للتخفيف من معاناة السوريين العاديين، والتخلي عن الاعتبارات المآربية التكيكية ينبغي أن يصبحا بمثابة القوة الدافعة الموحدة للدول التي لا تزال على طرفي «المتاريس السياسية».

الإنسانية في جنيف بيانا جماعيا من مجموعة من المنظمات غير الحكومية أعلنت فيه وقف تعاونها في المجال الإنساني مع وكالات الأمم المتحدة العاملة في هذا المجال في سوريا. وأرسلت الوثيقة نيابة عن 73 منظمة غير حكومية تمول بشكل رئيسي من الولايات المتحدة، والمملكة العربية السعودية وقطر وتركيا. واتهمت الوثيقة البعثات الدولية الإنسانية التابعة للأمم المتحدة ومنظمة الهلال الأحمر السوري العاملة في دمشق في «التعاون المفرط والانتقائي» مع الحكومة السورية. وبلهجة الانذار تم الاعلان ان المنظمات غير الحكومية المذكورة أعلاه ترفض تبادل المعلومات حول المشكلة الانسانية وترفض تقديم المعطيات والبيانات عن نشاطاتها في سوريا الى الأمم المتحدة ، بما في ذلك عن الإمدادات الإنسانية عبر الحدود.

ومن الواضح جدا أن القصد والهدف الرئيسي لهذا التصرف من جانب المنظمات غير الحكومية المذكورة هو عزمها على فرض رقابتها على الأنشطة الإنسانية للأمم المتحدة في سوريا، بما في ذلك لكي لا تفقد من ايديها قنوات توصيل ونقل الامدادات الى الجماعات المسلحة غير المشروعة التي تجري تحت غطاء التعاون مع الهيئات الدولية المعروفة التابعة للامم المتحدة.

عندما جرت كتابة هذه السطور، بات معروفا القرار الذي اتخذ في واشنطن حول وقف الحوار الروسي الأمريكي الخاص باستعادة السلام في سوريا. وطبعا لا يمكن للبيان الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية حول الوقف من جانب واحد للعمل المشترك مع روسيا لتسوية النزاع في سوريا إلا أن يثير خيبة أمل عميقة.

من المعروف أن الحديث تم هناك وبالإضافة إلى الجهود المبذولة لإعادة العمل بنظام وقف الأعمال العدائية، وكان يدور أيضا عن الاتفاق الموقع يوم 9 سبتمبر الخاص بنقل المساعدات الانسانية الى القسم الشرقي من حلب. لقد اظهرت السلطات السورية حسن النية والارادة الطيبة تجاه اقتراح الروسي وكانت الحكومة السورية على استعداد لاتخاذ هذه الخطوة، بل وحتى بدأت بسحب

الكاتب أن الارهابيين لا يعترفون بنظام وقف القتال في سوريا. وهذا ينطبق على جميع الفصائل التابعة لجبهة النصرة بما في ذلك «جيش الإسلام». ويتمسك القائد الميداني المذكور أعلاه بنفس الموقف من المفاوضات السورية المشتركة. وهو يصف كافة ممثلي المعارضة المشاركين فيها بالضعفاء و الفاسدين (ومن بين هؤلاء طبعا، الجيش السوري الحر»المعتدل»).

ولم يحاول هذا الإرهابي اخفاء أن جبهة النصرة استغلت فترات الهدنة لكي تقوم بإعادة تنظيم قواها وتعد لضربة قوية ضد القوات الحكومية السورية. وأعلن ممثل جبهة النصرة بدون أي مواربة وبكل صراحة أن المسلحين التابعين له لن يسمحوا بعبور شاحنات القوافل الإنسانية ضمن الأراضي التي يسيطرون عليها إذا لم يغادر الجيش السوري طريق «كاستيلو» والمناطق الشمالية من حلب.

وكمثال آخر على ازدواجية المعايير يمكن ذكر رد فعل الغرب على تسوية الوضع في داريا (ريف دمشق). في أواخر شهر أغسطس، اتفق الجيش السوري مع المسلحين المسيطرين على المدينة بأن يتم إخلاء طوعي للمدنيين ونقلهم الى المناطق الآمنة. وقد تم تنفيذ هذه الخطة بالكامل دون تجاوزات أو حوادث. وانطلقت الحافلات من هناك مع النساء والأطفال برفقة موظفي الأمم المتحدة وجمعية الهلال الأحمر السوري ووصلت بهدوء إلى مكان آمن.

ومع ذلك، انتقدت الدول الغربية هذه العملية، ووصفتها «بالاستسلام» والتطهير العرقي تقريبا، على الرغم من ان هذه الدول بالذات دعت مرات عديدة الى رفع الحصار. ولكن ما أن تم تحقيق ذلك وبالتراضي من الجانبين حتى باشر المعسكر المعادي لسوريا بانتقاد هذه العملية الإنسانية.

وإلى حملة إفشال وتقويض الجهود المبذولة لتصحيح الوضع الإنساني في سوريا ولو بشكل من الاشكال، انضمت بنشاط المنظمات غير الحكومية المتحيزة. وفي يوم 9 سبتمبر من هذا العام، تلقى مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون

الامم المتحدة بان ترسل الشاحنات المحملة بالمساعدات من أراضي تركيا (بعد أن يتم فحص محتويات هذه القوافل من جانب الأمم المتحدة). ووافقت حكومة سوريا من جانبها على عدم تفتيش هذه القوافل مرة اخرى وذلك من أجل تقصير مدة تنفيذ العمليات الإنسانية. كان يجب فقط التحقق من سلامة اختام التشميع التي وضعتها الامم المتحدة على الشاحنات.

وأخيرا، بدا للجميع أنه ومع اقرار واعتماد الوثيقة الروسية الأمريكية حول «خفض مستوى العنف واستعادة امكانية الوصول وإنشاء مركز تنفيذي مشترك» يوم 9 سبتمبر 2016، تشكلت فرصة حقيقية للجو المناسب للحركة صوب التسوية، وبالدرجة الاولى صوب حل المشاكل الانسانية.

ولكن رد الفعل على ذلك من جانب الذين اشتكوا وعلى مدى أسابيع من الكارثة الإنسانية، كان فعلا في غاية الوقاحة وعدم التهذيب. على الفور قامت مجموعة الفصائل والتنظيمات المعارضة بإصدار بيان رفضت فيه المبادرة الروسية الأمريكية. على سبيل المثال اعلن ما يسمى بالمجلس المحلي لشرق حلب، وهو ما يسمى «الحكومة المؤقتة» المعلنة ذاتيا (تتواجد في غازي عنتاب التركية)، وائتلاف فصائل «فتح حلب» عن رفضهما تسليم البضائع عبر الطريق المتفق عليها- طريق «كاستيلو»، وطالبوا استخدام طريق «الراموسة» الخاضع للإرهابيين وهو ما كان يعني في الواقع تعريض موظفي الأمم المتحدة للرصاص.

وبدا واضحا أن القصد من كل ذلك كان تقويض وإفشال عملية نقل الشحنات الانسانية الى المناطق الخاضعة للمسلحين في حلب. ومن الواضح أيضا أن اخر ما يهم هؤلاء القتلة والرعاع هو السكان المدنيون الذين يجري استخدامهم على ارض الواقع «كدروع بشرية».

وفي هذا السياق، تلفت الانتباه المقابلة الكبيرة التي اجراها مع احد القادة الميدانيين لجبهة النصرة، الكاتب الالماني المستقل المعروف يو. تودنهيوفر. لقد ذكر

الهلال الأحمر السورية في اعزاز. وترفض تركيا (وهي من اعضاء مجموعة دعم سوريا الدولية) دون أي تفسير فتح نقطة التفتيش الحدودية بين نصيبين التركية والقامشلي السورية.

وعلى الرغم من فشل الغرب وبعض الدول الاقليمية في تنفيذ «المهمة» الملقاة على عاتقهم إلا أنهم على الرغم من ذلك باشروا من جديد بالترويج من جديد «لمأساة إنسانية» دورية في سوريا والحديث يدور الان عن المنطقة الشرقية في مدينة حلب التي يحاصرها الجيش السوري (لانها تقع تحت سيطرة الإرهابيين). وانضمت الى هذه الحملة وكالات الأمم المتحدة الإنسانية.

ولكن روسيا ابدت في هذه المسألة المرونة من جديد واعلنت في 28 يوليو 2016 إطلاق عمليتها الإنسانية الكبيرة النطاق في حلب. وتم فتح «نافذة إنسانية» لمدة 3 ساعات وخلالها جرى وقف جميع الأعمال القتالية بما في ذلك القصف الجوي والمدفعي. واعرب العسكريون الروس عن استعدادهم لضمان النقل الآمن للمساعدات لسكان حلب. ووفقا لطلب الامم المتحدة تمت زيادة مدة وتواتر «فترات الهدوء» هذه وهو ما ساعد كثيرا في تخفيف حدة الوضع في المدينة.

ويجب القول إن هذا القرار لم يكن فعلا بالسهل والبسيط وخاصة إذا تم الاخذ بالاعتبار أنه كانت تجري في تلك الفترة بالذات عمليات نشطة في مجال مكافحة الإرهاب من قبل الجيش السوري بدعم من القوة الجوية الروسية في شمال حلب، وفي جنوب غرب هذه المدينة (منطقة راموسة) حيث انتشر الجهاديون من جبهة النصرة ومن التنظيمات الاخرى «المعتدلة» (وفق التصنيف الامريكي) التي انضمت لها بما في ذلك الجماعات المسلحة مثل «أحرار الشام» و«فيلق الشام» و«جيش المجاهدين» و«اجناد الشام» وغيرها.

ومع ذلك، تم إيقاف اطلاق النار لكي تتمكن المساعدات الإنسانية للأمم المتحدة من الوصول إلى أحياء حلب التى يسيطر عليها المسلحون. وتمت تلبية مطالبة

كجزءمن المجموعة الدولية لدعم سوريا التي تضم الدول الاقليمية الأكثر تأثيرا على النزاع في سوريا*.

وكانت نتيجة نشاط هذه البنية الدولية حصول وكالات الأمم المتحدة وبدعم من الحكومة السورية على امكانية توصيل المساعدات الإنسانية إلى جميع المناطق المحاصرة البالغ عددها 18 مركزا سكنيا. ومن الصعب طبعا عدم الاعتراف بأنه تم إحراز تقدم كبير في العمليات الإنسانية للأمم المتحدة. على سبيل المثال في كل فترة 2014-2015 تم تنفيذ عمليات نقل 50 و 34 من القوافل الإنسانية المختلطة (الأمم المتحدة والصليب الاحمر الدولي) الى المناطق النائية التي يصعب الوصول اليها في حين تم خلال ستة أشهر من عام 2016 تنفيذ أكثر من 80 عملية. ومنذ بداية هذا العام، وصلت المساعدات الإنسانية الى أكثر من 6 ملايين شخص، بما في ذلك 290 ألف في المناطق المحاصرة والتي يصعب الوصول إليها من البلاد. وبالإضافة إلى ذلك، يجري العمل على قدم وساق في مجال تقديم المساعدات الانسانية في الأراضي التي تسيطر عليها الحكومة، حيث تم عمليا التخلص من خطر انتشار الجوع بين السكان.

وكل ذلك يعد والى حد كبير نتيجة عمل روسيا مع السلطات السورية من اجل تسهيل اجراءات إيصال المساعدات الإنسانية الى المراكز السكنية المحاصرة.

لننظر الان الى ما قام به ما يسمى «بأصدقاء سوريا» ولنطلع على ما فعلوا من جانبهم. في الحقيقة لم يفعل هؤلاء أي شيء يذكر. على سبيل المثال لم يتم حتى الان حل قضية وصول المساعدات الإنسانية إلى قريتي الفوعا وكفرية (محافظة إدلب) التي يحاصرهما الارهابيون. وقام المسلحون بتطويق واقفال مكتب جمعية

* تضم المجموعة الدولية لدعم سوريا: الجزائر وأستراليا وبريطانيا وألمانيا والاتحاد الأوروبي ومصر والأردن والعراق وإيران وإسبانيا وإيطاليا وكندا وقطر والصين ولبنان وجامعة الدول العربية وهولندا والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ومنظمة التعاون الإسلامي والامم المتحدة وروسيا والسعودية والولايات المتحدة وتركيا وفرنسا واليابان.

ويجب القول إن العملية الروسية في مجال تقديم المساعدات الإنسانية للسوريين باتت تتسم فعلا بالطابع الضخم والمستقر بعد أن تم في فبراير 2016 انشاء مركز المصالحة والتوفيق بين الاطراف المتنازعة وذلك في القاعدة الجوية الروسية «حميميم». ويقوم العسكريون الروس يوميا بالمخاطرة بحياتهم بشكل فعلي وهم ينقلون الغذاء والمواد الأساسية الأخرى الى المناطق «الساخنة» في سوريا وكذلك الى المراكز السكنية التي انضمت الى نظام التهدئة. وحتى اليوم بلغ عدد البلدات والمراكز السكنية التي وقعت على اتفاقات بشأن التهدئة 760 مركزا سكنيا (4). وتجدر الاشارة الى ان عمل مركز المصالحة هو في الواقع جهود عملية يومية تتجسد في شكل مساعدات حقيقية للمحتاجين من السوريين.

وعلاوة على ذلك، يقوم المختصون من المركز الروسي للمصالحة بضمان مرور وعبور القوافل الإنسانية للأمم المتحدة الى أجزاء محاصرة عديدة من البلاد. ويتواجد ممثلو الجانب الروسي بالفعل في نقاط العبور والتفتيش عند مداخل هذه المراكز السكنية. كان الامر كذلك على سبيل المثال مع القافلة الإنسانية، التي نقلت في يونيو 2016 الحمولات الانسانية الى داريا التي تعتبر من المناطق ذات القيمة الكبيرة بالنسبة للمعارضة. لقد تمكنت شاحنات الأمم المتحدة أن تدخل الى هناك بفضل تواجد العسكريين الروس عند نقاط التفتيش. ويجب القول إن قيام روسيا بتقديم المساعدة في موضوع نقل المساعدات الإنسانية الى داريا التي كانت خاضعة للجماعات المناهضة للحكومة، يدل بشكل واضح على أن موسكو تهدف فعلا إلى التخفيف من معاناة السوريين المدنيين، بغض النظر عن الأراضي التي يقيمون فيها. ومن الواضح انه لا يوجد لدى روسيا اية اجندة أو مآرب سياسية فيما يتعلق بقضايا المساعدات الإنسانية.

وكخطوة هامة في تنسيق الجهود الدولية لمعالجة المشكلات الإنسانية للشعب السوري، يمكن اعتبار عمل فرقة العمل الإنساني، التي أنشئت في فبراير 2016

وفي حماة تم بفضل الجهود الروسية فتح مخيم للنازحين والمتنقلين داخليا وهو يضم مطعما ومطبخا ميدانيا ومعدات لخزن المياه وأمكنة للاستحمام. وتقدم روسيا المساعدات للسوريين على شكل مواد غذائية وإمدادات طبية والضروريات الأساسية.

ومع حلول مارس 2016 قامت روسيا بتسليم سوريا أكثر من 620 طن من المساعدات الإنسانية والإمدادات الطبية وغيرها من الضروريات الأساسية. في الوقت نفسه يبدي الجانب الروسي على الدوام استعداده للتعاون مع المنظمات الدولية والمجتمع الدولي، وتقديم الدعم المطلوب لهم في مجال نقل المساعدة للسوريين.

وتساعد الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ايضا المواطنين السوريين. وتقوم الكنيسة الروسية بجمع التبرعات المالية والعينية وتقدمها إلى بطريرك أنطاكية وسائر المشرق يوحنا العاشر والمفتي الأعلى في سوريا احمد بدر حسون. وتقدم المساعدات الإنسانية الى سكان سوريا كذلك من قبل منظمة المحاربين القدامى الروس «الاخوة القتالية» والجمعية الإمبراطورية الفلسطينية الأرثوذكسية التي تنقل المواد الغذائية والأدوية والمعونات النقدية التي تم جمعها من قبل المجموعة البرلمانية الحزبية المشتركة الخاصة بحماية القيم التقليدية ومن قبل صندوق «روس سار» ومن قبل الطائفة الأرثوذكسية السورية في روسيا ليتم توزيعها على المحتاجين داخل سوريا.

وتعتبر روسيا كذلك أحد المانحين الرئيسيين لمشاريع وكالات الأمم المتحدة الإنسانية (المفوضية العليا لشؤون اللاجئين ومكتب تنسيق الشؤون الإنسانية وبرنامج الغذاء العالمي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي) ولجنة الصليب الاحمر الدولية. وتعمل قناة منفصلة لتقديم المساعدات الروسية لحكومتي لبنان والأردن في مجال استقبال اللاجئين السوريين وضمان تواجدهم.

وتجدر الاشارة إلى أن روسيا تقدم المساعدات الإنسانية لشعب الجمهورية العربية السورية من بداية الأزمة. ولم يتم بتاتا ربط هذه المساعدة بأية شروط مسبقة، ولم يكن الدافع فيها لوجود مقاصد سياسية معينة. الحديث دار ويدور عن تقديم المساعدات الإنسانية إلى جميع المحتاجين لها بغض النظر عن الانتماء السياسي أو الدين أو العرق أو إقليم الإقامة (سواء كان في الاراضي التي تسيطر عليها القوات الرسمية أو الجماعات المناهضة للحكومة).

وفيما يلي بعض البيانات والمعطيات عن المساعدات الروسية لسوريا. وفقا لايعاز من رئيس الدولة في روسيا تم خلال الفترة من يناير 2013 إلى أكتوبر 2015 تنفيذ 35 رحلة لطائرات وزارة حالات الطوارئ الروسية من روسيا الى سوريا والدول المجاورة (لبنان والأردن) ونقل خلالها بشكل اضافي اكثر من 600 طن من مواد الإغاثة إلى السكان السوريين المتضررين.

ومنذ بداية عام 2016 تنفذ القوات الجوية الفضائية الروسية عمليات الإغاثة الإنسانية وتنقل المساعدات الإنسانية الى السكان الذين يحاصرهم المسلحون من داعش في دير الزور. ويقوم المتعهدون الروس وبدعم تقني ولوجستي من القوة الجوية الروسية العاملة في سوريا باستخدام طائرات النقل العسكري الروسية لإلقاء المواد الغذائية والضروريات اليومية والدواء بالمظلات لسكان المحافظة السورية المذكورة. وبشكل اجمالي تم حتى الان نقل وتسليم أكثر من 300 طن من الشحنات الإنسانية.

واعتبارا من 10 أبريل 2016 انضمت منظمة برنامج الغذاء العالمي الى عمليات تقديم الإغاثة الى سكان دير الزور المحاصرين وذلك بواسطة الطائرات وعن طريق الانزال الجوي. ويتم تنفيذ هذه العملية نفسها من قبل شركة متعهدة روسية، مع مساعدة تقنية ولوجستية من جانب القوة الجوية الروسية العاملة في سوريا. وتم حتى الان تنفيذ اكثر من 70 طلعة جوية وبلغ إجمالي حجم البضائع التي نقلت الى دير الزور أكثر من 1140 طن.

ومن الأمثلة النموذجية في هذا المجال التي تثبت أن الدول التي تتباكى على الوضع الانساني في سوريا، تستخدم المعايير المزدوجة على ارض الواقع، والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وجامعة الدول العربية تفرض عقوبات ضد سوريا من جانب واحد. وهذه التدابير لم تؤد الا الى تدهور الوضع الاقتصادي في سوريا وبالتالي سعرت المشكلات الانسانية. ونتيجة القيود والعقوبات المفروضة ضد سوريا انخفض بنسبة 60٪ الناتج المحلي الإجمالي، وتراجعت بنسبة 80٪ التجارة والصناعة. وفقد الآلاف من المواطنين وظائفهم، ويعاني القطاع الصحي من التهميش وتم تخريب الصناعات الدوائية والصيدلانية. وفي عام 2015 بلغ مستوى التضخم المالي بالمقارنة مع عام 2010، اي ما قبل الازمة، ما يقرب من 400٪. وانخفض متوسط تكلفة المعيشة الشهري لأسرة مكونة من خمسة الى مستوى قياسي بالنسبة لسوريا - 550 دولارا. وتجاوز عدد العاطلين عن العمل 3.7 مليون شخص وهو ما يمثل 57٪ من السكان القادرين على العمل (8.6٪ في عام 2010 اي قبل الازمة) (3). وتسببت العقوبات بظهور التهريب واقتصاد الظل، حيث يبدو موردي السلع والخدمات مهتمين في استمرار الأزمة والنزاع الى ما لا نهاية على حساب شعب سوريا البائس الذي يعاني من كل ذلك.

ولكن مع ذلك يجري تمديد العقوبات بشكل دوري، على الرغم من تقارير الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية التحليلية، التي تثبت تأثيرها الضار. ولا تزال بعض الدول الغربية ودول الخليج تواصل القول وتزعم أن الحكومة السورية بالذات تعتبر العائق امام معالجة الوضع الإنساني، وليس الإرهابيون من جبهة النصرة وداعش. ويبدو واضحا أن بعض أعضاء المجموعة الدولية لدعم سوريا وفي المقام الاول الاوروبيون، غير مستعدين للاعتراف بأن الأزمة الهجرية في أوروبا لم تكن لتصل الى هذه الحدود المريعة لو أن الاتحاد الاوروبي اتخذ القرار الصائب الوحيد وقام بإلغاء العقوبات والقيود ضد سوريا.

عن حجز سياسي مكشوف. والملفت للنظر أنه كانت خلال ذلك تذكر فقط المدن المحاصرة من قبل الجيش السوري (المعضمية والغوطة الشرقية ودوما) أما المناطق التي يحاصرها المسلحون مثل نبل والزهراء والفوعة والحسكة فلا يتذكرها احد.

ومن المفيد جدا هنا استعراض استنتاج المنظمة الايطالية غير الحكومية «الشبكة ضد الحرب» (No War Network) التي اجرت تحقيقات في القضايا الرنانة المتعلقة بالهجمات على المرافق الطبية في الجمهورية العربية السورية. وتقدم الوثيقة الدلائل على عدم صحة التهم الموجهة ضد القوة الجوية الروسية والقوات الجوية السورية في توجيه ضربات جوية ضد المرافق الطبية. وتقول إن معظم الانباء عن الهجمات على المستشفيات في سوريا تأتي من المناطق التي يسيطر عليها المسلحون. وخلال ذلك يجب القول إن معظم هذه المرافق هي مستشفيات عسكرية ميدانية تنتشر في المباني السكنية والمدارس وغيرها من المباني التي لا علاقة لها بنظام الرعاية الصحية. ولم يتم تمييز هذه المرافق بالعلامات الطبية المستخدمة في الممارسات العالمية مثل علامات الصليب الاحمر او الهلال الاحمر وهذا بالذات لا يسمح بتمييزها من الجو ومن الارض كمؤسسات طبية.

وبالإضافة إلى ذلك، وجهت الوثيقة الانتقاد الى طريقة جمع المعلومات عن الضربات الجوية المزعومة على المرافق الطبية. على وجه الخصوص تستخدم الدول والمنظمات الدولية «المدافعة عن حقوق الإنسان» ووسائل الإعلام، الفصائل المسلحة غير المشروعة كقناة رئيسية للحصول على المعلومات. ولكن من المعروف أن هذه الفصائل غير المشروعة تعتبر من اطراف النزاع ولها مصلحة مباشرة في تشويه سمعة روسيا وحكومة سوريا وبالتالي لا يمكن اعتبارها مصدرا غير متحيز للمعلومات. ولذلك لا تعتبر المعلومات التي يتم الحصول عليها من هذه الجماعات، موضوعية وموثوق بها.

والسكان المتضررين في داريا أو حمص، وعدم القدرة على تقديم المساعدة الطبية في حلب.

وتناثرت في الساحات الدولية الاتهامات ضد السلطات السورية عدم قابليتها للتعاون او بأنها تتعمد خلق صعوبات لوجستية وتفشل عمليات تقديم المساعدة. في نفس الوقت جرى تجاهل تقويض وإفشال العمليات الإنسانية من جانب المعارضة وقتل العاملين في المجال الإنساني، ونهب القوافل من جانب المتمردين وانتشار الفوضى في الأراضي المحتلة من قبل الجهاديين.

ويلفت النظر أن المنظمات غير الحكومية الخاضعة للغرب والدول العربية من منطقة الخليج كانت تستميت في سبيل الوصول الى مناطق القتال العنيف، لكي تجمع المواد وتقدمها بالطريقة المطلوبة. وكان الخطر الكبير على الحياة كبيرا، وإذا عرقلت الحكومة دخولهم إلى «النقاط الساخنة» لأسباب أمنية، ارفع الجعير في الساحات الدولية بخصوص «قيام النظام بفرض القيود على حرية تنقل المراقبين المحايدين، من اجل تغطية جرائمه».

ولزيادة تأجيج وتسعير الاطار الإعلامي حول الوضع الإنساني تم استخدام كل الآليات المتوفرة بما في ذلك وبالمقام الأول ادارة مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان. وبتحريض من الدول الغربية قامت هذه المؤسسة بتقديم تقرير «الحياة في ظل الحصار»، حيث تم القاء اللوم عن الوضع في الأراضي المحتلة من قبل الإرهابيين والمسلحين، على سلطات دمشق الرسمية (1). وخصص حيز كبير للحصار في التقرير الذي صدر في تلك الفترة عن اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق في سوريا،التي لم تتطرق الى هذه المواضيه سابقا (2).

وابدت المنظمات غير الحكومية الغربية الضجة الكبيرة ايضا، وخاصة كل مرة قبيل مناقشة الوضع الإنساني في سوريا بمجلس الأمن الدولي. وكان يبدو واضحا تماما أنه يجري تنسيق كل هذه التصرفات من مركز واحد والتركيز على مواضيع مثل «جوع السكان ونقص الدواء للمدنيين» لم يكن الا عبارة

ويلفت النظر أن الدول الغربية حاولت في البداية الإصرار على إيصال المساعدات الإنسانية عبر حدود الدول المجاورة، مع سوريا دون موافقة من السلطات الشرعية. ومن الواضح أن تنفيذ مثل هذه الأعمال دون السماح من جانب الحكومة يعتبر مخالفا للقانون الدولي*.

وعلاوة على ذلك، في الظروف عندما تكون الرقابة على الحدود التركية السورية ضعيفة وبعيدة عن السيطرة الكلية فأن عدم وجود آلية الرصد والمراقبة كان يحمل في ذاته الكثير من المخاطر. ويكفي أن نتذكر الاحداث المأساوية في خريف عام 2014، عندما لقى حتفهم عشرات الأطفال في محافظة إدلب نتيجة التطعيم ضد الحصبة باستخدام لقاحات فاسدة. وتجدر الإشارة إلى أن المناطق التي حدث فيها ذلك كانت تخضع في تلك الفترة لسيطرة الجماعات التابعة للائتلاف الوطني المعارض وكانت كل الوقائع تدل على أن مسؤولية مقتل الأطفال تقع على عاتق المؤسسات التابعة له.

لقد تمكن الدبلوماسيون الروس من ترسيخ مبدأ خضوع عمليات نقل المعونة للسكان المدنيين عبر الحدود لمراقبة دولية (من قبل الأمم المتحدة) ومع احترام سيادة ووحدة أراضي البلاد. لقد سمح هذا الإجراء بتوجيه العمليات الإنسانية الى الطريق الصحيح المطلوب.

وحاولت القوى المعارضة للحكومة حل مهمة هامة في مجال الترويج الإعلامي باللجوء الى موضوع الانسانية عن طريق تشويه سمعة حكومة الأسد و سمعة أولئك الذين عارضوا الاطاحة به. وكان الموضوع الإنساني في السياق، مناسبا جدا لأنه يسمح بالتلاعب بالعواطف. وتحقيقا لهذه الغاية، تم لعب «المآسي اليومية» الواحدة بعد الاخرى ومن بينها على سبيل المثال المجاعة في الزبداني،

* وبالتحديد، المبادئ التوجيهية في مجال المساعدة الإنسانية. والحديث يدور عن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 182/44، الذي يفترض وجود موافقة إلزامية من الدولة المتلقية على طرق ومعايير تسليم المساعدات الإنسانية واحترام القواعد الأساسية للقانون الدولي عند تخطيط العمليات الإنسانية، وخاصة مبادئ وحدة الاراضي وسيادة للدولة.

وروسيا فعلت ذلك بالذات وهي في حوار مستمر مع حكومة دمشق والمعارضة. أما الدول الغربية فقد قطعت الاتصالات مع السلطات السورية ولم تتمكن (أو لم ترغب) بالتأثير على المسلحين. وحاولت هذه الدول اخفاء هذا العجز وراء النشاط الصاخب والجعجعة في مجلس الأمن الدولي، لكي تظهر أنهم «يعملون بلا كلل» لتخفيف معاناة السوريين.

وبعد عمليات تنسيق طويلة ومضنية اعتمد مجلس الأمن الدولي قراره رقم 2139 (فبراير 2014)، الذي دعا جميع أطراف النزاع السوري إلى التفاعل البناء مع الوكالات الإنسانية للمساعدة في إيصال المساعدات الى المناطق المحاصرة والنائية بما في ذلك تلك المحتلة من قبل الجهاديين. ويجب القول أن الجانب الروسي بالذات أصر على الشرط الأخير.

وطالب الجانب الروسي سلطات دمشق لكي تنظر بمسؤولية تجاه تنفيذ القرار. وبالنتيجة قامت هذه السلطات بتسهيل العمليات البيروقراطية بشكل كبير والغت الكثير من القيود على نقل المساعدات الانسانية.

كل ذلك أدى عمليا إلى سحب وسيلة دورية للممارسة الضغط من جانب واحد على قيادة الجمهورية العربية السورية من أيدي الائتلاف المعادي لسوريا. ومن جانبهم أكد موظفو الأمم المتحدة على أن المسائل المتعلقة بنقل المساعدات يتم في غالب الاحيان حلها مع السلطات السورية في جو عملي وهو ما لا يمكن قوله عن المعارضة. لقد تلخصت «انجازاتها» في سرقة ونهب المساعدات الإنسانية، وقتل عمال الإغاثة والتعطيل المستمر لنقل المعونات.

كان الوضع يحتاج للتصويب وكان يجب وضعه تحت السيطرة. ونتيجة لذلك، ظهر قرار آخر لمجلس الأمن الدولي تحت الرقم 2165، و بموجبه تشكلت بعثة تابعة للامم المتحدة لتفتيش محتويات القوافل الإنسانية الخاصة بإيصال المساعدات إلى سوريا عبر الحدود من الدول المجاورة.

وللضغط على روسيا. وجرى طرح مبادرات تتعارض مع المبادئ الدولية المعمول بها في مجال تقديم المساعدة الإنسانية، بما في ذلك احترام سيادة وسلامة ووحدة أراضي الدول.

ومع تضييق الحصار على الحكومة السورية قام الغرب بنقل موضوع القضايا الإنسانية الى مجلس الأمن الدولي. وذلك لأن هذه الهيئة بالذات مخولة وفقا لميثاق الأمم المتحدة باتخاذ قرارات استخدام «القوة» وهو ما رغبت باستخدامه الأطراف المعادية لدمشق لتحقيق مآربها السياسية. وحينذاك كان بمقدور الغرب أن يتذرع بعدم تطبيق القرارات لتنفيذ التدخل الخارجي في سوريا وتبرير ذلك بوجود انتهاكات جماعية لحقوق الإنسان ووقوع الإبادة الجماعية. وفي حال عدم الخضوع كان من الممكن فرض العقوبات (وهو ما نفذه العديد من الدول الغربية ولكن من جانب واحد). واتخذ الغربيون عدة محاولات لاجتذاب الاخرين الى لعبتهم غير النزيهة لكنها اصطدمت بمقاومة شديدة من جانب روسيا المدعومة من الصين.

ويلفت النظر أن الدول الغربية تقوم «بتنشيط» الاتجاه الانساني كل مرة قبيل أو خلال الأحداث والفعاليات الدولية الهامة التي تهدف إلى تشجيع الأطراف لحل الأزمة السورية. كان ذلك، على سبيل المثال، بعد افتتاح المؤتمر الدولي حول سورية في مونترو في نهاية يناير 2014 (حينذاك بالذات بدأت المحادثات بين الحكومة والمعارضة) وطالبت مجموعة ما يسمى «بأصدقاء سورية» بممارسة الضغط الإضافي على الحكومة السورية.

وكان واضحا ان القرار الجديد لمجلس الأمن الدولي لن يساعد بحد ذاته على أنشطة الوكالات الإنسانية الدولية في سوريا. لقد كان عملها يجري بدون الحاجة لذلك، ولتسهيل وصول المساعدات كان من الضروري ليس صدور وثائق جديدة في مجلس الأمن الدولي بل العمل الدؤوب والمستمر بصبر لدفع جميع اطراف النزاع السوري نحو التعاون مع المنظمات الانسانية.

وتنعدم لدى 12.1 مليون شخص إمكانية الحصول على مياه شرب نظيفة. وكل ثاني لاجئ وصل إلى البلدان الأوروبية قدم من سوريا (بشكل اجمالي حوالي 600 ألف شخص). وتستمر وتتواصل هذه المأساة للسنة السادسة في هذه الدولة التي كانت من البلدان المزدهرة في الشرق الأوسط.

وتجدر الإشارة إلى أن الصراع في سوريا اكتسب طابع النزاع الطائفي الواضح: تحاول الجماعات الإرهابية مثل داعش وجبهة النصرة وغيرها من الفصائل المسلحة غير الشرعية (والتي تنتمي اكثرية اعضائها الى انصار الجهاد الاسلامي الراديكالي)، تحاول بكل قواها القضاء على تقاليد التعايش السلمي بين أتباع الديانات والجماعات العرقية المختلفة في سوريا الذي دام على مدى قرون طويلة. والآن يسر النفس أن تتذكر أنه كان يعيش في سوريا على مدى قرون عديدة جنبا إلى جنب، المسلمون السنة والشيعة والمسيحيون والعلويون والدروز والإسماعيليون والأرمن واليونانيون، وغيرهم. أما هدف الإسلاميين المتشددين فهو إنشاء ما يسمى بالخلافة الإسلامية التي لا يوجد مكان فيها للتعددية والديمقراطية والمساواة. ونتيجة لذلك نرى أنه لم يبق اليوم في الاراضي التي تسيطر عليها داعش وجبهة النصرة، أي وجود تقريبا للمسيحيين والعلويين واليزيديين والدروز والآشوريين والشيعة. والسكان الذين لم يقبلوا بالعيش بقواعد القرون الوسطى التي فرضها الجهاديون، هربوا إلى المناطق التي تسيطر عليها الحكومة السورية.

وللأسف الشديد نضطر للملاحظة أنه لا العمليات العسكرية الكبيرة ولا الكارثة الانسانية في سوريا لم تتمكن من توحيد جهود المجتمع الدولي لكي يقوم في انسجام تام بمساعدة المحتاجين له من السوريين. وتم التغاضي عن مبادئ الإنسانية والعطف وتركها في المقام الثانوي. وبالنسبة للدول التي وضعت في مقدمة أولوياتها مهمة تغيير النظام السياسي في الجمهورية العربية السورية حاولت وخلال كل فترة النزاع ان تستخدم الموضوع الإنساني لتشويه صورة السلطات

غينادي غاتيلوف
نائب وزير الخارجية الروسي
GMGatilov@mid.ru

الأزمة الإنسانية في سوريا: كيف تستخدم المآسي الإنسانية في مآرب سياسية

يمكن القول إن الأزمة الإنسانية في الجمهورية العربية السورية التي ظهرت كنتيجة للحرب الأهلية الطويلة الأمد في هذه الدولة، باتت الأضخم في التاريخ المعاصر. وتدل على ذلك بعض الارقام التي تختفي خلفها حياة ومصائر السكان هناك.

منذ مارس 2011 بلغ عدد ضحايا الحرب الاهلية العنيفة الدائرة في سوريا ما مجموعه 250 ألف شخص وأصيب أكثر من مليون بجروح وتشرد 4.8 مليون شخص وأصبحوا لاجئين (في تركيا حوالي مليوني شخص وفي لبنان أكثر من 1.5 مليون شخص وفي الاردن أكثر من 600 ألف شخص وفي العراق حوالي 300 الف شخص ومصر 130 ألف شخص). وأصبح اكثر من 6.5 مليون شخص من النازحين في داخل البلاد.

ووفقا لتقديرات الأمم المتحدة، فإن أكثر من نصف سكان البلاد – 13.5 مليون نسمة بما في ذلك 6.5 ملايين من الأطفال، يحتاجون في 2016 للمساعدة الطبية.

السيناريو الأكثر احتمالا وهيمنة سيكون سيناريو المحافظة على الوضع الحالي. وقد يحدث تغيير شكلي له بعد التقدم الاستراتيجي في العلاقات بين روسيا والغرب.

ومع ذلك، لا يجوز بتاتا التقليل من قيمة النمو الحتمي للوعي القومي الذاتي في البلطيق وتعزيز اقتراب السلطة من تلك الفئة من السياسيين المحليين الذين يطلق عليهم اسم رجال الدولانية أي الذين لا يضعون في مركز الصدارة الطروح الخارجية بل يركزون على تطلعات وآمال السكان بدون التفريق بينهم على اساس سكان اصلين وقادمين. لا شك في أن ظهور بين السياسيين في دول البلطيق عاجلا أم آجلا، شخصيات سياسية مستقلة حقا قادرة على الدفاع عن المصالح الوطنية الحقيقية قد يساعد في تغيير الوضع بسرعة وبشكل جذري في بلدان البلطيق وحولها وبالتالي سيساعدها على استعادة مكانتها الإقليمية والدولية وزيادة جاذبيتها كشريك مستقل.

المراجع:

1. انظر:. موقع جمعية البلطيق //http://baltasam.org/en/history/pre-histor
2. http://ec.europa.eu/eurostat/tgm/table.do?tab=table&init=1&language=en&pcode=tps00005&plugin=1
3. Ibid.
4. Ibid.
5. انظر: موقع جمعية البلطيق...
6. يا. زيلمنيس. بندول الثروة. ريغا: غولدبرغ تروست، 2015.
7. أ. بلاكانس. موجز تاريخ دول البلطيق.موسكو: «فيس مير»، 2016.

كلمات البحث: روسيا ودول البلطيق، برنامج الحركات من أجل الاستقلال، البزنس الروسي، الاستراتيجية الروسية مع دول البلطيق.

للاهتمام في مجال بناء الثقة بين الدول الأوروبية ذات الانتماء المختلف. وعلى نطاق أوسع، من المستحسن أن يضاف إلى جدول أعمال الحوار مع دول البلطيق، موضوع تنفيذ برامج الاستقلال التي طرحتها الحركات التي سعت لاستقلال جمهوريات البلطيق في العهد السوفيتي مع محاولة دفع الشركاء الغربيين، والنخبة في البلطيق الى النظر في وضع وآفاق الامور في تلك المنطقة عبر موشور البرامج المذكورة.

سيناريوهات مستقبل بلدان البلطيق

السيناريو الاول. حفظ الاتجاهات السائدة الحالية في دول البلطيق وتبلورها. وضمن حدود هذا النموذج يمكن توقع الانخفاض التدريجي في القطاعات الرئيسية المكونة للاقتصادات القومية (الخدمات والنقل والزراعة) بسبب تقلص الطلب عليها والتحول التدريجي نحو خدمة نشاطات رأس المال الأجنبي. هذا الخيار ممكن الحدوث فعلا. وقد أظهر واقع العلاقات بين روسيا والاتحاد الأوروبي، وأثبتت أن العنصر الاقتصادي يعتبر بالنسبة لشركائنا ليس ثانويا فقط بل وغير جدي وكبير.

السيناريو الثاني. تسوية وتعديل العلاقات مع روسيا وابقاؤها على المستوى الذي يسمح بالحوار السياسي وتطوير العلاقات الاقتصادية. وفي هذا المجال إمكانيات كامنة كبيرة للتنفيذ، لأن هذا الخيار سيلبي مصالح روسيا ايضا.

السيناريو الثالث: التقارب مع روسيا وإقامة علاقات قريبة معها – من نموذج العلاقات بين روسيا وبيلوروس. هذا النموذج بعيد الاحتمال ويمكن النظر اليه كافتراضي فقط.

وهناك عوامل كثيرة تؤثر على تشكيل سيناريوهات. والاهم بينها مصالح رأس المال الوطني، وأنشطة النخبة السياسية المحلية واستراتيجية حلف شمال الاطلسي في المنطقة وآفاق تطوير الاتحاد الأوروبي ورؤية الوضع في بلدان البلطيق من جانب رؤوس المال الاوروبية الشمالية والتوجه الأوروبي الأطلسي لأوروبا. وبالتالي، فإن

المطالبات وهذه الظروف خالية من الاعتبارات السياسية. وينبغي أن يضمن للمستثمرين الروس مجال المنافسة وتكافؤ الفرص مع رؤوس المال الأجنبية الاخرى، وخاصة من دول شمال أوروبا.

يجب أن نسعى جاهدين لمنح عملية تطور دول البلطيق الطابع المتعدد الاتجاهات في الجانب الإقليمي الذي خلاله لن يضطر رأس المال الوطني في دول البلطيق أو المستثمر الروسي الى النظر باستمرار الى الامور العقائدية والى التواجد الاوروبي الشمالي في المنطقة، عند اقامة الاتصالات الثنائية. ومن نافل القول إن تطبيق الطابع المتعدد الاتجاهات في دول البلطيق سيشجع في المنطقة حركة السياحة ورؤوس المال والخدمات والبضائع. ويجب التركيز اكثر على أن السكان الناطقين بالروسية يمكن أن يلعبوا دور عامل توحيد الموثوق به بالنسبة لدول البلطيق. ولذلك لا يجوز العمل اليوم فقط من اجل ضبط نظام معيشة وإقامة السكان الناطقين بالروسية.

وكنقطة انطلاق يمكن اعتبار عملية استعادة حقوق السكان الناطقين بالروسية، التي تم هضمها وتهمشيها في التسعينيات من القرن الماضي. على ما سبيل على ما يبدو يجب رفع قضية لتعويض العاملين الناطقين باللغة الروسية الذين تم استبعادهم من عملية الخصخصة وعمليات رد الممتلكات المؤممة. ويجب كذلك بذل المحاولة لتقليص النشاط العسكري في دول البلطيق مع التركيز على اعتماد الحياد من قبل دول البلطيق لاحقا لأنه يجب الاخذ بالاعتبار في سياق أوسع ان من شأن ذلك أن يقلل من أسباب التوتر في العلاقات بين روسيا والغرب، وفي سياق أضيق من شأنه أن يسمح للنخب والسكان في بلدان البلطيق بالتركيز على ضمان الازدهار والرفاه الوطني.

ويمكن للبلدان المجاورة ان تلعب دور الأطراف الضامنة للحياد ومن بينها توجد بلدان محايدة (فنلندا)، ودول حلف شمال الاطلسي (بولندا)، وبلدان منظمة معاهدة الأمن الجماعي (روسيا وبيلاروس). وسيسمح ذلك بظهور تجربة مثيرة

وفنلندا وجود خطط لديهما للسيطرة على سوق الطاقة في لاتفيا عن طريق القدوم من استونيا وليتوانيا. لذلك، ووفقا للخبراء، من المتوقع زيادة المنافسة بين الموردين السويديين والفنلنديين، وهو ما سيؤثر بطريقة أو بأخرى على الحياة الاقتصادية والسياسية لبلدان البلطيق.

ومن الناحية العسكرية والسياسية، يلاحظ تشكيل نقطة انطلاق عسكرية متقدمة للناتو هناك. وتجدر الاشارة الى ان غرس العنصر العسكري ونشر جو المواجهة العسكرية سيؤدي إلى جعل الظروف الداخلية للحياة الاجتماعية والسياسية اكثر صعوبة وقسوة في دول البلطيق. وتتنامى وتزداد علامات فرض القيود على الفكر المعارض في لاتفيا وليتوانيا.

وتقوم بلدن البلطيق بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بتكريس نفسها اكثر فأكثر كأطراف ناقلة وحاملة لأيديولوجية «الشراكة الشرقية» للاتحاد الأوروبي، التي تهدف الى اعادة توجيه الجمهوريات السوفيتية السابقة وإبعادها عن عضوية رابطة الدول المستقلة ودفعها نحو الارتباط مع الاتحاد الأوروبي.

الاستراتيجية الروسية في مجال العلاقات مع بلدان البلطيق

افضل الظروف للمحافظة على العلاقات مع بلدن البلطيق وتطويرها نراها بالنسبة لروسيا على الشكل التالي. تشجيع ودفع دول البلطيق نحو صياغة ونشر سياسة داخلية واضحة ومتماسكة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، يتم خلالها الاشارة بوضوح إلى دور ومكانة العلاقات مع روسيا. ويجب القول إن الاتجاه الروسي لا يوجد حاليا في القوائم الرسمية لاولويات السياسة الخارجية بالنسبة لروسيا لبلدان البلطيق. ومن الضروري أن تتم مطالبة دول البلطيق بشكل منهجي لضمان الظروف المناسبة لعمل المستثمرين الروس هناك. ويجب أن تكون هذه

آفاق الوضع في بلدان البلطيق

عند النظر في ذلك يجب الانطلاق من عدة خصائص رئيسية لحالته الراهنة. ونحن نرى ان النقطة الرئيسية تكمن في أن السياسة الحالية لدول البلطيق هي بصراحة طابع أحادية الاتجاه. وفي الوقت نفسه يبدو أن الاتجاه الواضح بدون شك هو زيادة المنافسة بين لاتفيا وليتوانيا واستونيا. ولهذه الظاهرة اساس طبيعي، لأن اقتصاد دول البلطيق هو من النوع الاحادي النموذج فيما يتعلق بتركيبة الناتج المحلي الإجمالي: تهيمن فيه الخدمات في مجال النقل والمالية والتجارة وكذلك الزراعة التي تلعب دورا هاما. المصدر الاخر للمنافسة هو أن الاقتصاد في دول البلطيق يعتمد على الدعم ولذلك تعتمد القدرة على المناورة والى حد كبير على حجم المعونات المالية التي تحصل عليها من الخارج.

وبالإضافة إلى ذلك، لاحظ الباحثون من دول البلطيق أن المؤسسات المالية من شمال اوروبا اخذت تؤثر اكثر فأكثر على القدرة التنافسية للمنتجين البلطيق وخلال ذلك تعطي الافضلية لبعضها وتترك الاخرى مهملة وكمثال على التنافس يمكن ذكر شركتي الحلويات «كاليف» من استونيا و«لايما» من لاتفيا: تقوم المؤسسات المالية الشمال اوروبية بخلق الصعوبات للشركة الثانية في مجال القروض لكي لا تتقدم على الشركة الاولى وتسبقها.

وبات واقعة حقيقية أن رؤوس المال الاوروبية الشمالية قامت بشكل يتسم بالمهنية والكفاءة بالتغلغل في أسواق دول البلطيق. ولكنها خلال ذلك استنفذت موارد التشغيل الحر ووصلت الى حد التنافس الداخلي. على سبيل المثال، حصلت فنلندا عن طريق مد كوابل نقل الطاقة الكهربائية الى استونيا واستحوذت على المركز المهيمن هناك. وتقوم السويد بتنفيذ خطوات مماثلة في ليتوانيا، عن طريق مد الكابل لنقل الطاقة ايضا. وفي كلتا الحالتين نحن نتحدث عن إمدادات الكهرباء المنتجة في محطات الطاقة النووية الفنلندية والسويدية. ولا تخفي السويد

شركة «غازبروم» لبيع أصولها في ليتوانيا. وتتمسك سلطات لاتفيا بسياسة الانعزال عن روسيا بما في ذلك عن طريق تشييد السياج الحدودي بين لاتفيا وروسيا. ويتم إعداد فعاليات مماثلة من قبل السلطات الاستونية. ويمكن الاستمرار في هذه القائمة. لقد ظهرت الدلائل على التصرفات المذكورة اعلاه في بداية العقد الثاني من هذا القرن.

في هذا الصدد، يمكن القول إنه لا يوجد مستقبل واضح للاستثمارات الروسية المباشرة في الدول الثلاث وأن رؤوس المال الروسية توجد هناك وكأنها في حصار. فهي تتعرض من الناحية السياسية لضغط هائل من السلطات المحلية التي تستخدم على نطاق واسع أدوات سياسة «الخوف من الروس» والتمييز. ومن الناحية الاقتصادية يحصل المستثمرون الروس على فرص نسبية لتطوير فقط القطاعات والمناطق التي لا تتنافس عليها رؤوس المال الأوروبية الشمالية، التي، وكما تبين الممارسة تستخدم طرق غير نزيهة للتخلص من المنافسين.

حتى فترة قريبة توجهت رؤوس المال الروسية بشكل رئيسي الى قطاع الطاقة (في لاتفيا، وليتوانيا، واستونيا) والنقل بالسكك الحديدية (في استونيا) ومعالجة المعادن (في لاتفيا). وبعد تطبيق بنود «حزام الطاقة الثالث» غادر رأس المال الروسي قطاع الطاقة في ليتوانيا ويجري ابتعاده من لاتفيا واستونيا.

وتحدث صفقات الاندماج والاستحواذ بشكل رئيسي على حساب ابتلاع المؤسسات التابعة لرأس المال الروسي. وكمثال نادر لخلق نقطة انطلاق لدخول سوق الاتحاد الأوروبي يمكن اعتبار وضع الشركة الروسية « بوبيدا» (في منطقة التجارة الحرة بمدينة فنتسبيلز). وعلى هذه الخلفية، ووفقا للخبراء في بلدان البلطيق، أصبح هناك أكبر حجم للاستثمار حيث يتواجد رأس المال الروسي يتركز في قطاعات العقارات وخاصة السكنية. ومن المعروف أن الاستثمارات الروسية في الضمانات تتواجد في كل البلدان ولكنها لا تشكل اية منافسة لا بالنسبة لرؤوس المال المحلية او الاوروبية الشمالية التي تسود في بلدان البلطيق.

بين روسيا والغرب على طابع النضال من أجل ترسيخ كل طرف لخطه فقط، بالنسبة لدول البلطيق. ونرى انه من المناسب لروسيا ان تسعى الى تشجيع بلدان البلطيق للعودة الى السياسة الخارجية المتعددة الاتجاهات وتطبيق مبدأ الحياد بالنسبة لدول البلطيق، بدءا من نزع السلاح وهو امر كان من أحجار الزاوية في برنامج الاستقلال البلطيقية العامة خلال فترة 1991-1988. خلال هذا الطرح ستصبح دول البلطيق فعلا مستقلة ومستقرة وستبقى تصرفاتها قابلة للتهكن فعلا ولن ينظر اليها كمصدر للعدوان. وبعبارة أخرى، كان ذلك سيعني شفاء دول البلطيق من هاجس البحث عن أسباب الفشل في السياسة الداخلية والخارجية ومن الاوهام عن التهديد الروسي.

ولنقولها بصراحة، لم تكن روسيا بحاجة لاتباع مسار الاتحاد الاوروبي والقيام باعالة بلدان البلطيق. في وقتها قامت الولايات المتحدة بتنفيذ مناورة رشيقة ووضعت على كاهل الاتحاد الاوروبي مهمة اعالة حلفائها السياسيين في اوروبا بشكل كامل- بلدان البلطيق واوروبا الشرقية. ومن المستبعد ان تكون روسيا بحاجة لحلفاء سياسيين تقوم بإعالتهم.

حول إمكانيات البزنس الروسي في بلدان البلطيق

لتقييم امكانيات وفرص البزنس الروسي في بلدان البلطيق من المفيد مقارنة اللهجة والتصرفات المحددة لروسيا و بلدان البلطيق في العلاقات الثنائية. بالطبع، تسود روح المواجهة خلال الحوار بين الجانبين، ولكن بلدان البلطيق تسير أسرع من روسيا من حيث القيام بالخطوات في عملية المواجهة. وفيما يلي أبرز الأمثلة. بلدان البلطيق، جنبا إلى جنب مع بولندا والمملكة المتحدة ليس فقط تدعو لاستمرار نظام عقوبات الاتحاد الأوروبي ضد روسيا، بل تقترح منح العقوبات طابع علاقات العمل «العادية». دفعت السلطات الليتوانية

يستخدمون مقولة حول ان روسيا لم تكافح بالقدر الكافيمن اجل بلدان البلطيق ولذلك انبعدت عنها. الثالثة – على المستوى الأكاديمي دخلت حيز التداول فكرة أن ثقافة البلطيق ونمط التفكير لا تطابقان بالكامل مع الاوروبيتين الغربيتين، ولا يمكن استبعاد حركتها العكسية في اتجاه روسيا. وقام بصياغة هذه المقولة العالم الامريكي (من اصول لاتفية) اندرياس بلاكانس (7). وعلى ما يبدو، انه ليس وحيدا في ملاحظاته لأنه حصل على تعليقات وردود فعل كثيرة على عمله ببلدان البلطيق وفي الاوساط الأكاديمية في الولايات المتحدة والدول الاسكندينافية والمانيا.

وفي سلسلة واحدة مع الوقائع المذكورة يأتي التصريح الذي صدر مؤخرا عن مرشح الحزب الجمهوري للانتخابات الرئاسية الامريكية دونالد ترامب الذي قال إنه وفي حال انتخابه كرئيس للولايات المتحدة لن يبدي رد فعل آلي على طلبات دول البلطيق.

وتجدر الاشارة الى ان تصريح ترامب يعطي الاساس لتصور قيام الحوار مع النخبة في البلطيق بنفس الطريقة. لقد اعتادت هذه النخبة حاليا على انها لن تنال غير العتاب المصبوغ بالاحترام – مهما فعلت واقترفت – تماما كما اعتاد الفتيان القصر على العتاب من جانب الاباء بدون أي عقاب حقيقي. يبدو ان الميل نحو اتخاذ خطوات جدية قاسية تجاه هذه النخبة بات يتكون ليس فقط في روسيا بل وفي الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي.

وقد يتم تفسير ما تم سرده كدافع لروسيا على الدخول في التنافس بهدف اجتذاب دول البلطيق. من المستبعد أن يكون مناسبا قبول مثل هذه الدعوة لأنها عقيمة وعديمة الفائدة لجميع المشاركين المحتملين: روسيا والغرب وبلدان البلطيق. وذريعة وجود ميول تجاه روسيا تبدو واضحة – تحتاج الدول الغربية، وخصوصا الولايات المتحدة، إلى حجة لتعزيز وجودها على الحدود الروسية. ويعتبر العيب الرئيسي للوضع الحالي للدول البلطيق في أنها تفضل عدم استخدام الروابط التاريخية والجغرافية التقليدية. في هذا السياق سيحصل التنافس في نهاية المطاف

بالنسبة للبند السادس فمن المفاهيم العديدة لكلمة «المشترك» اختارت دول البلطيق المعنى الاضيق – الانعزال والانغلاق. وهذه هي سمة المجال الاعلامي في منطقة البلطيق حاليا. وتم بالإضافة لذلك صبغه باللون العسكري وتشكيله وفقا للمعايير حلف شمال الاطلسي. وفي هذا الصدد، من الضروري توضيح أسباب فشل تنفيذ برنامج الاستقلال. أما أن مؤلفي البرنامج لم يكونوا صادقين وقاموا بتضليل السكان أو انهم صدقوا وبحق صحة البرامج ولكنهم لم يتمكنوا من إبقاء السلطة في أيديهم. المهم هنا هو أن قرار انفصال جمهوريات البلطيق عن الاتحاد السوفياتي، تم اتخاذه على أساس هذا البرنامج. ويبدومحقا النظر في مسألة ما إذا كان تجاهل برنامج الاستقلال وعدم تطبيقه بمثابة الذريعة لامكانية النظر في إلغاء قرار منح الاستقلال. في هذا السياق، يبدو طرح جمهوريات البلطيق المآخذ ومطالبتهم روسيا بتسديد التعويضات عن الفترة السوفيتية، لا يعني شيئا آخر غير الرغبة الخفية لتبرئة أنفسهم من المسؤولية لفشلها في ادارة الجمهوريات بعد الاستقلال بما فيه مصلحة السكان والتطبيق الفاشل فيما يتعلق ببرنامج الاستقلال. هذا الطرح يحظى باعتراف الكثير من الباحثين من دول البلطيق. وقام احدهم حتى بتأليف كتاب حول الموضوع (6).

المحاور الغربية للعلاقات بين روسيا وبلدان البلطيق

على هذه الخلفية، ظهرت في الآونة الأخيرة بعض حقائق غير متوقعة. الأولى – خلال الانتخابات التمهيدية الرئاسية الامريكية، أشارت المشاركة فيها عن الحزب الديمقراطي هيلاري كلينتون إلى أنه لا يجوز للولايات المتحدة ان تقلل من اهتمامها تجاه بلدان البلطيق، وإلا فإنها ستتحول فورا تجاه روسيا، وأشارت الى ان لاتفيا هي الاضعف في هذه الحلقة. *الثانية – اخذ ممثلو النخب في بلدان البلطيق

* خلال مؤتمر الحزب الديمقراطي الامريكي في يوليو 2016 تم اعتماد هيلاري كلينتون كمرشحة للحزب خلال الانتخابات الرئاسية الامريكية في 08. 11. 2016.

الانفصال عن الاتحاد السوفياتي، ولم ينالا الاستمرارية اللازمة في مجال تطبيق الاستقلال الحقيقي والحصول على السيادة الحقيقية للدولة، أي انتهاج سياسة وطنية مستقلة ومسؤولة تلبي المصالح الوطنية لكل دولة من الدول الثلاث. لقد انتقلت بلدان البلطيق الى تحت الحماية الاقتصادية لدول شمال أوروبا ثم الاتحاد الأوروبي، وسياسيا – اختفت وانصهرت في حلف الناتو والاتحاد الأوروبي.

وتم بشكل فظ تشويه البند الثالث حول نزع السلاحعن بلدان البلطيق. وخلافا للبرنامج انضمت بلدان البلطيق إلى حلف شمال الاطلسي وتقوم حاليا بتنفيذ توجيهات الحلف المتعلقة بتحويل أراضيها إلى ساحة للمواجهة العسكرية مع روسيا. وبالنسبة للفقرة الرابعة حول شعار الأمن الاقتصادي قامت دول شمال اوروبا بتحويل بلدان البلطيق الى جزء من السوق المحلية (home market) ولم يجرؤ زعماء بلدان البلطيق على الاعتراض على ذلك. ويقر معظم الخبراء من بلدان البلطيق والخبراء الدوليين بان الأمن الاقتصادي لبلدان البلطيق بات الآن يعتمد إلى حد كبير على الوضع المالي والاقتصادي للبلدان الشمال الأوروبي.

أما بالنسبة لفكرة سوق البلطيق المشتركة فان حجم التبادل التجاري بين بلدان البلطيق بقي في نفس المستوى الذي كان عليه عندما كانت جمهوريات سوفيتية أي 5-8٪ من حجم التجارة الخارجية لكل من جمهوريات البلطيق. وبالنسبة للبند الخامس يلاحظ التناقض الصريح. كان يمكن الحديث عن تنسيق وانسجام السياسة الداخلية والخارجية لدول البلطيق فقط عندما كانت جزءا من الاتحاد السوفيتي: كانت متوازنة ولا تتسم بعامل المواجهة. وفي المجال الخارجي اقامت جمهوريات البلطيق علاقات عمل طبيعية مع جميع الدول. في المجال الداخلي لوحظ مزيج مناسب وصحيح للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية. اما حاليا، فلم يعد يخطر ببال السياسيين من الاحزاب الحاكمة والمعارضة في جمهوريات البلطيق وصف السياسة الخارجية والداخلية للدول البلطيق، بالمنسقة.

السوفيتي لتطور جمهوريات البلطيق – لم تجد ما يؤكد صحتها. خلال فترة 25 عاما من الاستقلال لم تحقق دول البلطيق نقلة نوعية كبيرة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبقيت حتى الان ضمن مجموعة الضعفاء في الاتحاد الأوروبي وأوروبا كلها.

وطبعا طرح المآخذ يعني أيضا موضوع المسؤولية ولذلك فان التعمق في موضوع المطالبة بالتعويضات يرتبط ببرنامج الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي الذي طرحه بعض السياسيين في جمهوريات البلطيق وبات بعد ذلك الاساس للانفصال عن الاتحاد السوفياتي.

التنفيذ العملي لبرنامج الحركات المطالبة بالاستقلال في جمهوريات البلطيق

من المنطقي أن نتذكر، نحن والنخبة في دول البلطيق وكذلك الرعاة والممولون الخارجيون لبلدان البلطيق، محتويات برامج الحركات من أجل استقلال بجمهوريات البلطيق:

1. النضال من أجل الحق في تقرير المصير والسيادة.
2. استعادة وتعزيز استقلال بلدان البلطيق.
3. نزع السلاح التدريجي عن بلدان البلطيق.
4. الأمن الاقتصادي لبلدان البلطيق وتشكيل سوق مشتركة لها.
5. تنسيق السياسة الخارجية والتجارة الخارجية.
6. تشكيل مجال اعلامي مشترك لبلدان البلطيق (5).

وخلال اكثر من 25 عاما على وجود برامج حركات الاستقلال لم يتم تنفيذ أي بند من البنود الستة بشكل كامل وجرى تحريف القسم الكبير منها. على سبيل المثال انقطع نشاط السياسيين في دول البلطيق في اطار الفقرتين الأولى والثانيةلحظة

بالروسية بالذات يبقون تقريبا العامل الوحيد في توحيد دول البلطيق، وخاصة فيما يتعلق بالثقافة، والتعليم، والسياسة الاجتماعية، ويعتبرون بمثابة الناقل للفكر السليم والتوازن بين الاديان والطوائف.

بالنسبة لروسيا يعتبر من الامور الطبيعية اهتمامها بأبناء الوطن في الخارج ومساعدتهم ودعمهم في الدفاع عن حقوقهم، والتغلب على التمييز والكراهية وتغيير اجواء التفريق التي تنشرها السلطات المحلية والقوى المتطرفة. وتبدو واعدة بعض الاتجاهات ومنها النشاط اللاحق من أجل استعادة حقوق السكان الناطقين بالروسية، التي انتهكت في سياق الخصخصة، ومحاولة دفع السلطات لتقديم التعويضات للمتخصصين الناطقين بالروسية من العاملين في المؤسسات التي تمت خصخصتها لفقدانهم الفائدة من الخصخصة.

مآخذ دول البلطيق تجاه روسيا

مباشرة تقريبا بعد نيل الاستقلال قام قسم من السياسيين ببلدان البلطيق الذين لم تكن لديهم القدرة على ضخ المحتوى البناء الايجابي في استقلالية هذه الدول، بالتركيز على ابداء المآخذ تجاه الاتحاد السوفيتي ومن ثم تجاه روسيا التي باتت خلفا له. ويمكن صياغة جوهر هذه المطالب والمآخذ كما يلي: لو لا الانتماء الى الاتحاد السوفياتي، كانت دول البلطيق ستحقق تطورا في المجال الاجتماعي والاقتصادي على مستوى السويد وفنلندا وربما حتى ألمانيا. وفقا لذلك ومن خلال هذا المنطق، كان من الضروري المطالبة بتعويض مالي من روسيا على شكل الفرق بين مؤشرات الناتج المحلي الإجمالي.

وبين أنصار الفكرة يتميز بإصراره على ذلك السياسي الليتواني ف. لاندسبيرجيس الذي يستغل شعارات الادعاء على الاتحاد السوفياتي وروسيا لكي يضمن لبلاده ليتوانيا دور القيادة بين دول البلطيق. ولكن المقولة الانفة الذكر- كبح الاتحاد

الوجود الاقتصادي الروسي في بلدانل البلطيق. وبات واضحا تماما في عام 2014 عدم كفاءة وفعالية مفهوم اولوية العلاقات الاقتصادية بعد فرض الاتحاد الأوروبي عقوبات ضد روسيا. ويمكن القول إن فشل مفهوم أولوية العلاقات الاقتصادية شمل ليس فقط بلدان البلطيق، ولكن العلاقات العامة مع الغرب.

السكان الناطقين بالروسية ببلدان البلطيق

يشغل موضوع السكان الناطقين بالروسية في بلدان البلطيق اتجاها خاصا هاما في علاقات روسيا معها. ومن نافل القول إن السكان الناطقين بالروسية يعيشون في الكثير من دول العالم. ولكن دول بلدان البلطيق تختلف في هذا المجال لأنها تطبق في تشريعاتها سياسة تمييز واضحة تجاه الناطقين بالروسية بين سكانها وفقا للانتماء الاثني، وبكلام آخر فإن السلطات الرسمية تزرع وتؤيد تقسيم السكان الى اصليين وناطقين بالروسية.

يعتقد بعض الخبراء، مثلا الألمان، ان تقسيم السكان وفقا للانتماء الاثني في دول البلطيق اتسم بالطابع الاصطناعي، وهدف إلى عزل السكان الناطقين بالروسية عن عملية خصخصة الممتلكات الاشتراكية وإنشاء في سياقها حقوق تفضيلية للشعوب الأصلية. وبالإضافة إلى ذلك، تجري محاولات لفرض عزلة إعلامية على الناطقين بالروسية، وسكان دول البلطيق بشكل عام عن وسائل الاعلام الروسية. بشكل عام، تجري اقامة اجواء مصطنعة لتعزيز ظاهرة الخوف من الروس. وفي ذات الوقت تتهرب أبرز المؤسسات الأوروبية (مجلس أوروبا والاتحاد الأوروبي) من اعطاء تقييم موضوعي للجوانب الواردة اعلاه التي تحدد وضع السكان الناطقين بالروسية في دول البلطيق.

وتجدر الاشارة الى ان تنقل السكان الأصليين الطفيف بين لاتفيا وليتوانيا واستونيا، والاختلافات الدينية و التاريخية، وتمجيد النازيةتؤدي الى ان السكان الناطقين

20-25٪ من القوى العاملة. وتظهر أسئلة تجاه هيكل اقتصادات دول البلطيق، وآفاق ومستقبل سكانها ومصادر تشكيل الناتج المحلي الإجمالي ومواد توزيعه.

محاولات وضع مسالك مفهومية للعلاقات بين روسيا ودول البلطيق

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، اقترح الجانبان الروسي والبلطيقي على بعضهما البعض مفاهيم الحفاظ على العلاقات الثنائية. واستندت روسيا على مقولة أنه توجد أولوية للعلاقات اقتصادية على العلاقات السياسية وواصلت زيادة الاستثمارات في بلدان البلطيق، معتقدة أن حجم ونطاق هذه الاستثمارات سيلعب دور الحجة المقنعة لصالح دفع جمهوريات البلطيق نحو المحافظة على علاقات واسعة مع الجار الروسي. أما في بلدان البلطيق فحازت على شعبية فكرة أنها وبسبب قربها وعلاقاتها السابقة مع روسيا يمكن ان تلعب دور «الجسر» الطبيعي (أي الوصلة) في العلاقات بين روسيا والغرب.

ولكن المفهومين تكللا بالفشل. اولا تبين اختلال المفهوم البلطيقي. لم تتمكن بلدان البلطيق من العثور على اللهجة الصحيحة والمقبولة في الحوار مع روسيا، واتخذت دور ليس الوسيط بل الناشر لوجهة النظر الغربية بشكل قطعي. وفقد المفهوم المذكور أي معنى له بشكل نهائي بعد انضمام دول البلطيق إلى حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي، لأن علاقات روسيا مع المؤسستين المذكورتين كانت تضبط بواسطة اتفاقيات خاصة، ولم تكن هناك حاجة لاستكمالها بآلية «الجسر» البلطيقي.

وتبين أن المفهوم الروسي الذي يعطي الاولوية في العلاقات للجانب الاقتصادي لم يصمد أمام الاختبار ايضا وأصبح ذلك واضحا بعد ظهور «حزمة الطاقة الثالثة» للاتحاد الأوروبي، التي تم اعتمدها في عام 2009 وبسببها توفرت الشروط لتقليص

السكان الناطقين بالروسية في جمهوريات البلطيق بعد الاستقلال، ومن ناحية أخرى بسبب تراجع المستوى الصناعي وإغلاق الكثير من المؤسسات الصناعية الانتاجية المعروفة منذ العهد السوفيتي حيث عمل الكثير من المتخصصين الناطقين بالروسية. وهناك اتجاه آخر – الهجرة بسبب البطالة وانخفاض مستويات المعيشة. في هذا الاتجاه كانت الاغلبية من السكان الأصليين، الذين هاجروا بشكل رئيسي إلى المملكة المتحدة وايرلندا وألمانيا، حيث عثروا على عمل في مجال العمالة غير الماهرة.

معدل البطالة في دول البلطيق مع حلول 01/01/2015 في % من القوى العاملة (4)

الاتحاد الاوروبي (28 دولة)	المنطقة الاوروبية (19 دولة)	ليتوانيا	استونيا	لاتفيا
9.4	10.9	9.1	6.2	9.9

أما بالنسبة لمستوى الهجرة، فإن التشريعات في دول البلطيق لا تحتوي على تعريف واضح لكلمة المهاجر، وتتمسك بنقطتين في هذا المجال. من المهاجرين يمكن ان يعتبر المواطن الذي غاب عن البلاد اكثر من عام. النقطة الثانية: إذا أعلن المواطن للسلطات المحلية بأنه من المهاجرين. ومن الواضح أنه من الصعب جدا الحصول على إحصائيات واضحة مع وجود هذه النهج. ويجب القول إن معارضي السلطات الحالية في جمهوريات البلطيق يقومون بتكبير الارقام حول الهجرة الى الخارج في حين يعمد أنصار السلطات الى تقليلها. ولكن الطرفين يتفقان على ان الهجرة المذكورة توجد عند حدود 10-15% من عدد السكان. وبما ان المهاجرين عادة من السكان القادرين على العمل فمن الممكن الجمع بين هذين الرقمين لنحصل على أن متوسط السكان الذين لا يوجد عليهم طلب في سوق العمل، يبلغ

الأوسع من ذلك يمكن لمفهوم Baltic strip أن يسمح للرأي العام الدولي ان يفهم الامر الذي تجري حوله الهستيريا السياسية والعسكرية.

وفي الوقت نفسه تتطلب مزيدا من الدراسة الصورة النمطية لما يسمى التوحد التعاضدي لدول البلطيق وهو رأي شائع الانتشار في الفضاء بعد الاتحاد السوفياتي، وكذلك في أوروبا والولايات المتحدة. وهذا الامر يتعلق اساسا بالمواقف المتماثلة لهذ الدول حول العديد من القضايا الدولية، وهي تتقارب بشكل خاص في ما يتعلق بالمواجهة مع روسيا. ولكن إذا تم إخراج هذا الجانب إلى خارج القوسين فسيكون من الصعب جدا العثور على عناصر يمكن أن توحد دول البلطيق. فهي تختلف في الناحية العرقية والاثنية (على سبيل المثال، استونيا تنتمي إلى المجموعة الفنلندية الأوغرية، القريبة من فنلندا والبعيدة عن لاتفيا وليتوانيا)، وهناك مسافة في مجال الطوائف (سكان ليتوانيا كاثوليك، وسكان لاتفيا من البروتستانت الكلاسيكيين، وسكان إستونيا من اتباع اللوثرية وهي فرع من البروتستانتية)، ولدى النخب الحاكمة في الدول الثلاث جهات مختلفة تسترشد بها جغرافيا (إستونيا تسترشد بفنلندا وليتوانيا ببولندا ولاتفيا بألمانيا).

وتوجد حدود غير مرئية على المستوى المعيشي بين البلدان الثلاث ايضا. وهكذا، فإن عدد سكان كل منها، المقيمين في جمهوريات البلطيق المجاورة، يحوم حول 3٪. وتحمل الطابع الشكلي البحت الهيئة البرلمانية المشتركة – الجمعية البلطيقية التي تتعامل أساسا مع موضوع العلاقات مع روسيا.

موارد القوى العاملة في دول البلطيق

تميزت حركة موارد القوى العاملة في دول البلطيق بعد الاستقلال بعدة اتجاهات. الاكثر وضوحا كان اتجاه رحيل المتخصصين الناطقين باللغة الروسية من دول البلطيق. وقد جرى ذلك تحت تأثير عاملين: من ناحية، بسبب التمييز المتبع ضد

التطور الغربية والمسارات التاريخية والجغرافية التقليدية. وعند القاء نظرة رجعية أكثر عمقا في دينامية التوازن المذكور يتضح انه تكون منذ فترة بعيدة واكتسب نوعا من نوع من التقليد المترسخ. وبالتالي يمكن تصنيف دول البلطيق كنوع مختلط تتواجد فيه بشكل متساو تقريبا البداية الروسية (الجغرافية والتاريخية) والبداية الغربية.

على ما يبدو، سيكون من الافضل وعقلانيا اكثر بالنسبة لنا والغربيين قبول هذه الحقيقة، ووفقا لذلك بناء العلاقات اللاحقة مع دول البلطيق من قبل كلا الجانبين. ومن الواضح أن لدى روسيا والغرب توجد صور مختلفة لدول البلطيق. من الجانب الروسي هناك إشارة إلى الرغبة في إجراء تقييم موضوعي لدور هذه الدول في السياسة والاقتصاد الدولي انطلاقا من إمكاناتها المتواضعة. على الجانب الغربي نشهد محاولة لزرع صورة داود وجالوت، في إشارة إلى الوضع بين دول البلطيق وروسيا. ويمكن ان تصبح عملية توحيد تسمية هذه المنطقة كخطوة هامة على طريق تقريب فهم الروس والغربيين لأهمية دول البلطيق. في روسيا، هناك انتشار لتسمية Прибалтика (المنطقة المحاذية للبلطيق) وهي تعكس النظرة الروسية الفعلية تجاه هذه الجمهوريات التي كانت جهة محببة لدى الروس للاستجمام البحري الصيفي. ويمكن وضع تسمية بالانكليزية شبيهة تعتمد على الموقع الجغرافي وعلى حجم دول البلطيق، واعتماد مفهوم Baltic strip*. ونعتقد أن استخدام هذا التعبير من قبل الغرب سيكون مناسبا وعمليا، لأنه من شأنه أن يساعد الشركاء الغربيين عند النية باستخدام الخطاب المعادي لروسيا أن يدركوا دائما بشكل صحيح عما يدور الحديث ويدركوا القيمة الضئيلة فعلا لهذه الدول بالنسبة لروسيا وعدم صحة المآخذ التي تبديها هذه الدول تجاه روسيا. وفي المجال

* Strip – كلمة انكليزية تعني الشريط او القطاع. وهي تأخذ بالاعتبار الهيكل العام لدول البلطيق المتجاورة فيما بينها والواقعة على ساحل بحر البلطايق. وبالفعل تذكر ليتوانيا على سبيل المثال الشريط الفاصل بين روسيا والبحر. ومساحة هذه الدول تسمح بتصورها كشريط.

عدد سكان دول البلطيق وحصتها في الاتحاد الأوروبي مع حلول 1 يناير 2015

	الاتحاد الأوروبي (28 دولة)	منطقة اليورو (19 دولة)	استونيا	لاتفيا	ليتوانيا
مليون شخص (2)	508.450	338.471	1.313	1.986	2.921
النسبة المئاوية (3)	100	66	0.3	0.4	0.6

الوضع الحالي لدول البلطيق

في ضوء ما سبق سرده من المنطقي أن يتساءل المرء: كيف يمكن تصنيف دول البلطيق بشكل صحيح؟ لا نزال وحسب عادة معينة نسميها بجمهوريات سوفيتية سابقة مشيرين إلى أصلها السوفياتي. ومن هذا تظهر الرغبة في تطبيق عليها قياسات بلدان الاتحاد السوفياتي السابق كما لو أنها جزء من رابطة الدول المستقلة وبالتالي تعاني صعوبات مؤقتة في اختيار طرق التطور اللاحقة. ولكن بنية دول البلطيق، واقتصاداتها وسياستها الخارجية، تحدد انطلاقا من كونها من الاعضاء المتمتعين بكامل الحقوق في المنظمتين: العسكرية السياسية – الناتو والاقتصادية – الاتحاد الأوروبي. وفي الوقت نفسه، لا توجد أية أسباب تسمح باعتبار دول البلطيق كدول من النموذج الاوروبي الغربي بشكل كامل. لننظر في مؤشر تناسب القوى السياسية في لاتفيا وليتوانيا واستونيا. يلفت النظر أنه في جميع الانتخابات البرلمانية أو البلدية لم يحصل على الاغلبية المطلقة أبدا، لا انصار الاتجاه الغربي ولا أنصار المسارات التاريخية والجغرافية التقليدية. وجرت العادة في هذه الجمهوريات تشكيل الحكومات الائتلافية حيث يعمل المتطرفون جنبا الى جنب مع القوى المعتدلة. ويستنتج من ذلك أنه يوجد في دول البلطيق توازن تقريبي بين القوى المؤيدة والمعارضة لطرق

(فرنسا). وأصبحت دول البلطيق من اعضاء الاتحاد الأوروبي اعتبارا من 1 مايو 2004. وقبل ذلك بشهر (29 مارس 2014)، اكتسبت هذه الدول عضوية منظمة حلف شمال الأطلسي.

وتعتبر جمهوريات البلطيق في الوقت الحالي، من اعضاء الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي. والملفت للنظر أن لاتفيا وليتوانيا واستونيا تقدم نفسها في الناتو كدول تقع على الجبهة وهي تقصد هنا الحدود الجغرافية مع روسيا. وهذا الموقف من جانب الجمهوريات الثلاث جاء بوحي من قيادة الناتو التي تروج لفكرة نشر المعدات العسكرية والقوات التابعة لدول الناتو الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية، المملكة المتحدة، ألمانيا) في أراضي هذه الجمهوريات.

ويتم استخدام عامل التهديد الخارجي بنشاط كذلك في السياسة الداخلية لدول البلطيق، ولا سيما في صراع بين الأحزاب. وتتحالف دول البلطيق في الاتحاد الأوروبي مع بريطانيا وبولندا حول اثنين من أكثر القضايا إلحاحا: موضوع تنظيم وضبط قضايا الهجرة وموضوع فرض العقوبات ضد روسيا. وتبدي هذه الجمهوريات النشاط الكبير خلال تنفيذ برنامج «الشراكة الشرقية»، وتقوم بوضع مبادرات لتعزيز البرنامج المذكور. واما في بقية الأنشطة الحالية للاتحاد الأوروبي فتتمسك جمهوريات البلطيق بالخط العام بشكل اجمالي ولا تظهر النشاط الملحوظ الا في المسائل المتعلقة بالتعاون مع روسيا.

ووفقا لإحصاءات الاتحاد الأوروبي تتطابق المؤشرات الحالية لتطور دول البلطيق، بصفة عامة، مع حجم هذه الدول ووضعها وهي تقريبا في نفس المستوى الموجود لدى بلدان أوروبا الشرقية التي انضمت إلى الاتحاد الأوروبي في العقد الاول من القرن الحالي. ويعتبر المحرك الرئيسي لتشكيل ناتجها المحلي الإجمالي، نشاط الشركات الأجنبية التي وبعد حسم الضرائب والرسوم المالية تبتلع كل المكاسب والربح. ويجب القول إن موقع دول البلطيق في الاتحاد الأوروبي يتناسب والى حد كبير مع عدد سكانها.

(Tautas Fronte)، وتيار الاصلاح لليتوانيا (Sajūdis). لقد بحثت هذه الحركات عن الدعم والمساعدة عند بعضها البعض وفقط لاحقا وبعد أن توحدت أعلنت فكرة استقلال على شكل جمعية البلطيق المشتركة من أجل الاستقلال (Assembly of the Baltic Independence Movements) [1]. وكان البرنامج العام لها في مجال الحصول على استقلال يتسم بالطابع المعتدل وكان جذابا للجماهير.

وتجدر الإشارة إلى أن تطوربلدان البلطيق بعد الحصول على الاستقلال مر عبر عدة مراحل. في بداية التسعينيات من القرن الماضي تم الغاء الطابع الحكومي والخصخصة لممتلكات القطاع العام والمؤسسات الحكومية وإعادة ما كان خاضعا للتأميم إلى اصحابها. وفي 1995-2004 جرى التحضير للانضمام الى الناتو والاتحاد الاوروبي. وفي الفترة من 2004 حتى الآن تعتبر هذه البلدان اعضاء في منظمة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي، وتشارك بنشاط في عمل المنظمتين. ومنذ عام 2011 يعزز التكامل والاندماج في الاتحاد الأوروبي على حساب الانضمام الى منطقة اليورو: استونيا في 1 يناير 2011، لاتفيا في 1 يناير 2014، ليتوانيا في 1 يناير 2015.

وبعد الحصول على الاستقلال في بداية التسعينيات من القرن الماضي تقلبت دول البلطيق بين الميل للحفاظ على العلاقات التاريخية والجغرافية التقليدية، التي تعرف بأنها تتضمن بما في ذلك العلاقات مع روسيا وبيلاروس وبين تطوير الاتصالات مع بلدان أوروبا الغربية بشكل مواز. ولكن تم التركيز في المحصلة على الاتجاه الاوروبي الغربي. وقدمت لاتفيا وليتوانيا واستونيا في 1995 الطلبات للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ولكن المفاوضات حول الانضمام بدأت في عام 2000. وكان سبب هذه الوقفة لمدة خمس سنوات هو أن الاتحاد الاوروبي لم يكن ينظر في توسيع حدوده نحو الشرق. وتم اعتماد القرار المبدئي حول انضمام هذه الدول في قمة الاتحاد الأوروبي في عام 2000 في نيس

المعروف أن الدعاية في دول البلطيق وكذلك الطبقة السياسية الحاكمة فيها تحاول تصوير روسيا بمثابة التهديد الرئيسي للاستقرار في المنطقة والعالم وتروج لمقولة تحميل الاتحاد السوفيتي ذنب المشكلات الحالية التي تعصف بالتطور والتنمية في منطقة البلطيق. في عام 2016 مرت 25 سنة على الانفصال الرسمي لدول البلطيق عن الاتحاد السوفيتي*. ويجب القول إن ما ذكر اعلاه يعطي الاساس لاجراء تحليل لوضع الامور في دول البلطيق. ونحن نرى من الضروري التركيز على الاتجاهات التالية للتحليل: قيام بلدان البلطيق كدول مستقلة، وتطور العلاقات الروسية البلطيقية، ومستقبل بلدان البلطيق في السياسة الخارجية الاوروبية والروسية.

قيام دول البلطيق في المرحلة المعاصرة

تحظى بشعبية كبيرة في دول البلطيق، مقولة حول أن حصول هذه الدول على الاستقلال في 1991 كان فقط نتيجة لتطورها الذاتي. ويجري الحذف من مجال الرؤية لحقيقة أن حركة الاستقلال في جمهوريات البلطيق، كانت مجرد واحدة من الحركات الاجتماعية التي نشأت تحت تأثير تحديثات السياسة السوفياتية، والمعروفة باسم «البيريسترويكا». ويبدو واضحا أن موعدها يتزامن مع التواريخ التي يشير إليها مؤرخو الحركة لأجل الاستقلال في جمهوريات البلطيق (1988-1991). والمنظمات القومية في تلك الجمهوريات في الفترة المذكورة التي باتت حاليا تجسد أنصار الاستقلال، لم تطرح في ذلك الوقت أية إشارات بخصوص موضوع الانفصال عن الاتحاد السوفييتي حتى في تسمياتها: الجبهة الشعبية في إستونيا (Rahvarinne)، والجبهة الشعبية في لاتفيا

* في سبتمبر عام 1991 وقع الرئيس السوفيتي على مرسوم اعترف باستقلال جمهوريات البلطيق، أي الاقرار القانوني بانفصالها عن الاتحاد السوفيتي واعتمد في ذلك على قرار مجلس الدولة السوفيتي بتاريخ 1991/9/6 وقرارات مجلس السوفيت في الجمهوريات الثلاث حول استعادة الاستقلال. بتاريخ 1991/5/4 في لاتفيا و1990/3/11 في ليتوانيا و1991/8/20 في استونيا.

روسيا وبلدان البلطيق: ملامح مفهوم العلاقات الثنائية

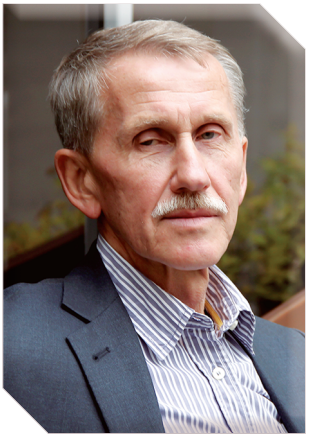

فلاديمير اولينتشينكو

كبير الموظفين العلميين بمركز
الدراسات الأوروبية
لمعهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية
التابع لأكاديمية العلوم الروسية،
دكتوراه في القانون

olenchenko.vladimir@mail.ru

ملاحظات أولية

عند النظر في موضوع بلدان البلطيق من الزاوية الروسية يجب ومن الضروري القيام بعدة توضيحات. على سبيل المثال، نعتقد أنه من الافضل تجنب التطرف وخاصة يجب تجنب النظرة المزدرية تجاه دول البلطيق وفي ذات الوقت عدم المبالغة في أهميتها. ولا بد أيضا الاخذ بالاعتبار أن قسما كبيرا من تاريخ هذه البلدان كان ليس فقط مرتبطا مع روسيا، بل وكان جزءا مكونا لها وأن امكانياتها الحالية اليوم جاءت وبكل ما في هذه الكلمة من معنى نتيجة لاستخدام الامكانيات التي وفرتها روسيا. وفي الاطر المحددة المذكورة يمكن رؤية الفهم الصحيح للعلاقة وللنظرة تجاه دول البلطيق كجزء صغير ولكنه كان دائما جزءا لا يتجزأ من السياسة الخارجية لروسيا.

وفي الوقت الراهن تثير دول البلطيق في الوعي الجماهيري الاجتماعي الروسي والدولي التصور بأنها تلعب على الدوام دور المحفز المستمر المعادي لروسيا. ومن

قسرا لان ذلك يتسم بالتهور وسيكون عديم النتيجة. في الحياة قد يحدث اي شيء، وخصوصا عندما اكتسب التعاون الروسي الصيني النطاق الواسع ويجري التعامل بشكل يومي وهو ما يجعله أحيانا يقع في فخ الروتين والدنيوية.

حتى اكثر العلاقات حميمية وعمقا لا تفترض ولا تعني وحدة التفكير ولا تلغي المصالح والنوايا ووجهات النظر الذاتية والخاصة. لدى الدول العالمية الكبرى ومن بينها روسيا والصين، لا يمكن للأمور ان تجري بشكل مغاير. البحث المستمر عن تناسق العلاقات والعثور على القواسم المشتركة على أساس من المساواة واحترام وجهة نظر المغايرة، ورؤية المخاطر والعثور على الفرص للحفاظ على المزاج المريح بشكل متبادل في الوسط الاجتماعي، والأهم، الحركة المستمرة إلى الأمام – بهذا الشكل يبدو لنا قالب الشراكة الاستراتيجية، الذي يجب ان يحدد تصرفات الطرفين في غياهب مختلف الظروف والأحداث لعالم يتجه نحو العولمة، وذلك مع ظهور التذبذب في درجة الحرارة الخارجية والداخلية.

كلمات البحث: العلاقات الروسية الصينية، هندسة الحدود، خزان الثقة.

Международная
ЖИЗНЬ

الدولتين. ولم يتضمن الاتفاق اي مطالبة بسحب القوات من تلك المنطقة وبالتالي «تعريتها» فيما يتعلق بالدفاع.

وتجدر الاشارة الى ان الاتفاقات المسجلة في عام 1997، تبدو على الأغلب بمثابة الاستمرار في خط اتفاق عام 1996 بشأن تدابير بناء الثقة. ويتلخص الجانب الابتكاري فيها في أنها تنص على التبادل السنوي للمعلومات الموجزة حول الموجود الحالي من الأسلحة والقوات المسلحة، فضلا عن إنشاء آلية لعمليات التفتيش المتبادلة على أساس المساواة، وتشكيل هيئة مراقبة لتحقيق هذه الأغراض – المجموعة المشتركة للمراقبة من الخبراء الدبلوماسيين والعسكريين. وخلال السنوات الماضية تم تنفيذ جميع بنود كل الاتفاقات من قبل الطرفين بدون أي عوائق. واصبحت ممارسة تدابير الثقة في المجال العسكري والتي طبقت لأول مرة في آسيا، وذلك على حدود بين الصين و روسيا ودول آسيا الوسطى،اصبحت مثالا يحتذى به. مثلا على اساسها تم بناء تدابير الثقة بين الهند والصين، على الرغم من أن مسألة الحدود بينهما لا تزال بعيدة عن التسوية.

ومن نافل القول إن خزان الثقة المتبادلة بين روسيا والصين تغذى بطبيعة الحال، عن طريق اتخاذ تدابير واتفاقات أخرى كبيرة وصغيرة، بما في ذلك في مجال التعاون العسكري، الذي تقدم ووصل الى حد اتقان التفاعل العملي. ومع ذلك، كان حجر الزاوية والعنصر الاساسي ولا يزال، القرارات والحلول التي تم التوصل لها في المجال الصعب والحساس جدا وهو حل القضايا الشائكة في المسألة الحدودية والانفراج العسكري على طول الحدود. ومن هناك بالذات جاءت أول البراعم الاساسية لقيام الشراكة الاستراتيجية، والتي أصبحت مع مرور الوقت، احدى المكونات الأساسية للسياسة الخارجية سواء في روسيا والصين، وبمثابة الحد الاقصى لنوعية العلاقات الثنائية مع الدول الأخرى.

العلاقات الجيدة بين الدول يجب أن تذكر من حيث طبيعتها الوضع في العائلة والأسرة بالشكل المثالي، ولكن لا يجوز مقارنتها بالملحمة وحشرها في هذا الوضع

في المجال العسكري في عام 1996، وتخفيض القوات المسلحة والأسلحة في المناطق المتاخمة للحدود مع الصين في عام 1997، والتي تم التوقيع عليها بالفعل من قبل خمس دول روسيا وكازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان والصين (في مجال وضع المشروعين عمل وفد مشترك خاص في فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي).

في البداية لم يكن من السهل العثور على تفاهم بين الخبراء العسكريين من الطرفين، لا سيما فيما يتعلق بمقارنة المعلومات والأرقام المحددة حول وجود هذا النوع او ذاك من المعدات العسكرية وتجهيزات الوحدات العسكرية. ولكن الوضع السياسي العام، بما في ذلك الناجح السريع للتعاون العسكري التقني مع الصين، وزيارات كبار الشخصيات الرسمية وقيام الصين بأول عمليات شراء لاحدث المعدات العسكرية من روسيا، قام وبشكل طبيعي بتبديد ظلال الشك ودفع مسار المفاوضات الى طريق عم عقلاني بحت. كل هذا اضاف، والآن من الزاوية العسكرية، احجار متينة جديدة في قاعدة الثقة المتبادلة.

وبينت عملية إبرام والتصديق في البرلمان الروسي على اتفاقية عام 1997 المتعددة الأطراف، مدى صعوبة التخلص من بقايا الشك والريبة ومتانة ومحاولات تحويلها الى مادة للمضاربة والتلاعب. على سبيل المثال عضو البرلمان، الفريق أول أ. ماكاشوف المعروف في تلك الفترة بتصريحاته المدوية والذي عرض نفسه كخبير مطلع على القدرة العسكرية الصينية، تحدث كثيرا مخوفا زملائه عن وجود حشود عسكرية صينية على الحدود وهو امر لم يحدث في الواقع، بل على العكس كان الجزء الأكبر من القوات الروسية في الشرق الأقصى قريبا جدا من الحدود مع الصين بسبب الظروف الطبيعية والجغرافية.

على الرغم من أنه تم في عنوان اتفاق عام 1997 استخدام مصطلح «تقليص»، يمكن القول ان الحدود والقيود المدرجة فيه لم تكن تتطلب بتاتا أي شيء من هذا القبيل في منطقة المئة كلم التي يسري مفعوله فيها والممتدة على طرفي الحدود في

ملء خزان الثقة

هذا التقدم السريع للعلاقات الثنائية على المسار من الماضي إلى المستقبل، واكتسابها لسمات وخصائص الشراكة الاستراتيجية الشاملة لم يكن له أن يحدث بدون التوسع المستمر في مجال التفاهم المتبادل، وخلق أجواء مداخلة ودية في العلاقات الرسمية على جميع المستويات وفي العلاقات الاجتماعية العامة.

واليوم لا شك بتاتا في أن التقدم في حل قضايا الحدود كان ليس فقط علامة على تزايد الثقة بحد ذاته بل وكان حافزا قويا لتعزيز وتوحيد التعاون الروسي الصيني في كافة المجالات.

ولكي يصبح حقل طاقة الثقة شاملا ومستديما يجب ووفقا لمنطق الامور، أن يتم ادراج القطاع العسكري في التيار العام للعلاقات. وفي هذا القطاع لعبت محادثات الحدود الدور الريادي ايضا. في نهاية الثمانينات تم بمبادرة صينية تنظيم عملية تصوير جوي مشتركة لقطاعات ممتدة من الحدود وذلك بواسطة طائرات حربية من الدولتين مزودة بأجهزة خاصة انطلقت ودخلت الى عمق محدد من كلا الدولتين. هذا الحدث وعلى الرغم من انه كان يبدو عملا روتينيا بحتا إلا أنه في تلك الفترة شكل سابقة لا مثيل لها. أولا، لأن الطرفين وفقا عليه بشجاعة وجرأة، حتى بدون رؤية نتائج واضحة للمفاوضات. ثانيا، للمرة الأولى منذ عقود قامت بالتعاون وحدات من القوات المسلحة في الدولتين وهي التي اعتادت حتى الآن على «رؤية» بعضهما البعض من خلال مشاهد المدافع والبنادق فقط. ونجحت التجربة بدون أي شائبة. وبات واضحا سياسيا أن نشر الثقة على القطاع الدفاعي امر يمكن تطبيقه.

وسرعان ما خرجت المباحثات حول الانفراج العسكري على الحدود السوفيتية الصينية في مطلع التسعينيات وانفصلت في اتجاه مستقل عن المفاوضات الحدودية العامة. وأدى ذلك إلى اتفاقيتين معروفتين -حول تدابير تعزيز الثقة

حزمة واحدة»، ثانيا – تقدم الوفد السوفيتي قبيل حلول التسعينيات بمبادرة لتعريف القيادات الحزبية والمدنية في جمهوريات آسيا الوسطى بالنتائج التي تم تحقيقها والعقبات الموجودة وذلك بهدف الحصول على مقترحات جديدة ممكنة خلال البحث عن الحلول الوسط.

ويعتقد أن هذه الخطوات لعبت دورها ومكنت الجمهوريات التي تحولت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، إلى دول – كازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان من استيعاب بشكل ايجابي فكرة تشكيل وفد مشترك للشؤون الحدود مع الاتحاد الروسي ووافقت على الاتفاقات الاولية التي تم التوصل إليها في المفاوضات السوفيتية الصينية حول قطاع الحدود في آسيا الوسطى. وهذه النقطة الاخيرة بقيت تثير التوتر لدى موسكو وبكين لأنه كانت توجد في كل دولة من دول آسيا الوسطى آنذاك قوى صاخبة مؤثرة فسرت الاستقلال الذي هبط فجأة وبشكل غير متوقع كسبب للنأي بالنفس عن أي إرث سوفيتي. وهذه الحلول والقرارات البعيدة النظر ساعدت وبدون شك جمهوريات آسيا الوسطى المجاورة للصين وانطلاقا من حاجاتها ومهمات تطورها خلال التسعينيات أن تصل الى حلول مثلى بما في ذلك لعقدة بامير.

هذه الالية للعلاقات بين الدول، كالوفد المشترك الذي في إطاره لم يقم اي طرف بالضغط على الاخر او توجيه اللوم له، بل على العكس ساعد في زرع التفاهم المشترك مع النظرة المحترمة تجاه فردية واستقلالية بعض المسالك المحددة، اثبتت وبينت نفسها كوسيلة فعالة ونجاعة في حل ليس فقط الشؤون الحدودية. لقد شجعت هذه الآلية روح وأجواء الزمالة وصقل حدة المناقشات لتحقيق النتائج الملموسة، وشجعت على تطوير ثقافة الاجماع وهو ما كان له قيمة توحيدية عالية للغاية في تلك السنوات، ولاحقا كان له أثر إيجابي في البعد السياسي الأوسع، بما في ذلك تحفيز ظهور منظمة شنغهاي للتعاون، التي تحتفل في يونيو 2016 بمرور 15 عاما على ظهورها.

الامور ضمن الحوار السياسي في العلاقات مع الدول الأخرى، والانزلاق نحو الترويج الدعائي الذي قد يبدو جذابا لتحقيق مصالح محددة على المدى القصير ولكنه يؤدي الى طريق مسدود.

ومن الجدير أن نلاحظ أنه خلال الحقبة السوفياتية، كان من مواد النقاش والنظر الدقيق موضوع مقطع الحدود في آسيا الوسطى من منغوليا إلى أفغانستان في المفاوضات مع الصين. وفي سنوات قيام هذه الحدود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت هناك حالات من الرفض القاطع من قبل البلاط الإمبراطوري الصيني لما تم توقيعه من قبل بعض الموظفين المسؤولين على نصوص المعاهدات والاتفاقات. وكانت الحكومة القيصرية تضطر إلى اعادة النظر فيها بشكل جدي طلبا للحلول الوسط (هذا للإشارة الى ان بكين لم تكن ضعيفة الإرادة ولم تخضع بشكل شامل وبخنوع لضغوط الآخرين فيما يتعلق بوضع الحدود).

وبسبب سواد التضاريس الجبلية الوعرة تم في بعض الاحيان ترسيم مقاطع الحدود «بواسطة العين المجردة» وعن طريق «الحدس الجغرافي». وتسبب ذلك في بعض الاحيان بظهور تناقضات معقدة، مثل وجود قمتي خان تنغري. وبقي قسم الحدود في منطقة بامير «معلقا» ولم ينظم ضمن العلاقات القانونية الدولية. لقد تيسر حل مجموعة كبيرة من القضايا في تلك المحادثات ولكن على الرغم من ذلك بقي العديد مما يسمى «بالنوافذ» أو «الثغرات».

ويجب القول أن النظام الذي كان سائدا في العهد السوفيتي لم يكن يسمح او يتضمن مشاركة السلطات المحلية او حتى على مستوى الجمهوريات، في حل القضايا الحدودية. كل الامور وخلال كل المراحل كانت تحدد وتحسم من السلطة المركزية في موسكو. وكانت الكلمة الاخيرة دائما تعود الى القيادة الحزبية العليا. وفي هذا السياق يبدو اليوم ذا رؤية وبصيرة، أولا – الاقرار حينذاك بعدم جواز بعض المقترحات لمحاولة التوصل إلى اتفاق على بعض الاقسام الصعبة للحدود الموجودة في مختلف الجمهوريات السوفيتية، «في

ولفد اقرت الحكومة الصينية دائما بالثبات القانوني لهذه الوثيقة رسميا بغض النظر عن الصفات الأخلاقية والسياسية التي اطلقت عليها في الصين.

ولكن من ناحية اخرى جرت في الصين عادة التذكير بالأراضي الكثيرة «المفقودة» في القرن التاسع عشر، بما في ذلك تحت ضغط السياسة الخارجية لروسيا القيصرية التي مارست، كما غيرها من الدول الغربية لعبتها في الشرق الأقصى باستخدام «نقاط الضعف» لدى الصين في تلك الفترة وبسبب سلوك البلاط الملكي حينذاك. ويجري في كثير من الأحيان نشر وعرض خرائط مفترضة لممتلكات الإمبراطورية والحدود المقررة في ظل السلالات المختلفة. وهناك خرائط مخططات تعكس الاراضي الصينية «المفقودة» لصالح روسيا. وقد صممت هذه المواد لتعكس وتبين التصورات المترسخة منذ فترة طويلة في الصين حول ملامح تشكيله الإقليمي والتكامل بين القوميات المختلفة في بنية الدولة الصينية منذ العصور القديمة. وليس من الحكمة تجاهل أو رفض هذه الآراء، وإلا ستبقى ملفوفة بالضباب والغموض عملية التحقق من منطق بنية العقلية الصينية، سواء كان ذلك في المسار العلمي الأكاديمي أو العملي التطبيقي. ولكن ذلك لا يستبعد وجود مسالك نقدية تجاه بعض جوانبها المنفصلة.

وبعد قيام جمهورية الصين الشعبية لم تعد مثل هذه الخرائط بالنسبة للسلطة الرسمية تلعب دور الحجة لإعلان مطالب استرجاع هذه الاراضي، فبات من غير اللائق اعتبارها كتقديم المطالب الاقليمية وتسميتها «بالعدوان الجغرافي». خاصة بعد ان قام الطرفان في معاهدة عام 2001 وعلى شكل التزامات متبادلة، بتحديد غياب مطالبات في مجال الاراضي من طرف نحو الاخر.

ولكن لا يمكن بتاتا الانكار أن كل بلد يضع ويفسر التاريخ الوطني بطريقته الخاصة، وبالتالي يصدر خرائط تاريخية وفقا لذلك (يكفي مجرد إلقاء نظرة على غالبية دول الفضاء السوفييتي السابق). ويبدو ذلك في بعض الاحيان كمحاولة لتلبية أغراض ومطالب وقتية الطابع ولكن المهم عدم السماح بدخول مثل هذه

اليوم يمكننا القول بكل ثقة أن احدى الركائز الاساسية لعلاقات الشراكة الاستراتيجية هي تسوية القضايا الحدودية وترسيم الحدود (تحديدها على الأرض) وعلى امتداد طولها.

في بعض الاحيان يفلت من حقل النظر عامل مبدئي في غاية الاهمية، اي ان هندسة الحدود الروسية الصينية الحالية تحافظ بدون تغيير على تلك المعالم التي وضعت قبل 150 عاما وبالذات في اتفاقية بكين لعام 1860.

في الاتفاقات الجديدة تم الاتفاق منذ عام 1964 على اتخذ منتصف قناة الشحن كخط حدودي على الأنهار الصالحة للملاحة بدلا من المبدأ غير المريح المتلخص في عد الاراضي انطلاقا من الشواطئ الجذرية كما ورد في اتفاق بكين والذي ووفقا له بقيت غير محددة منبقل الجانبين ملكية الجزر في مثل هذه الانهار، بما في ذلك التي تقع في بالقرب من مدينة خاباروفسك. ومع ذلك بقيت كل المعالم الرئيسية والملازم الطبوغرافية المحددة في عام 1860، بقيت بدون تغيير. وهذا يعني أنه لم تجر خلال المباحثات الاخيرة أي أحاديث عن أية خلافات وتنازلات إقليمية. اتفقنا على المسائل التي ظهرت في خط الحدود القائم وليس المختلف عليه.

ويجب القول ان اتفاق بكين ومثل معاهدة نركينسك لعام 1689 التي تعد أول صك قانوني في تاريخ العلاقات الثنائية، المخصص بما في ذلك لترسيم الحدود، اعتمد على أساس أولوية تقسيم وتوزيع الأراضي التابعة، وعلى هذا الأساس تتم إقامة الحدود. وفي هذا المعنى، قام هذا الاتفاق وإلى حد كبير بإلغاء الأحكام ذات الصلة بمعاهدة نركينسك، على الرغم من أنه لم يقل ذلك صراحة.

وبالفعل ذهبت الى الإمبراطورية الروسية أكثر من 1 مليون كلم مربع من الاراضي في عام 1860 بما في ذلك الجزء الشمالي بأكمله من حوض نهر آمور واقليم بريموري، اي الأراضي العائدة وفقا لبنود معاهدة نركينسك الى الإمبراطورية الصينية. وقام الإمبراطور الصيني بالسماح والاعتراف بمعاهدة بكين بالكامل.

المفاوضات. حيث يجري تحديد دقة البحث عن الأسلوب الناجع لنقلها بشكل مقنع إلى الشريك مع التحلي بالصبر اللازم لتحقيق نتيجة مقبولة للجميع، مهما تطلب ذلك من جهد وقوى ونشاط لتحقيقه.

بعض الآراء المنفردة للمؤلف، بما في ذلك تلك المتعلقة بموضوع الحدود، تقترب وبشكل مثير إلى إعادة النظر بجدية في بعض المواقف المبتذلة.

عام الذكرى العشرين للشراكة الاستراتيجية بين روسيا والصين هو تاريخ يساعد ليس فقط على رؤية أفضل على أهمية ما تم القيام به، بل ويوفر السبب لمد خيوط ربط ليومنا هذا في العلاقات الروسية الصينية.

متانة هندسة الحدود

استغرقت 40 عاما (1964-2004) عملية حل قضايا الحدود في قسمها الروسي وهي المشكلة التي ظهرت بشكل حاد في العلاقات الثنائية في الستينيات من القرن الماضي. وهذه الفترة ليست بالكبيرة في المقاييس التاريخية وخاصة مع الاخذ بالاعتبار أن طول الحدود المشتركة بين الدولتين يصل الى 4300 كلم مع تضاريس صعبة وكذلك مع الاخذ بالاعتبار تذبذب اجواء وطابع العلاقات بين الدولتين في تلك الفترة. والحدود دائماالمقياس الدقيق لكل ذلك.

واتفاقات ترسيم الحدود الثلاث التي أبرمت في 1991 و 1994 و 2004، التي تتمتع بأعلى قوة قانونية بالنسبة للوثائق الاتفاقية، تغطي تماما كل المسائل التي كانت تثير الصراع المتبادل والاتهامات والمواجهات التي كانت وعلى مدى سنوات طويلة مادة للمفاوضات المضنية واللازجة في بعض الاحيان.

والحدود الروسية الصينية المخصصة من الناحية القانونية الرسمية للفصل الواضح بين أراضي الدولتين، باتت الآن بمثابة رمز لحسن الجوار، وأخذت تتحول بشكل واضح أكثر فأكثر إلى شريط يربط بين اثنين من القوى الكبرى في العالم وشعوبهما.

التسميات والألقاب التي : «نجح» الجانبان في إطلاقها في السنوات السابقة. ومع التراكم الكمي «للخطوات الصغيرة» التي حفزت نمو براعم الثقة المتبادلة، تحولت تدريجيا بشكل نوعي الى البدائل الإبداعية وحصلت على ملامح مراكز إقامة تعاون متبادل المنفعة ومعابر تعزيز العلاقات في مختلف المجالات. بما في ذلك السياسة الخارجية، حيث اصبحت دورية منذ عام 1984 اللقاءات المثمرة لوزراء الخارجية «على هامش» جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك.

وتجدر الإشارة إلى أنه من الممكن الحصول على الفهم المتعمق لكيفية التغلب على الاغتراب والتحامل والتشكيك وكيف إنشئ إطار للعلاقات الروسية الصينية من نوع جديد وكيف جرى تصميم وتعزيز نقاط مرجعية لها، كل ذلك يمكن الحصول عليه من كتاب الدبلوماسي المختص بالشؤون الصينية غ. كيرييف «روسيا – الصين: أوراق مجهولة عن محادثات الحدود». وظهر هذا الكتاب غير كبير الحجم والمحدود العدد (700 نسخة) في صيف 2006 وسرعان ما أصبح موضع اهتمام الباحثين ولا يزال الامر مستمرا حتى الان بهذا الشكل وهو ليس بالمستغرب.

فإن المؤلف انتقل إلى الدراسات الصينية في الخمسينيات من القرن الماضي وبقي وفيا لذلك كل بقية حياته. وكان المذكور ليس فقط شاهدا بل مرر عبر ذاته كل «مد» و «جذر» العلاقات الثنائية. ولعب هذا الباحث دوره النشيط والملحوظ في فترة تطبيع العلاقات وفي قضية وضع أحجار الاساس في الشراكة الاستراتيجية، مؤديا المهمات الحكومية المكلف بها في مجال الحل المشترك لعدد من القضايا الحساسة، سواء الموروثة من الماضي او الموجهة نحو المستقبل.

ويقدم المؤلف الاستعراض الواقائعي للأحداث من زاوية تحليل «المطبخ الداخلي» للأمور الجارية، وهو ما يجعل الكتاب يكتسب قيمة وجاذبية خاصتين. وقام المؤلف بتسليط الضوء على اللحظات المهمة في تشكيل المواقف التفاوضيةالرئيسية، وهذا يكون أحيانا ليس أسهل من اجراء حوار متكامل معقد خلف طاولة

المتفائل. وفي مايو 1989 عقد في بكين لقاء بين ميخائيل غورباتشوف ودنغ شياو بينغ حدد إنجاز مرحلة تطبيع العلاقات ونقلها إلى مسار الحركة المطردة الواثقة الى الامام، من الماضي إلى المستقبل. وعلى الرغم من اندثار الاتحاد السوفيتي وغيابه عن الساحة الدولية في ديسمبر 1991 لم تتجمد دينامية هذه العملية. ويمكن القول إن تشكيل الدولة الروسية المستقلة الجديدة أعطى للعملية زخما وألوانا جديدة.

وفي أبريل 1996 توجه الرئيس الروسي بوريس يلتسين في زيارة الى الصين واعتبر خلال الطياران ان الوقت قد حان لتوصيف مستوى ونوعية العلاقات الروسية الصينية بشكل خاص. وهكذا ولدت صيغة الشراكة الاستراتيجية المفعمة بالثقة المتجهة نحو القرن الحادي والعشرين. لقد تم إرسال العرض على عجل من على متن الطائرة الرئاسية عبر موسكو إلى بكين، وعلى الفور لاقى الدعم من القيادة الصينية. لأول مرة دخلت هذه الصيغة في القاموس السياسي للبلدين، وباتت على مدى السنوات العشرين التالية تحدد بدقة واتزان شكل العلاقات الثنائية الجدلي المتحرك وليس التحالفي. وتم في عهد الرئيس فلاديمير بوتين في عام 2001 التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون وحسن الجوار التي عززت وثبتت منطق التفاعل ووسعت آفاق التعاون وجعلتها شاملة ووضعت علامات الاسترشاد لتطويرها البناء على المدى الطويل جدا. ويمكن تلخيص موقف قادة بكين بالعبارة التالية: «دائما أصدقاء، ولن نكون اعداء قط».

إن العلاقات الحديثة بين روسيا والصين تمتلك حجما ضخما فعلا وهي غنية بتنوع الوسائل والأدوات وتجسيد رائع لسلسلة الجهود المنسقة الهادفة. والجس الحذر للنوايا وسبر الإمكانيات الكامنة لإحراز التقدم ولو غير الكبير في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، تلقى بشكل تدريجي طابع الاستجابة المدوي. وفي البداية كانت ردود الفعل المتبادلة تنكبح بسبب الشوائب السامة اذ أثرت فيها الحواجز المترسخة في العقول على شكل مخاوف وصور نمطية مفتعلة، وظهرت عواقب

الشراكة الاستراتيجية الروسية الصينية المفعمة بالثقة: صيغة القرن الحادي والعشرين

فيتالي فوروبيوف

كبير المختصين العلميين في مركز دراسة شرق آسيا ومنظمة شنغهاي للتعاون بجامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية التابعة لوزارة الخارجية الروسية، سفير مفوض فوق العادة

vorobev@mgimo.ru

تم اعتماد عام 1976 بمثابة نهاية عشر سنوات مضطربة من «الثورة الثقافية» في الصين. في أوائل سبتمبر من ذلك العام، توفي ماو تسي تونغ، المبادر والمخرج الاساسي لهذا العمل الجماهيري الذي اصاب بصدمة شديدة المجتمع الصيني كله. وبعد شهر، ألقي القبض على «عصابة الأربعة» المكونة من اكثر المروجين العقائديين المتحمسين لتطبيق الايديولوجية اليسارية المتطرفة. وأخذ الهدوء والسكينة ينتشران في البلاد بشكل تدريجي وبدأ التفكير هناك بالطريق الذي يجب السير عليه لاحقا وكيف يجب تقديم الذات على الساحة الدولية بشكل يجلب الفائدة والمنفعة.

لقد بدت العلاقات السوفيتية الصينية حينذاك في غاية الجمود وهو ما جعل الكثيرين يعتقدون أن عملية إعادة الدفء لها ستكون شبه مستحيلة. لكن وكما تقول الحكمة الصينية: «عندما يتشاجر اثنان، يصيب الضرر كلاهما وعندما يتعاون اثنان تعم الفائدة عليهما». كانت هناك حاجات حيوية فعلية لدى الدولتين تغذت طبعا بعامل جوارهما وهي دفعت سير الاحداث في الاتجاه

سيرغي ريابكوف: نحن بحاجة إلى إزالة الحواجز في التجارة وليس فقط في مجال الأسعار والجمارك. ويجب تنويع الصادرات والواردات، على الرغم من التقلبات في أسعار صرف العملات. وتعطي الاتصالات والعلاقات المباشرة بين ممثلي قطاع الأعمال والبزنس، النتائج الكثيرة. نعمل في الوقت الراهن حول سلسلة من الأفكار الجديدة، بما في ذلك التعاون في مجالات التكنولوجيا العالية، مثل الصناعات الدوائية والتكنولوجيا الحيوية. وبحلول نهاية العام، سيتم إطلاق هذه المشاريع. وسترون أن العلاقات مع أمريكا اللاتينية، ستظهر ليس فقط ألوان جديدة بل ونوعية جديدة.

كلمات البحث: العلاقات الروسية الأمريكية، الحملة الانتخابية الأمريكية، دونالد ترامب، هيلاري كلينتون، العولمة، بريكس، أمريكا اللاتينية.

Международная
ЖИЗНЬ

أرمين اوغانيسيان: أنت كنائب الوزير الذي يشرف على عمل الوزارة في منطقة أمريكا اللاتينية، بما في ذلك بلدان مجموعة بريكس، قل لقرائنا ما هي الخطوات الرئيسية التي ستتخذ لمواصلة تعزيز بريكس؟

سيرغي ريابكوف: هذا الشكل من التعاون يجب أن يتجسم في إجراءات ملموسة، في العمل. وفي اطار مشروعنا ا لرائد – بنك بريكس الجديد للتنمية – تمت مؤخرا الموافقة على تمويل تطوير الطاقة الكهرومائية الصغيرة في كاريليا. وهذا العمل مهم ويدل بواسطة أية أمور وأعمال سيتم دعم وترسيخ بريكس.
في المجال السياسي على جدول الأعمال توسيع موضوعات عملنا. ونحن نتعاون بشكل وثيق في هذا الصدد مع الهند التي ترأس المجموعة حاليا. وأعتقد أن قمة غوا في اكتوبر ستظهر أن بريكستتقوى وتتقدم الى الامام باستمرار.

أرمين اوغانيسيان: ما هو رأيك في مستقبل التعاون بين روسيا وكوبا؟

سرغي ريابكوف: مؤخرا احتفل فيدل كاسترو بعيد ميلاده التسعين، وهذا تذكير بالطريق المجيد الذي قطعته الدولتان في السنوات التي تلت الثورة في كوبا. وعلى الطريق حاليا مشاريع كبرى في قطاعي الصلب والطاقة. ولدينا اتصالات سياسية ذات كثافة وانتاجية عالية جدا. وتنفذ القيادة الكوبية، بزعامة راؤول كاسترو والقائد فيدل سياسة حكيمة، منحت روسيا في اطارها دورا خاصا وحصريا جدا. ونحن ممتنون لهم على ذلك، ونحاول الرد على ذلك بشكل بناء ايضا.

أرمين اوغانيسيان: ماذا يجب أن نفعل لكي لا نشعر بوجود تراجع وخمول في العلاقات الاقتصادية التجارية مع أمريكا اللاتينية كما يجري الآن، بل لكي يحدث ارتفاع وتقدم في هذا المجال؟

خلال اجتماع السفراء والممثلين الدائمين لروسيا الاتحادية مؤخرا، نحن لا نسمح بجرنا نحو مواجهة وسباق تسلح جديد.

أرمين اوغانيسيان: ولكن هل كل ذلك يعد من جانب الناتو بمثابة الاستعداد للحرب أو محاولة لتخويف روسيا، لكي تقدم تنازلات سياسية خارجية وربما حتى تنازلات سياسية داخلية؟

سيرغي ريابكوف: أنا مقتنع بأن الحرب لن تحدث. أما ما يجري فهو استعراض العضلات، اللعبة المعتادة من جانب الغربيين، ومحاولة أخرى « لكي تعرف روسيا مكانها». ومحاولة لإرضاء أولئك المتواجدين على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية للناتو، الذين يرغبون وفي هذه الفترة الصعبة في العلاقات بين روسيا والغرب أن يحققوا مآربه الضيقة، ويحصلوا لنفسهم على بعض المكافآت على شكل تواجد مادي أكبر لجيوش الدول الأخرى وتشييد مرافق محددة وغير ذلك. يحاول الساسة في الدول المذكورة التشبث بما يجري لضمان لأنفسهم ولناخبيهم رابط أقوى مع « الجذر الغربي»، مع «جذور المجتمع الغربي.»

وعلى الرغم من كل ذلك لا يوجد أي أسس لوقوع نزاع واسع النطاق، إلا أني لا بد أن أقول أنه يوجد خطر متزايد للحوادث غير المقصودة. ولم يكن محض صدفة رد فعلنا الايجابي على مبادرة من رئيس فنلندا ساولي نينيستو، واعلن الرئيس فلاديمير بوتين في حديث مع نظيره الفنلندي عن تأييده لهذا الاقتراح. من الضروري النظر في ما يمكن القيام به لتنظيم أكثر أمانا لتحليق الطائرات العسكرية فوق بحر البلطيق. لقد نقلنا أفكارنا إلى دول الناتو. ودار الحديث عن هذا الامر في اجتماع يوليو لمجلس روسيا-الناتو. نحن في انتظار الرد. نحن مهتمون ومعنيون لزيادة القدرة على التكهن.

هذا الخط، في الواقع، في نهج هذه الدول وخاصة فيما يتعلق بمسائل الأمن الصلب، والأمن العسكري. وهذا أمر مؤسف.

وفيما يتعلق بالالتزامات الواردة في الوثيقة التأسيسية، حول عدم نشر قوات قتالية كبيرة في أراضي دول الناتو الجديدة على أساس دائم، أود التذكير بأننا عرضنا مرات عديدة على الناتو التوصل إلى تفاهم متبادل حول ماذا يدخل بالذات في مفهوم ومصطلح «القوات المقاتلة الكبيرة». قلنا وقتها أن مستوى لواء ربما يتناسب مع هذا التعريف العام. ولكن أعضاء الناتو لم يقبلوا ذلك. الآن نرى مدى ومستوى هذه الاستعدادات التي يغلفها غلاف لفظي ماكر ومخادع. يزعمون، مثلا، أن هذا التمركز ليس على أساس دائم. ولكن مثل هذا التناوب، في رأينا، أسوأ من الوجود المستمر، لأن دوران يعني أن عددا أكبر بكثير من القوات والوحدات من مختلف البلدان يقوم «باستيعاب والاعتياد» على هذه المناطق و»يعتاد عليها من الاحية العملياتية» ويتعلم كيف يمكن العمل هناك. وفي المحصلة نرى أن دول الناتو تنتهك بشكل واضح لا لبس فيه، الالتزامات المنصوص عليها في الوثيقة الأساسية، وتحاول خلال ذلك إثبات العكس.

أرمين اوغانيسيان: وما هو رد فعلنا على ذلك؟

سيرغي ريابكوف: ردنا هادئ وعملي ونحن لا نحاول تهويل الخلفية السياسية العامة. وبالمعنى الدقيق للكلمة، لا يجوز توقع اي شيء اخر من جانب قيادة الناتو الحالية. ولكننا في التخطيط العسكري نأخذ في الاعتبار ما يحدث. للأسف، الوضع في الاتجاه الاستراتيجي الغربي وبعد فترة طويلة من الهدوء النسبي وعدم وجود سبب للقلق، بدأ من جديد يتحول نحو الأسوأ. ومن كل ذلك نخرج باستنتاجات معينة. في الوقت نفسه، وكما قال الرئيسي فلاديمر بوتين في كلمته

المناطق والأقاليم. ولذلك بالنسبة لنا يبقى واضحا ولا يمكن التشكيك به القول إن نحو روسيا بالذات تقترب قدراتهم العسكرية وحولنا بالذات يقومون بنصب القواعد ويطورون نظام الدفاع المضاد للصواريخ. وطرح الأمر بهذا الشكل ليس فقط محق، بل يعد الصياغة الوحيدة الممكنة للقضية، إذا كنت تهتم فعلا بأمنك الذاتي. هذا هو رأينا، ولا يجوز» تجاهله وإلغاؤه».

أرمين اوغانيسيان: أرغب بتذكر الوثيقة الموقعة من قبل روسيا والناتو في مايو 1997 – الوثيقة التأسيسية حول العلاقات المتبادلة والتعاون والأمن بين روسيا الاتحادية ومنظمة حلف شمال الأطلسي. كل لهجة هذه الوثيقة كانت تدفع نحو اقامة علاقات شراكة وثيقة. هل يمكن الحديث عن أن الناتو تراجع وابتعد عن البنود والأحكام المنصوص عليها في هذه الوثيقة؟

سيرغي ريابكوف: نعم. وعلاوة على ذلك، عشية انعقاد قمة الناتو في وارسو وكذلك خلال هذه الفعالية ظهرت دعوات من بعض جيراننا للتخلي رسميا عن الوثيقة التأسيسية. أي أنهم رغبوا في أن يعلن حلف شمال الأطلسي من جانب واحد أن الوثيقة لم تعد سارية المفعول. نريد القول لهم «شكرا على الصراحة والنزاهة». فنحن لا نشك في أن هدف حكومات هذه الدول هو الدفع المقصود والمتعمد والواعي لعلاقات الغرب والناتو مع روسيا نحو الأسوأ.

في احدى الفترات عندما كانت دول شرق ووسط أوروبا تمر عبر مرحلة التحضير للانضمام الى الناتو قال لنا الأعضاء القدماء في الناتو إنه يجب الانتظار، ستنضم هذه الدول الى الحلف وعند ذلك كل شيء سيكون على ما يرام، وستتغير مواقف هذه الدول تجاهنا وستصبح طبيعية وهادئة. ولكننا نرى العكس – حقن التوتر والرفض للسياسة الروسية ولروسيا نفسها كدولة مجاورة فما بالك كشريك. ويظهر

عاش الروس والناطقون بالروسية فيها منذ زمن سحيق وعلى مدى قرون ولا يزالون، وكذلك الناطقون باللغة الروسية. ويحدث هذا في عمق الفضاء الأوراسي، حيث على مدى قرون عديدة تشابكت العلاقات الأسرية إلى حد أنه لم يعد من الممكن معه أن نفهم أصول هذا وذاك ومن اية أقاليم قدموا ومن عقد زواجه على من وهلم جرا.

وفي الوقت نفسه، عندما نرى المدمرة من فئة «إيرلي بورك» المزودة بصواريخ اعتراضية مضادة للصواريخ وصواريخ كروز وصواريخ هجومية من نوع «توماهوك» متوسطة المدى، وهي على بعد 30 ميلا بحريا من كالينينغراد، أو عندما شاهدنا مؤخرا في إطار المناورات الدورية «سي بريز» مجموعة كاملة من سفن الناتو بقيادة سفن ضخمة تابعة للبحرية الأمريكية في ميناء أوديسا، وعندما نرى أنه على مسافة 10-7 دقائق من التحليق حتى بطرسبورغ، تتمركز أحدث المقاتلات التابعة لدول الناتو، يظهر السؤال: هل «روسيا العدوانية» هي التي دعتهم جميعا ليتمركزوا على هذه المسافات القريبة؟ أم نحن الذين قمنا بشيء ما مشابها على بعد 30 ميلا من القاعدة البحرية الأمريكية في نورفولك، أو قمنا بنشر طائراتنا الحربية على مسافة 5 دقائق تحليق حتى لونغ آيلاند في ولاية نيويورك؟

هنا الحديث ليس حتى عن ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين... عندما لا يمكن انتزاع التفكير بالمركزية والاستثنائية للناتو وللأمريكان من أذهان أولئك الذين على «الجانب الآخر»، وشعورهم الفطري على أن «مركز الدنيا» هو الحضارة الغربية لا غير، يبدأ المرء بالتفكير والإدراك كيف وصلت بهم الأمور إلى الزعم بأن روسيا هي «التي تقترب من حدود الناتو».

حينذاك تظهر الرغبة بسؤال الاستراتيجيين من الناتو المعتدين بأنفسهم: إذا كان هناك مركزية للناتو، لماذا تنكرون حقنا في «مركزية روسيا». هذا كالإسقاط على مجسم الكرة الارضية. من النظر عبر زوايا مختلفة من المركز، تشاهد مختلف

بوجود تهديد لأوروبا من جانب روسيا. نحن نلاحظ ونشهد الاقتراب المستمر لقوات حلف شمال الأطلسي نحو حدود روسيا، وخاصة في جمهوريات البلطيق. ونشعر بالضغط من اتجاه البحر الأسود. هل تعتقد أن هذا ليس سوى استعراض للقوة، أو هناك خطر اندلاع الحرب التي لن تكون مجرد «باردة»؟

سيرغي ريابكوف: نظرنا بقلق إلى القرارات المعروفة في مجال زيادة الوجود العسكري للناتو القابل للتدوير وهو في واقع الأمر يعتبر بمثابة النشر الدائم لقوات من بعض دول الناتو في المنطقة المجاورة مباشرة لحدودنا – في ليتوانيا ولاتفيا واستونيا وبولندا. وأود أن أقول أن الامر لا يقتصر على أربع كتائب متعددة الجنسيات. بل سيتم في أوروبا في السنوات القريبة المقبلة ضمان التخزين الامامي لاليات ومعدات عدة ألوية برية مؤللة من الجيش الأمريكي. وبالإضافة إلى ذلك، تجري إقامة بنى قيادية وتعزيز المجموعة الجوية التي ستقوم طائراتها بدوريات في المجال الجوي، بما في ذلك فوق دول البلطيق. وتتدرب القوات البحرية لدول الناتو، وفقا لملاحظاتنا، اكثر من اي وقت مضى عبر المناوبة والدوريات القتالية في الأحواض والمناطق التي تقع أقرب بكثير من الحدود الروسية من أي وقت مضى. وتزداد أيضا كثافة مناورات وتدريبات دول الناتو ويبدو حجمها كبيرا جدا.

انهم يحاولون الإيحاء لنا (قاموا بحشو البيان الختامي لقمة حلف شمال الأطلسي في وارسو «بالعبارات الرهيبة») بأن كل هذا يأتي كرد على «السلوك العدواني» من جانب روسيا وعلى وجه الخصوص «دعمها للانفصاليين» في الجنوب الشرقي من أوكرانيا وهلم جرا. وإننا وبصراحة في حيرة تامة من «عجائب الناتو» هذه. فأن تصرفات رجال المقاومة في دونباس (أما تعبير «الانفصاليين» فليقم أعضاء الناتو باستخدامه فيما بينهم) تجري في منطقة

تسير في طليعة الجهود الدولية للاعتراف بعدم شرعية المحاولات الانقلابية المناهضة للدستور. حول هذا الموضوع قدمنا ونقدم مقترحات ملموسة للأمم المتحدة. ونحن نعمل بشكل دؤوب لوضع مذهب لرفض الانقلابات كوسيلة لتغيير الحكومات والسلطات وذلك من وجهة النظر السياسية والقانونية. هذه مسألة في غاية التعقيد وتترافق بجدل قوي على الساحات الدولية. ومع ذلك، نحن نتمسك بهذا الخط، لأننا نرى مدى انتشار عدم الاستقرار الخطير في العالم. ومع الاسترشاد بهذا النهج والاعتماد عليه، قمنا ببناء الموقف تجاه تركيا في تلك اللحظة الصعبة التي وجدت نفسها فيها.

أرمين اوغانيسيان: لو لم يقم رجب طيب اردوغان بتقديم الاعتذار على إسقاط الطائرة الروسية، هل كنا على الرغم من ذلك سندعم السلطات الرسمية التركية؟

سيرغي ريابكوف: انا اقول لكم – نعم. وبالإضافة إلى ذلك، نحن نرحب بالخطوات التي اتخذها رجب طيب اردوغان وكل القيادة التركية في اتجاه تطبيع العلاقات الثنائية. بالمعنى الحقيقي والمباشر للكلام، قمنا بدون تضييع أي يوم بالسير على طريق استعادة العلاقات. لا شك في أن دول متجاورة مثل روسيا وتركيا، لها تأثير على العديد من العمليات لا يمكنها ببساطة أن تفوت الفرصة لبناء علاقة إيجابية. من الواضح أن أنقرة وبعد المأساة التي وقعت في العام الماضي، قامت ببعض الاستنتاجات. ونحن نرحب بذلك ونأمل أن تطوير العلاقات سيستمر في الفترة المقبلة.

أرمين اوغانيسيان: قام الناتو عبر مناورات «اناكوندا» باستعراض القدرة على تركيز قوة عسكرية كبيرة على حدود روسيا. ويبرر الناتو تصرفاته هذه

وبغض النظر عن البيئة الثقافية التي يعيش فيها الناس، سواء كان ذلك في مجتمع متعدد الثقافات، الذي تم أعلانه كهدف ويجري اكثر فأكثر فرضه بشكل قسري من قبل السياسيين في الغرب، أو في مجتمع أحادي تقليدي أكثر أو حتى في المجتمع القديم الذي عفا عنه الزمن، تجري عمليات التشوه على الرغم من ان الدين علم البشر وعلى مدى قرون رمز السلوك اليومي المفعم بالمسؤولية والأفكار الإنسانية، التي وكما بدا توغلت في مسام الحضارات. ومع ذلك، فإننا نرى تكرار مسلسل للأحداث المأساوية والمزعجة. وهنا يوجد سبب يدعو ليس فقط للنقاش والجدل. هذا عبارة عن تذكير قوي وكضربة في الناقوس تذكرنا أنه حان الأوان و أخير لا بد من توحيدا الجهود السياسية والموارد – الفكرية والمادية، وفي مجال القوة والامن – لكبح اندلاع وباء الكراهية والعنف.

أرمين اوغانيسيان: في الفترة الاخيرة نشهد برودا في العلاقات بين الولايات المتحدة وتركيا يتجلى في أشكال وجوانب مختلفة. على هذه الخلفية، يظهر سؤال: هل يمكن اعتبار محاولة انقلاب في تركيا كنوع من مكائد بعض القوى الخارجية أو إنها أوحت بها؟

سيرغي ريابكوف: من الصعب القول، ولا أرغب بالغوص في تكهنات ومزاودات لا اساس لها. أعتقد أن الضواغط الداخلية كانت في هذه المرة السبب الرئيسي والأساسي. ونحن نرى في نفس الوقت كم من المسائل الجدية ظهرت في فترة ما بعد فشل محاولة انقلاب.

لقد وقفت روسيا، كما تعلمون، من البداية بدون تردد، بشكل مطرد ولا تزال على منصة دعم السلطة الشرعية في البلاد. وقمنا مرارا وتكرارا بالإعلان عن ذلك. متوقا بعض التعليقات الساخرة، أشير إلى أن ذلك لم يكن موقفا آنيا من جانبنا، فروسيا

ليس من الضرورة ان يترافق ذلك بارتداء الجوارب. نحن نتحدث عن ذلك لأن «موضة العنف» اخذت تنتشر.

أعتقد أحيانا أن المجانين أو أنصاف المجانين الكثيرين العدد اليوم أعمتهم الافكار الفائقة ولذلك تراهم يرتدون « حزام الشهيد» او يجلسون خلف عجلة القيادة لسحق وقتل السائحين على الكورنيش ويركضون بالسكاكين في أماكن غير متوقعة، سواء كان ذلك مؤسسة لذوي الاحتياجات الخاصة في اليابان أو القطار بافاريا وهلم جرا وهكذا دواليك. والعدوى تنتقل من أحدهم الى الاخر بطريقة ما. وكلهم بوعي أو بغير وعي يتبعون العقيدة التي صاغها فيودور دوستويفسكي في رواية «الجريمة والعقاب» لبطله روديون راسكولينكوف: «هل أنا مخلوق يرتجف أو لدي الحق أليس كذلك؟» الحق في ماذا؟ في لو أني كنت أحمل بيدي «الراية الافتراضية» لأحد الديانات العالمية، فيجب ترسيخها بدون شك في كل مكان وحتى لو تطلب الأمر هدر دماء الاخرين؟ أو الحق في « تطهير» الأمة التي انتمي لها من كل من لا يتوافق مع بعض قوانين لشرائع تم زرعه، مثلا،ا في رأس بريفيك، ولا تزال حتى الان ترافقه في السجن.

ومن جانبي لا أؤكد على أن الرد على هذا السؤال يجب أن يكون حتما مطابقا لذلك الذي طرحه دوستويفسكي نفسه، والقائل: من دون الله في النفوس «كل شيء مباح» وروديا (روديون) سيقوم حتما بقتل العجوز المرابية بالفأس. لست متأكدا حقا في وجود هذا الارتباط المتبادل ولكني معجب جدا بالتقديم العبقري لهذه الفكرة الرئيسية في الرواية العظيمة. ومن الواضح أنه بالنسبة للكثيرين، حتمية الامر المطلق لدى كانط لم تعد حتمية جدا والغالبية العظمى من الذين يجلسون طوال اليوم في «الفيسبوك» و»واتس اب» لم يسمعوا قط بهذه الحتمية والامر المطلق. لقد امحت وانقطعت المعايير الأخلاقية، والقيود الأخلاقية إلى حد كبير وتمت ازالة الفرامل والكوابح الهامة وهو ما يثير القلق في الكثير من الاحيان. وأعتقد أن هذا هو احد الآثار السلبية للعولمة.

القيود الداخلية - وانا هنا أعطي تفسيراتي الخاصة لما يجري - القيود التي يدعون أنها تمنع من عرض المعارضة السورية علنا. هذه المعارضة، وفقا لهم، يجب أن تمثل قوة يمكنها عند الضرورة توجيه ضربة جديدة ضد الحكومة في دمشق. وهذا يعني أن الحديث من جانب الأميركيين حول «نحن جميعا نؤيد العملية السياسية»، وهو حديث يكررونه كثيرا، يثير الشك القوي لدي. على أرض الواقع ترى الأمر مغايرا تماما.

أرمين اوغانيسيان: تجري الكثير من الاحداث الدرامية المثيرة حولنا وهو ما يثير الشك ويخلق التفكير في أن غالبية الأزمات لها جذور سببية موحدة وعميقة. هل توافق معي على أن العالم وبسبب العولمة بات شديد الترابط بما يشبه كثيرا «تأثير الفراشة» في الواقع؟

سيرغي ريابكوف: العالم فعلا بات مترابطا جدا. ولا ارغب بتحوله إلى «أحادي اللون» وبان تعرض قنوات التلفيزين نفس شرائط الفيديو، لو كانت التعليقات الصادرة عن «سي ان ان» او «الجزيرة» او «روسيا اليوم» أو القناة الصينية «CCTV» مختلفة لنفس الحدث. ولا أود أن يشاهد الناس، من سبيتسبيرجين الى بونتا اريناس في أقصى جنوب تشيلي، نفس الأفلام، ياصطادوا نفس البوكيمون. ولكن نرى أن الأفكار المائعة وبعض الصور الغامضة التي تنتشر في الشبكات الاجتماعية، وبعض مظاهر الموضة، تنتشر مثل «الأنفلونزا الإسبانية»، في جميع أنحاء العالم بسرعة هائلة وعلى الفور. ولا توجد لدى الإنسانية، للأسف، أية أنواع من الترياق، والمضادات الحيوية، او حتى اقنعة بسيطة للوقاية من البدع المثيرة للشكوك والابتعاد عنها، إذا كان العقل لا يزال موجودا. وطبعا لم يكن من الضروري الحديث عن كل ذلك لو أن الأمر اقتصر على الحب العارم لوشم جميع انحاء الجسم أو المشي في حذاء يجب أن يكون حصرا بنعال بيضاء ولكن

بالاستمرارية والثبات). يعلنون الاسد بمثابة الدكتاتور ويغضون النظر عن رجب طيب اردوغان الذي وعلى الأغلب سيعيد حكم الاعدام الى تركيا. هل من الممكن إيجاد حل للمشكلة السورية مع بقاء الأسد في المجال السياسي؟

سيرغي ريابكوف: لسوء الحظ، لا بد لي أن أشير إلى أن فكرة «مستقبل سوريا مع بقاء الأسد لا يجوز تصوره»، لم تختف بعد. وهم يواصلون التأكيد أنه من الصعب جدا مع الأسد حتى حل قضية ما يسمى المرحلة الانتقالية. ولكن هنا نحن نختلف مع الأميركيين حتى بالمصطلحات، وليس في الموقف فقط. نحن نتحدث عن العملية السياسية، لأن «الفترة الانتقالية» أمر يلفه الغموض وهو يضيف عدم اليقين، و لا يشجع على ما ندعو له، أي إلى البحث عن حلول على اساس الاتفاقات الطوعية بين القوى الرئيسية في سوريا الحديثة.

يقولون لنا: «كلما طال امد الصراع، قل احتمال أن يتفق السوريون فيما بينهم». ونحن نقول : «أوكي، ولكن ما الذي قمتم به من جانبكم لكي ينتهي هذا الصراع في أقرب وقت ممكن؟». على سبيل المثال، في فبراير الماضي، تلقينا الوعد بأن يتم تنفيذ فعاليات حقيقية تسمح برؤية أين يتواجد الارهابيون من الجماعتين اللتين ورد ذكرهما أعلاه وأين تتواجد الفصائل المستعدة للانضمام إلى وقف الأعمال العدائية والمشاركة في استمرار العملية السياسية، اي مستعدة للتفاوض. لا نملك المعلومات عن خصوم الأسد بالقدر المتوفر لدى الولايات المتحدة وبريطانيا والعربية السعودية وقطر والدول الاخرى الداخلة في التحالف المعادي لداعش الذي تقوده الولايات المتحدة. بما في ذلك تركيا. إذن قدموا لنا المعطيات عن من تتعاملون وتتواصلون معهم وحينذاك سنتعاون نحن معكم بشكل أوثق بل وسننسق معكم تصرفاتنا. وستكون لديكم أسباب أقل يا زملائنا الأمريكيين، لاتهامنا بأننا نفعل شيئا ما ليس كما يجب. ولكن لا شيء يحدث من هذا القبيل. .لا يزودوننا بالمعلومات. ماذا يعني ذلك؟ يعني فقط أنه توجد في واشنطن بعض

ومقدمات إضافية لكي تتمكن المعارضة المعتدلة من البدء بالمفاوضات الحقيقية المباشرة ومواصلة المشاركة في تلك العملية التي يقوم دي ميستورا بتنسيقها.

ولكن للأسف، تتمسك الولايات المتحدة بنهج مختلف قليلا ولديها تسلسل مختلف للأولويات. المهم لواشنطن أن نمتنع نحن ودمشق عن فعل أي شيء يمكنه وفق الفهم الأمريكي أن يساعد في تعزيز موقف الحكومة الشرعية الحالية في سوريا، بما في ذلك في الصراع مع المعارضة. يصر الأميركيون، حسب رأيي، على تطبيق نظام وقف النار من جانب واحد وبشكل غير متوازن. فالعساكرة في واشنطن يرغبون في تقييد قوات الحكومة السورية إلى حد كبير ببنود الاتفاقات الروسية الأمريكية. هذا، بطبيعة الحال، غير مقبول بالنسبة لنا.

وطبعا لا يزال هناك اختلاف في الرأي بشأن الدور المستقبلي لبشار الأسد. ولذلك عندما كان جون كيري في موسكو، جرت «لعبة شد الحبل» بهذه القوة والمدة الطويلة – دعونا نسمي الأشياء بأسمائها. رغم ذلك تم الاتفاق على أمور ما وتحقق تقدم ولو ببطء. واللقاء التالي بين لافروف وكيري في فينتيان «على هامش» فعاليات آسيان يعد خطوة جديدة نحو تحقيق الاستقرار في سوريا. ويواصل العسكريون العمل المكثف وهم على اتصال مباشر.

ونلاحظ أنه من المهم جدا بالنسبة للإدارة الأمريكية، بغض النظر عن الفترة التي بقيت لها في السلطة، تحقيقالتقدم اللازم لها في سورية وفي أوكرانيا، ويمكن ان يشمل ذلك أيضا بعض القضايا الاخرى. وتعتقد واشنطن أن ذلك سيكون إرثا إيجابيا يتركه أوباما، ولاجل تحقيق ذلك يعمل بنشاط كبير وزير الخارجية الحالي. ونحن من جانبنا نروج لأولوياتنا ولحماية مصالحنا.

أرمين اوغانيسيان: لا يزال الغرب عند موقفه المتصلب بشأن مصير بشار الأسد. يطالب الغربيون بأن تتخلى روسيا عن دعمه (وبالمناسبة، لقد سمعت من بعض الصحفيين الأوروبيين أن الموقف الغربي لا يتسم

والخارجية الأميركية – لا ترد لسوء الحظ على عدد متزايد من القضايا والأسئلة المتعلقة وقبل كل شيء بوضع وآفاق تطور المجتمع الأمريكي نفسه غير المستقر في الوقت الحالي. وفي ذلك بالذات يكمن جذر نمو المزاج الاحتجاجي لدى الناخبين في الولايات المتحدة. وتبقى روسيا هنا أكثر «وراء الكواليس». ولكن دعونا نرى كيف سيبدو كل ذلك لاحقا.

أرمين اوغانيسيان: هناك رأي مفاده أنه لا داع لتوقع أية أخبار هامة في العلاقات الروسية الامريكية قبل انتخاب الرئيس الأمريكي الجديد. ولكن يصل فجأة الى موسكو وزير الخارجية جون كيري ويجري ساعات طويلة من المفاوضات، في البداية مع الرئيس فلاديمير بوتين وبعد ذلك مع وزير الخارجية سيرغي لافروف. هل يعني ذلك أن الأميركيين بحاجة لشيء ما الآن بالذات؟

سيرغي ريابكوف: تحدث وزير الخارجية الأمريكي عن ذلك علنا، لكنني لا أريد ن آخذ على عاتقي دور المفسر لنوايا ومهام الادارة الامريكية. فقط أذكركم أنه قبل زيارة يوليو إلى موسكو، وخلال مؤتمر صحفي مشترك مع لافروف في ليلة 16 يوليو، أكد أنه من الضروري جدا بالنسبة لواشنطن تحقيق التقدم في القضية السورية. أما صعوبة المحادثات في يوليو وسبب في استمرارها لمدة غير عادية – 14 ساعة – هي أننا والولايات المتحدة ننظر بشكل مختلف الى ما يجب القيام به من أجل خلق الشروط والمقدمات الأساسية لنشر الاستقرار في سوريا.

نعتقد أنه يجب في نهاية المطاف ضمان الفصل العملي الحقيقي وليس الشكلي بين داعش وجبهة النصرة من جهة وما يسمى بالمعارضة المعتدلة من جهة اخرى، وإعطاء الفرصة لتركيز الجهود بين التحالف بقيادة الولايات المتحدة وروسيا والقوات الحكومية السورية في القتال و مكافحة الإرهابيين، وبالتالي خلق شروط

أرمين اوغانيسيان: هل تعني التصريحات المعروفة لترامب ان الجمهور الأمريكي مل وتعب من اللهجة المعادية لروسيا ومن النهج الحاد المعادي لروسيا ولذلك يحاول بهذا الشكل اجتذاب عدد اكبر من الناخبين؟

سيرغي ريابكوف: اعتقد لا داعي للمبالغة في قيمة التصريحات التي تطلق في مراحل مختلفة من الحملة الانتخابية من قبل المرشحين أنفسهم، ومن قبل ممثلي مقراتهم الانتخابية، ليس لأنها لا تعكس هذه التصورات او تلك. ويجب القول إن الممارسة السوسيولوجية الأمريكية حققت تقدما كافيا، وأساليب قياسات الرأي العام تسمح باكتشاف القدر الأدنى «لهبوب الرياح». لا يجوز المبالغة في قيمة كل التصريحات التي تطلق خلال الحملة الانتخابية، لان المسافة عادة تبقى كبيرة بين الإعلان والتصريح وبين التنفيذ العملي. بالطبع، يعتبر أمرا جيدا أن هناك من يعمل على انعاش واحياء موضوع اقامة وتطوير علاقات بناءة مع روسيا الذي تم نسيانه تقريبا في الولايات المتحدة. وبالمناسبة، نحن لم نلق هذا الموضوع جانبا ونكرر أن هذا هو هدفنا، وفي نهاية المطاف يبقى الاختيار على الشركاء في واشنطن. ولكن يبقى السؤال – هل سيلعب شعار « مع روسيا ان يجب نكون اصدقاء» دورا إيجابيا في الانتخابات أم لا؟

هل هناك فعلا تعب حقيقي من الخطاب المعادي لروسيا بين الناخبين الأميركيين؟ على الاغلب يوجد في بعض أجزائه طلب لرؤية بديل إيجابي للعبث الحالي المتمثل في معاداة روسيا. ولكن تعب الناخبين الأمريكيين يرتبط اكثر بالمشاكل التي تنمو في المجتمع الأميركي. ويجب القول إن السياسيين الحاليين والنخبة في واشنطن وأعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس والزعماء الذين يجلسون في تل الكابيتول ويدافعون عن مصالح الشركات المتعددة الجنسيات وكذلك الحاشية التي تتناول طعام الغداء في مطاعم واشنطن الكثيرة وتعد هناك خلف موائد الطعام مختلف المسائل، كل هؤلاء الكتبة في الصحف - الفئة العليا التي تضع السياسة الداخلية

وفي ذات الوقت نلاحظ نفس الامر في حملة هيلاري كلينتون. وبرنامج الحزب الديمقراطي مشبع بالأفكار التي طرحها منذ البداية ب. ساندرس. هناك استيعاب لما يجب أن يكون نقطة جذب لأولئك الذين لا يرون في المرشح الرئيسي رجلا من معسكرهم ولذلك يفضلون المنافس الذي يحمل لمسة «خارج النظام» في المرحلة التمهيدية من الانتخابات.

ومن الممكن أن يكون المرشح الذي سيفوز في الانتخابات المقبلة، قادرا على تخطي الجمود السائد في الجهاز الامريكي. هذا الامر حصل مرات في التاريخ الامريكي في مختلف المراحل. هل سيحدث ذلك هذه المرة أيضا وبالذات في مقطع العلاقات الروسية الأمريكية؟ أنا والحق يقال، اتوخي الحذر من اعطاء الرد الايجابي لأن العلاقات الروسية الأمريكية لن تدخل على الأغلب ولن تندرج في فئة القضايا ذات الأولوية التي سيمارسها الرئيس القادم للولايات المتحدة. يجب ان تمر فترة ما قبل أن تفكر واشنطن بجدية بموضوع كيفية بناء العلاقات مع روسيا. وثانيا، من الواضح، أن الرئيس القادم للولايات المتحدة، وبغض النظر عن الانتماء الحزبي، سيقوم فيما يتعلق بالاتجاه الروسي، بالتشاور مع موظفي الجهاز المحيط به بشكل كثير و دقيق وسيتعرض سلوكهم في هذا المجال لرقابة صارمة من جانب النخبة العليا التي تعتقد أنه» لا يجوز تقديم التنازلات للروس» وأن الروس بالذات فعلوا في الفترة الاخيرة الكثير مما يقوض مصالح الولايات المتحدة. واني مضطر للحديث عن ذلك من جديد. ولا يجب ان يكون لنا امال وتوقعات وهمية غير مبررة.

هذا الواقع لا يمكن الغاءه او تغييره. وسيستمر تأثير جمود سياسة الولايات المتحدة. على الرغم من ان رئيس الولايات المتحدة يملك القدر الكافي من السلطة لكي يتجاوز هذا الجمود. والتاريخ يعلمنا، إنه سيحدث عاجلا أو آجلا، ومن جديد التغيير في خوارزمية علاقاتنا. وستصبح اكثر إيجابية. وسيتوجه بارومتر العلاقات حتما الى الاعلى. ولكن الرد على السؤال» متى؟» يتعلق وبشكل كامل بالجانب الأمريكي.

الرئيس المقبل. وأود الملاحظة أن شعبية ترامب تراجعت بشكل ملموس في الفترة الاخيرة. ولكن يبدو واضحا انه لا يوجد ما يمنع الرئيس المقبل سواء كان من الحزب الديمقراطي أو الجمهوري أن ينظر بعين جديدة الى «ارث» أوباما الذي لا يمكن وصفه إلا بالثقيل والصعب والمفعم بالمشاكل. ولكن لا شيء يمنع من تقييم بشكل جديد الامكانيات والفرص وإذا كان من الصعب البدء من صفحة جديدة (ولا توجد لدينا أوهام في هذا الشأن أيضا)، فعلى الاقل القيام بمحاولة العثور على نقطة انطلاق جديدة. من جانبنا، نحن على استعداد لبداية جديدة، وأعلن ذلك بكل مسؤولية.

هناك عبارة معهودة – « رقصة الناتغو تتطلب وجود اثنين». ويمكن القول أن الأول للتانغو موجود ممثلا بجانبنا، ولكن يجب على الشريكة الامريكية (او الشريك) الاختيار - على الاقل للبداية فهم هل توجد رغبة فعلا برقص الناتغو.

أرمين اوغانيسيان: كم سيكون دونالد ترامب حرا في اتخاذ القرارات حول اعادة النظر في العلاقات مع روسيا في حال اصبح الرئيس المقبل؟

سيرغي ريابكوف: تتطور الحملة الانتخابية في الولايات المتحدة كما في أي دولة اخرى، وفقا لقوانينها الخاصة. وحتى الانتخابات بقي هناك أقل من 3 أشهر ولكن الكثير يمكن ان يتغير خلال هذه الفترة. وعلى الأغلب تتطلب قوانين الحملة الانتخابية بعض التعديل للشكل الذي يشارك فيه المرشح من اجل إنعاش قبول الجمهور له. ولذلك، فإن الصورة التقليدية المترسخة حول المرشح « المستقل عن المنظومة» قد تتعرض للتعديل عمدا، على سبيل المثال، لاضافة بعض «التيار الرائج». ولذلك لا يمكن لأحد في الولايات المتحدة أن يتوقع الفوز بجدية بدون الاخذ بالاعتبار المزاج السائد في القطاعات المؤثرة في المجتمع.

هذا هو الواقع الذي علينا أن نتعامل معه للأسف الشديد. لكننا ننظر إلى ذلك بهدوء وكل التقييمات حول الموضوع قد صدرت، مثلا عن السكرتير الصحفي لرئيس الدولة وعن وزير الخارجية الروسي ولا يمكنني هنا إضافة أي جديد.

أرمين اوغانيسيان: قامت وسائل الإعلام في الفترة الأخيرة بتكرار تصريح دونالد ترامب حول ضرورة تحسين العلاقات مع روسيا. ما مدى جدية هذه التصريحات حسب اعتقادكم؟

سيرغي ريابكوف: لست معتادا على الثقة بالكلمات وخاصة كلمات الساسة الأمريكيين والدبلوماسيين الأمريكيين بغض النظر عن مستوهم ودرجة نفوذهم. يجب أن نحكم انطلاقا من الأعمال.

قرأنا برنامج الحزب الجمهوري، الذي أقره المؤتمر، ونتابع تصريحات دونالد ترامب، ودرسنا كلمته التي ألقاها في المؤتمر. في برنامج الحزب الجمهوري، الذي يستند إليه خلال الانتخابات مع مايكل بينس المترشح لنيل منصب نائب الرئيس، كتبت عبارات عن روسيا وفق أسوأ التقاليد في السنوات الماضية. انهم يتهموننا في إننا نزعزع الوضع وبأننا دولة عدوانية شرسة ونشكل تحديا خاصا للولايات المتحدة وهلم جرا. لا أرغب بتكرار هذه العبارات ولكن كما تعلمون، كل ذلك موجود في برنامج الحزب الجمهوري الذي اعتمد السيد ترامب مرشحا لتمثيله. ولذلك يجب النظر بشكل متكامل ورؤية الصورة بشكل مجسم.

طبعا من جانبه وردت إشارات تعطي اسبابا ما لتوقع التغيير. هل سيتم تطبيق هذه الوعود على ارض الواقع، هذا لا يتعلق بنا بتاتا بل فقط وحصرا بالجانب الامريكي ويرتبط بالاختيار الذي سيقوم به الناخبون وبالسياسة التي سينتهجها

فيما يتعلق بالولايات المتحدة، يمكن القول إنه تشكل هناك إجماع وتوافق بين الحزبين على الاساس المعادي لروسيا. نصطدم بوضع يتم خلاله عن عمد وسابق إصرار ووعي، شيطنة بلادنا واتهامها وتحميلها مسؤولية كافة الخطايا المميتة تقريبا. ويجب القول إنه تشكل لدى الأوساط الحاكمة الأمريكية ولدى من «يلتقطها» في الأسفل، نوع من العقدة بسبب روسيا. أنهم يرون فينا تقريبا الشر الخارق وهو ما يدل على وجود انحرافات جدية في تصورهم للعالم.

ووصلت الأمور حاليا إلى أنهم أخذوا يتهموننا بالتدخل في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة. على الرغم من أننا قمنا مرارا وتكرارا بالإعلان، ونؤكد مجددا أنه وبغض النظر عمن سيصبح الرئيس القادم للولايات المتحدة، سنحترم اختيار الشعب الأمريكي. طبعا فقط بعض العاملين في مجال التكنولوجيات السياسية يمكنهم تخيل أن روسيا وعن طريق كسر بعض خوادم الكمبيوترات تحاول إضافة النقاط قبل الانتخابات إلى هذا المرشح أو ذاك، وذلك لرغبتهم الترويج للذات بواسطة مختلف أنواع نظريات المؤامرة، ولكن في الواقع هذا الأمر مستحيل.

للأسف قصة اقتحام خوادم كمبيوترات الحزب الديمقراطي ولجنته القومية التي ظهرت في مايو الماضي ولم تنل حينذاك أي تطور، جرى من جديد سحبها من الرف وإخراجها للضوء في خضم المؤتمر الأخير للحزب الديمقراطي. يبدو واضحا تماما أن الولايات المتحدة تشهد مواجهة حادة في العلاقة بين الحزبين. وعلى الأغلب سنشاهد لاحقا المزيد من عمليات الترويج الإعلامي الأسود. وهذا بحد ذاته يعد دليلا على عدم وجود الكثير من الحجج الموضوعية القوية لدى المرشحين المتنافسين. للأسف نضطر للإشارة إلى أن الإدارة الأمريكية الحالية بدت متورطة في بعض هذه «الألعاب» وهذا لا يعطيها المزيد من الشرف والاحترام.

سيرغي ريابكوف
نائب وزير الخارجية الروسي
sryabkov@mid.ru

العلاقات الروسية الأمريكية بعد الانتخابات: «سنكون مستعدين للإنطلاقة الجديدة...»

أرمين اوغاينسيان، رئيس تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»: سيرجي اليكسييفتش، على الرغم من أشهر الصيف الحارة، لا نلاحظ وجود فترة إجازة سنوية بالساحة الدولية. البعض يدعي ويزعم أن روسيا تقع في عزلة إلا أننا نلاحظ أنها تتواجد عمليا في كافة المجريات السياسية العالمية الأساسية. ويتعلق ذلك ويصح حتى في الحملة الانتخابية الأمريكية. وأنا أقصد هنا طبعا، التصريح الذي صدر مؤخرا عن الرئيس الأمريكي حول أن هجوم القرصنة على الموارد الإلكترونية للحزب الديمقراطي الأمريكي، تم تنظيمه من قبل الأجهزة الأمنية الروسية...

سيرغي ريابكوف: الصيف بالفعل حار بالمعنى الحرفي والمجازي. ونحن نقع في دوامة الأحداث، وأعتقد أننا نقوم بتوليد بعض الموجات.

21. Resolution adopted by consensus by the 132nd IPURL: الرسمي لمجلس الاتحاد.
http://www.council.gov.ru/events/news/72223U Assembly (Hanoi, 1 April 2015).
http://www.ipu.org
22. *Cassese A.* International Law, Second Edition. Oxford University Press, 2005. P. 54.
23. بوتين ف. الديمقراطية ونوعية الدولة. صحيفة «كوميرسانت»، عدد 20 بتاريخ 6 مايو 2012.
24. «يقترح ي. اومخانوف اعداد واقرار وثيقة للديانات العالمية المضادة للارهاب». الموقع الرسمي لمجلس الاتحاد الروسي.
http:// HYPERLINK «http://www.council.gov.ru/events/news/72223/»www HYPERLINK.
«http://www.council.gov.ru/events/news/72223/».council.gov.ru/events/news/72223/

كلمات البحث: الاتحاد البرلماني الدولي، الأمم المتحدة، ميثاق الأمم المتحدة، الدبلوماسية البرلمانية، الجمعية البرلمانية لرابطة الدول المستقلة، مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

Международная
ЖИЗНЬ

القول إن جهوده المخلصة لتقريب البرلمانيين، واحترام التنوع وآراء الآخرين، تجعله يستحق دور المنارة التي تدل الأجيال الحالية والمستقبلية الى طريق السلام والأمن.

المراجع:

1. The Inter-Parliamentary Union from 1889 to 1939. Published by the Inter-Parliamentary Bureau (Payot, 1939).
2. شفيتسوف ف. الاتحاد البرلماني الدولي. اصدار «العلاقات الدولية»، موسكو، 1969، ص 8.
3. الاتحاد البرلماني الدولي. قرارات المؤتمرات ومجلس الاتحاد. بطرسبورغ، 1908، ص 15.
4. كوزمين ي. بين الماضي والحاضر. دار النشر « يوريست»، موسكو، 2014، ص 307-306.
5. نفس المصدر. ص 310.
6. ماتفيينكو ف. التعاون البرلماني الدولي يستمر. الصحيفة البرلمانية، 2014، 20 نوفمبر، http://www.pnp.ru/opinions/2014/11/20/valentina-matvienko-mezhparlamentskoe-sotrudnichestvo-prodolzhaetsya.html
7. تسجيل وقائع الجلسة 393 لمجلس الاتحاد. 19 مايو 2016. http://www.council.gov.ru/a ctivity/meetings/67767/transcript/ (дата обращения 11.10.2016)
8. النظام الداخلي للاتحاد البرلماني الدولي. اصدار مجلس الدوما الروسي، 2005، ص6.
9. لافروف س. جعل العالم أكثر امنا واستقرارا. «الاحداث السياسية الدولية»، 2015، عدد 10.
10. 198th Session of the IPU Governing Council (Lusaka, 20 March 2016). URL: http://www.ipu.org/cnl-e/198/summary.htm (дата обращения 11.10.2016).
11. لوكاشيك ك. بريكس: نتائج الرئاسة الروسية واتجاهات التطور. الحياة الدولية العدد 2 ص 5.
12. التعاون بين الامم المتحدة والبرلمانات الوطنية والاتحاد البرلماني الدولي. تقرير اصدار القرار A/68/272 للجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ 19 مايو 2014.
13. بالتفصيل عن مواقف المؤلفين في موضوع «القوة الناعمة» انظر: كوساتشوف ق. «القوة الناعمة» مع نتائج صلبة. مجلة الدراسات القانونية الروسية. 2016، عدد 1(6).
14. بوتين ف. روسيا والعالم المتغير. صحيفة «أنباء موسكو»، 27 فبراير، 2012. http://www.mn.ru/politics/78738.
15. بريماكوف ي. التفكير بصوت عال. صحيفة «روسيسكايا غازيتا». 2011، ص 154.
16. النظام الداخلي للأمم المتحدة (سان فرانسيسكو، 26 يونيو 1945). القانون الدولي الساري المفعول. المجلد 1. اصدار «العلاقات الدولية». 2007.
17. Resolution adopted without a vote by the 97th Inter-Parliamentary Conference (Seoul, 14 April 1997). http://www.ipu.org
18. Resolution adopted by consensus by the 104th Inter-Parliamentary Conference (Jakarta, 20 October 2000). URL: http://www.ipu.org
19. Resolution adopted by consensus by the 126th IPU Assembly (Kampala, 5 April 2012). http://www.ipu.org
20. Resolution adopted by consensus by the 104th IPU Assembly (Quito, 27 March 2013). http://www.ipu.org

وعشية الذكرى السنوية العشرين لصدور الإعلان العالمي حول الديمقراطية، الذي اعتمد في جمعية الاتحاد البرلماني الدولي في القاهرة في عام 1997، سيكون من المنطقي أن نلفت انتباه اعضاء الاتحاد البرلماني الدولي إلى ضرورة تحفيز وتشجيع تطور الديمقراطية في العالم، والإعلان عن زيف فرضية الديمقراطية «الصحيحة» الوحيدة ذات الاصول الغربية. ونرى انه من المهم جدا بالنسبة للاتحاد البرلماني الدولي، الإعلان أن الديمقراطية لا يمكن أن تقتصر فقط على «الذهاب الى صناديق الاقتراع»، بل هي حق أساسي من حقوق الجمهور في اختيار السلطة والقدرة على التأثير عليها اثناءعملية صنع القرار، وهو ما تحدث عنه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في أحدى مقالاته البرنامجية (23). وبهذا الشكل يمكن للاتحاد البرلماني الدولي تقديم مساهمة فريدة لتعزيز الديمقراطية على المستويين الوطني والدولي.

ويمكن للاتحاد البرلماني الدولي ان يطرح كذلك مبادرة للبدء بنضال برلماني عالمي ضد الإرهاب. على سبيل المثال، من خلال دراسة وتنفيذ الفكرة التي اقترحها نائب رئيس مجلس الاتحاد الروسي س. اومخانوف والتي تتلخص في صياغة كافة البرلمانات الاعضاء في الاتحاد لميثاق الأديان العالمية لمواجهة المتعصبين والإرهابيين (24).

وأما البرلمانيين فهم معنيين ايضا في الاستمرار في تشجيع الاهتمام المتزايد من المجتمع تجاه المشاركة في العملية البرلمانية بهدف تطوير التعاون البرلماني، على سبيل المثال، من خلال ترجمة مواد جمعيات الاتحاد وإعدادها للنشر، ونشر معلومات ملخصة عن جلسات هيئات الاتحاد البرلماني الدولي، وهو ما سيعطي فرصة التعرف عند الرغبة على نشاطات الوفد الروسي في كل جمعيات الاتحاد البرلماني الدولي.

يجب على الاتحاد البرلماني الدولي الحفاظ على الطابع الأساسي الفريد كمنتدى عالمي للبرلمانيين. وإذا لم يتمكن «الجبل» (الاتحاد البرلماني الدولي)، لأسباب موضوعية، ان «يلد فأرا» على شكل معاهدات أو اتفاقيات محددة، فيمكن

المسجلة في النظام الداخلي ويسترشد بالمبادئ والقواعد الأساسية المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة.

طبعا لا يمكن لسيادة الدول في عالمنا الحديث الشديد التكامل أن تعني الاستقلال الكامل للدول، أو العزلة عن العالم الخارجي. ولكن تزايد عدد القضايا التي تخضعها الدول طوعا للضبط القانوني الدولي لا يعني سحبها التلقائي من مجال الاختصاص الداخلي للدول. وعلى الرغم من المحاولات المتكررة لتبرير بعض الدول لضرورة «التخلي عن السيادة» لصالح الدول الاخرى، فان سيادة الدولة تبقى بمثابة شرط ضروري للغاية سواء لوجود الدول او للنظام العالمي ككل. لذلك، فإن مبدأ عدم التدخل يكتسب قيمة اساسية ويصبح «كجسر» ضروري ليربط بين بنية المجتمع الدولي التقليدية المسترشدة بالسيادة والمسالك الجديدة للدول القائمة على تفاعل وثيق اكثر بين الدول. هذا المبدأ يلعب اليوم دور الحماية التي لا غنى عنها والتي يمكن للدول استخدامها وهي تعرف حق المعرفة ان ذلك لن يؤثر على اهم مصالحها الداخلية الحيوية (22).

الاتحاد البرلماني الدولي: الغد يبدأ اليوم

تدل الأحداث السياسة الخارجية في الفترة الأخيرة بصراحة أن روسيا ليس فقط لا يمكن أن تكون معزولة ومستبعدة من عملية صنع القرارات العالمية، بل وهذه القرارات بحد ذاتها لا يمكن أن تطبق وتنفذ بدون الدور الروسي الهام جدا في هذا المجال. من الواضح ان مقاطعة روسيا فشلت. وروسيا استخدمت دائما وبالكامل ميزة انتهاج وممارسة سياسة خارجية مستقلة وذات سيادة. ومهمة البرلمانيين هي المساعدة في إقامة اتصالات عمل في مختلف الساحات حتى عندما يفرض التشكيك في «الحق في الحوار».

1997) اتخذ قرار بشأن «التعاون من أجل الأمن والاستقرار العالمي والإقليمي، وكذلك احترام سيادة واستقلال الدول» (17). وفي إطار الجمعية 104 للاتحاد البرلماني الدولي (جاكرتا، عام 2000)اعتمد بالتوافق قرار حول «منع الانقلابات العسكرية وغيرها ضد الحكومات المنتخبة ديمقراطيا وضد الإرادة الحرة للشعوب المعرب عنها من خلال الاقتراع العام المباشر وكذلك التصرفات الموجهة لتنفيذ الانتهاكات الجسيمة ضد حقوق البرلمانيين» (18). وخلال عمل الجمعية 126 للاتحاد البرلماني الدولي (كمبالا، عام 2012) اتخذ بالتوافق قرار حول «ضمان الادارة الحكومية السليمة كوسيلة للحفاظ على السلام والأمن: الدروس المستفادة من الأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» (19). وخلال الجمعية 128 للاتحاد البرلماني الدولي (كيتو، عام 2013) صدر قرار حول «ضمان « المسؤولية بالحماية»: دور البرلمان في الحفاظ على الأرواح البشرية» (20). وصدر عن الجمعية 132 للاتحاد البرلماني الدولي (هانوي،عام 2015) القرار حول «القانون الدولي» وعلاقته بالسيادة الوطنية، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وحقوق الإنسان» (21).

وقرار «دور البرلمان في منع التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة» الذي اقترحه الوفد الروسي وقدمه إلى الجمعية 137 للاتحاد البرلماني الدولي يستند بصلابة على سيادة القانون الدولي والامتثال الدقيق لجميع أحكام ميثاق الأمم المتحدة. وهناك قيمة مبدئية خلال ذلك تكمن في أن الدولة تتحمل المسؤولية الأساسية في موضوع حماية سكانها. ويجب أن تتسم المساعدة الدولية قبل كل شيء بالطابع السلمي مع استخدام الامكانيات المنصوص عليها في الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة عندما يكون ذلك قانونيا ومبررا سياسيا. واللجوء الى القوة العسكرية يمكن أن يكون مشروعا فقط في الحالات القصوى وفقط مع السماح من جانب مجلس الامن الدولي. ويجب على المجلس عند استخدام الفصل السابع من الميثاق، أن ينفذ وظيفته

الثنائية التي تظهر خلالها امكانية مناقشة الاختلافات القائمة في المسالك الوطنية تجاه القضايا الدولية «وجها لوجه»، والتي قد تكون في الواقع ليست بذلك القدر من الراديكالية وبالتالي لا تحتاج لمواقف صارمة مضادة.

التدخل في عدم التدخل؟

كتب يفغيني بريماكوف وقال إن انهيار نموذج العالم الاحادي القطب يرتبط بشكل وثيق مع الفشل الذريع لسياسة تصدير الديمقراطية (15). وقد أدت الرغبة في فرض «النموذج الغربي» للديمقراطية على الدول الأخرى دون الأخذ بعين الاعتبار الخصائص التاريخية والتقليدية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في البلدان المستهدفة من قبل هذه السياسة، إلى النتائج المريعة المعروفة التي يمكننا أن نراها في أفغانستان والعراق وليبيا وغيرها من البلدان.

وكما هو معروف جيدا من التاريخ الحديث، يمكن وبهدف التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة، استخدام دوافع إنسانية وديمقراطية وهمية كأساس وذريعة لهذا لتدخل. في الوقت الحاضر، يجب على المجتمع الدولي وعند العمل من خلال الأمم المتحدة، ان يستخدم الوسائل الدبلوماسية والإنسانية وغيرها من الوسائل السلمية، وفقا لأحكام الفصلين السادس والسابع لميثاق الأمم المتحدة، فقط من أجل المساعدة في حماية السكان من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي وجرائم ضد الإنسانية. وميثاق الأمم المتحدة في الفقرة 7 من المادة 2 يقر مبدأ عدم التدخل في الشؤون التي تكون من صميم اختصاص وصلاحيات أية دولة (16).

و تستحق الاهتمام الخاص أنشطة الاتحاد البرلماني الدولي في مجال العمل البرلماني لمنع التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة خلال السنوات العشرين الماضية. خلال جلسة الجمعية 97 للاتحاد البرلماني الدولي (سيئول، عام

الحكومات والسكان الذين انتخبت من اجل تمثيل مصالحهم يوميا، في كل القضايا بمجال السلام والأمن والتنمية المستدامة والديمقراطية والمساواة بين الجنسين وحقوق الإنسان. ويجب على البرلمانات بالذات أن تسن القوانين التي تضمن الوفاء بالالتزامات الدولية لكل بلد».

والاتحاد البرلماني الدولي وعلى اعتباره الساحة البرلمانية الدولية الوحيدة من نوعها، يملك امكانية كبيرة لاستخدام «القوة الناعمة» (13)، أي»مجمل الأدوات والطرق لتحقيق الاهداف السياسية الخارجية بدون استخدام السلاح بل بفضل وسائل التأثير الإعلامية وغيرها» (14). وإذا كانت «القوة الناعمة» لبعض الدول تقمع تقليديا أي بديل في العالم وتجبر المنافسين المحتملين على أن يشعروا بأنفسهم وبشكل مسبق أضعف وأحقر بالمقارنة مع القسم الاكثر تطورا من الحضارة، ففي الاتحاد البرلماني الدولي تبقى مجموعة الدول الغربية كأقلية بالمقارنة مع ممثلي مختلف الدول والشعوب والحضارات ولم يعد بوسعها بسهولة فرض رأيها ومسالكها على الاخرين في مختلف القضايا.

وفي الوقت نفسه، لا يجوز أن نفكر أن الاتحاد البرلماني الدولي يقف دائما «على أهبة الاستعداد للدفاع» عن المصالح الروسية، وهو أمر يستبعد احتماله في ضوء هذا التمثيل الوطني الواسع لمختلف الآراء التي تكون في الكثير من الاحيان متضاربة تماما. لقد اصطدم وفد الجمعية الاتحادية الروسية الى الاتحاد البرلماني الدولي بالفعل بمثل هذه الظواهر عندما قامت الوفود الغربية في عام 2015 بتطويق مشروع القرار الروسي الذي يدين التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة بكل قواها. ومع ذلك، ساد النهج السليم وفي أبريل 2017 خلال الجمعية 136للاتحاد البرلماني الدولي حصلت البرلمانات الوطنية من 170 دولة على امكانية التأكيد بشكل حر وعلاني عن التزامها بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة. لذلك بالذات يجب أن يتم بشكل فعال اكثر استخدام للموارد الحالية للاتحاد البرلماني الدولي كمنصة للاتصالات البرلمانية

البعد البرلماني لمجموعة بريكس والاتحاد البرلماني الدولي

تتوفر لدى الاتحاد البرلماني الدولي كل الفرص لكي يصبح اداة مؤسساتية لتقريب مواقف البرلمانيين من دول بريكس. وتوافق روسيا على الرأي القائل إن بريكس تمثل اليوم تجمعا لدول مستقلة متساوية الحقوق وذات السيادة، تعتبرمولدات نشيطة لعمليت التكامل ومشاركات نشيطة فيها، وقادرة على تحمل المسؤولية عن وضع الامور في العالم (11). وتعتقد روسيا أنه من المهم مواصلة العمل المشترك مع الزملاء من برلمانات دول بريكس على الاتجاه البرلماني مع الاستخدام الكامل لآلية المنتدى البرلماني لهذه المجموعة الذي عقد اول لقاء له في موسكو في عام 2015.

هكذا،عقد في 21-20 أغسطس عام 2016 في الهند منتدى للنساء البرلمانيات من دول بريكس، وتميز اللقاء باعتماد إعلان جايبور. هذه الوثيقة ثبتت التزامات لتعزيز التعاون المشترك على أساس خطة العمل المتفق عليها والمتخذة في المنتدى الأول لبرلمانيين دول بريكس في موسكو في عام 2015، ولتعزيز الشراكة الاستراتيجية في جميع مجالات التنمية المستدامة، وبالذات في مجال النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية وحماية البيئة.

وتبدو واضحة بالفعل النتائج الأولى لهذا التعاون: خلال عمل الجمعية 135 للاتحاد البرلماني الدولي في جنيف في أكتوبر 2016 عقد اجتماع لرؤساء ونواب رؤساء برلمانات دول بريكس، تم تنظيمه بمبادرة من الهند (التي كانت تترأس بريكس في عام 2016) تحت عنوان «التعاون البرلماني لدول بريكس من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة».

«القوة الناعمة» للبرلمانيين في الاتحاد البرلماني الدولي

ورد في تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة «التعاون بين الأمم المتحدة والبرلمانات الوطنية والاتحاد البرلماني الدولي» (12): «ان البرلمانات الوطنية أهم حلقة ربط بين

بتقديم اقتراح بخصوص رفع مكنة الجمعية البرلمانية للدول الاعضاء في رابطة الدول المستقلة حتى العضو المنتسب في الاتحاد البرلماني الدولي. وحينذاك تم تسليم سكرتارية الاتحاد الدولي رسميا الدعوة لعقد الجمعية 137 للاتحاد البرلماني الدولي في أكتوبر 2017 فيسانكت بطرسبورج.

وبالنتيجة قررت الجلسة رقم 198 للمجلس القيادي في الاتحاد البرلماني الدولي، منح الجمعية البرلمانية للدول الاعضاء في رابطة الدول المستقلة صفة العضو المنتسب (10). والجدير بالذكر أن الحصول على مثل هذه الصفة في الاتحاد البرلماني الدولي، ممكن فقط للبنى البرلمانية الدولية الضخمة. فبلغ عدد الهياكل التي حصلت عليها 11 هيئة. ومنذ تلك اللحظة باتت الجمعية البرلمانية للدول الاعضاء في رابطة الدول المستقلة تملك نفس الحقوق والواجبات التي تتمتع بها الوفود الوطنية باستثناء حق التصويت وتقديم المرشحين لشغل المناصب في هيئات الاتحاد البرلماني الدولي.

من جانبها تعتزم روسيا مواصلة العمل بنشاط على ساحة الجمعية البرلمانية لبلدان رابطة الدول المستقلة في الاتحاد البرلماني الدولي حول المسائل المتعلقة بمشاركة أعضاء هذه الجمعية في عمل هيئات الاتحاد البرلماني الدولي وطرح المواضيع الهامة دوليا للمناقشة ولاتخاذ القرارات لاحقا حولها في الاتحاد البرلماني الدولي ومناقشة إمكانية انضمام الدول الواقعة في فضاء رابطة الدول المستقلة ، والتي حاليا لا تشارك في أعمال الاتحاد البرلماني الدولي، إلى هذه المنظمة.

ودور الجمعية البرلمانية لبلدان رابطة الدول المستقلة يبدو هاما أيضا في مجال اخر. فبعد حصولها على صفة العضو المنتسب في الاتحاد البرلماني الدولي ظهرت فرصة حقيقية لمنح اللغة الروسية وضع لغة عمل في الاتحاد البرلماني الدولي. وعثرت هذه الفكرة على انعكاس لها في لقاء فالنتينا ماتفيينكو مع قيادة الاتحاد البرلماني الدولي خلال الجمعية 133 في جنيف في عام 2015، مما سيسمح بدون شك بالترويج لهذه المبادرة في المستقبل القريب وتعزيزها.

الجمعية 132 (هانوي، عام 2015) اتخاذ قرار» «حرب الانترنت: تهديد جدي للسلام والأمن الدولي» وقرار «القانون الدولي وتناسبه مع السيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وحقوق الانسان» وقرار «تشييد منظومة جديدة لإدارة الموارد المائية: الإجراءات البرلمانية». وخلال الجمعية 134 (لوساكا عام 2015) اتخذ القرار «الإرهاب: ضرورة التعاون العالمي بهدف منع حدوث أي تهديد للديمقراطية وحقوق الانسان» وقرار «ضمان الحماية المستمرة لمواقع التراث المادي وغير المادي من التدمير وغيره». وعلى الرغم من أن قرارات الاتحاد البرلماني الدولي لا تحمل الطابع القانوني الملزم للبرلمانات الاعضاء فيه إلا أنها تعتبر بمثابة الإعراب المركز لإرادات ممثلي الهيئات التشريعية للدول الاعضاء وتؤثر بشكل جدي على مناخ السياسة العالمية والرأي العام.

وبشكل عام يمكن القول: خلال 127 عاما من عمل الاتحاد البرلماني الدولي تسعى هذه المنظمة الدولية الى الحفاظ على هيبتها التي تقوم على مبادئ ديمقراطية حقيقية لعملها – المساواة السيادية بين جميع برلمانات الدول الأعضاء دون تقسيم إلى رئيسية وثانوية. هل سيكون من الممكن الحفاظ على هذا الاتجاه في المستقبل، سيعتمد ذلك حصرا على نهج الاتحاد البرلماني الدولي في حل القضايا المطروحة على جدول الأعمال الدولي.

الجمعية البرلمانية لرابطة الدول المستقلة في الاتحاد البرلماني الدولي: «نقاط النمو»

في أكتوبر 2015 قامت رئيسة مجلس الجمعية البرلمانية للدول الاعضاء في رابطة الدول المستقلة، رئيسة مجلس الاتحاد الروسي فالنتينا ماتفيينكو اثناء اللقاء مع رئيس الاتحاد البرلماني الدولي ص. تشودري والأمين العام للاتحاد السيد شنغونغ،

ووفقا للمادة 8 من الميثاق الداخلي، يضم الاتحاد البرلماني الدولي الهيئات التالية: جمعية الاتحاد والمجلس القيادي واللجنة التنفيذية والأمانة العامة. وتتكون المجموعات الوطنية من مندوبين من اعضاء البرلمانات. في المقابل، يشمل قوام وفود المجموعات الوطنية البرلمانيين من الذكور والإناث، مع الحرص على ضمان تمثيل متساو من الرجال والنساء. وتعمل في إطار الاتحاد البرلماني الدولي ست مجموعات جيوسياسية يحق لها ترشيح أحد أعضائها لشغل المناصب المختلفة في الاتحاد عن طريق الانتخاب. ويتم معظم العمل خلال تحديد مواضيع القرارات المستقبلية للاتحاد البرلماني الدولي وصياغة النص النهائي، ضمن أربع لجان دائمة (لشؤون السلام والأمن الدولي، وشؤون التنمية المستدامة والمالية والتجارة، وشؤون الديمقراطية وحقوق الإنسان، وشؤون الأمم المتحدة)، وهذه اللجان تقدم تقاريرها خلال كل دورة للجمعية.

ولم يعد سرا أن تشكيل النظام الجديد للعلاقات الدولية، الذي نعتبر نحن من الشهود على مجراه يقوم في الوقت الراهن على مبدأ إعادة توزيع مجالات التوازن العالمي للقوى والنفوذ خارج المنطقة الغربية التي، كما أشار بحق وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، كان تقليديا ينظر إليه وعلى مدى فترة طويلة «كالمشرع المعتمد في السياسة والاقتصاد» (9). وهذا الاتجاه يبدو واضحا كذلك في الاتحاد البرلماني الدولي: تحصل الدول الراغبة في اختيار طريقها المستقل والتطور بدون النظر إلى بعض الدول الاخرى، تحصل على امكانية استخدام الجمعية البرلمانية الدولية كوسيلة تعرض الدور الذي ترغب هذه الدول بلعبه. ويتجلى هذا، على وجه الخصوص، في اتساع نطاق الموضوعات التي يتخذ الاتحاد البرلماني الدولي القرارات بخصوصها بطلب من الوفود الوطنية، وكذلك في جغرافية الجمعيات. ويتضمن جدول اعمال جمعيات اللاتحاد البرلماني الدولي قضايا متنوعة جدا – من المشاكل ذات النطاق المحلي حتى التهديدات العالمية للبشرية. على سبيل المثال، تم خلال

الاتحاد البرلماني الدولي اليوم

في ماذا يكمن سر طول عمر الاتحاد البرلماني الدولي وجاذبيته؟ يجب القول إن ستالين كسياسي براغماتي كان على حق: على مدى عقود كثيرة من تاريخ الاتحاد البرلماني الدولي لم تتخذ أية قرارات مصيرية هناك. ولكن قوة الاتحاد البرلماني الدولي تكمن في أمر آخر. لا شك في أن الدبلوماسية البرلمانية يجب ان تلعب دورا هاما للغاية إن لم يكن حاسما، في بناء جسور الصداقة بين الدول على الصعيدين الثنائي والمتعدد الأطراف. لقد لفتت رئيسة مجلس الاتحاد الروسي فالنتينا ماتفيينكو وبشكل محق، الانتباه إلى أن تبادل الآراء في نطاق العلاقات البرلمانية المشتركة يشمل، وبسبب طبيعة السلطة التمثيلية، جميع قضايا العلاقات الثنائية والمتعددة الأطراف ، ويجري هذا التبادل بسهولة وصراحة اكثر (6). وبعد خطاب رئيس الاتحاد البرلماني الدولي صابر تشودري في الجلسة رقم 393 لمجلس الاتحاد يوم 18 مايو 2016، أشارت السيدة ماتفيينكو الى أننا «ننظر الى الاتحاد البرلماني الدولي كأحد الساحات البرلمانية الأكثر تأثيرا، التي ليس بالأقوال بل بالأفعال تتمسك بالقيم البرلمانية وبالدبلوماسية البرلمانية، المعترف بها في العالم، وتقدم مساهمة كبيرة لكي يصبح عالمنا اكثر عدالة واستقرارا» (7). ويؤكد الاتحاد البرلماني الدولي هذه المقولة بممارساته.

والاتحاد البرلماني الدولي وفقا لميثاقه الداخلي (8) منظمة دولية غير حكومية، بمعنى أنه يجمع ممثلي برلمانات الدول ذات السيادة وهو يضم في عضويته حاليا برلمانيين من 170 دولة. والصفة المميزة الرئيسية للاتحاد البر لماني الدولي هي أنه يتكون من منظمات يملك أعضاؤها الصفة التمثيلية وهم مخولين من شعوب دولهم بحل قضايا دولهم الهامة جدا ويمثلون مصالح هذه الشعوب في الهيئات التشريعية العليا في بلادهم. وكل سنة تعقد دورتان جمعيتان للاتحاد وكذلك اللقاءات المرتبطة بها وخلالها يلتقي البرلمانيون من مختلف الاحزاب السياسية الممثلة في البرلمانات الوطنية.

فيها مثلا: «سيعقد اللقاء التالي في العام المقبل لاستكمال العمل الذي بدأ في هذا المؤتمر وسيسمح بالمشاركة فيه ليس فقط لأعضاء البرلمانات الثلاثة المذكورة أعلاه، بل وكذلك لأعضاء البرلمانات الأخرى المعروفة بالتزامها بنفس الأفكار» (3). وكان هذا القرار بالذات بداية إنشاء وتأسيس منظمة برلمانية دولية فريدة – الاتحاد البرلماني الدولي- الذي لا يزال يعيش ومر عبر حربين عالميتين.

يقال أنه فور تأسيس الأمم المتحدة جاء وزير الخارجية السوفياتي مولوتوف إلى ستالين وأخذ يصف له محاسن الاتحاد البرلماني الدولي وقال إنه قديم وتشكل قبل فترة طويلة من تأسيس عصبة الأمم، كمنظمة دولية تقف كالجبل فوق المنظمات الاخرى. وأشعل ستالين غليونه وبدأ يسأل الوزير، ما الفائدة التي يمكن ان يقدمها الاتحاد البرلماني الدولي لقضية البروليتاريا العالمية. ثم وقف ستالين مقابل الوزير وقال ما يلي: «أعتقد أن اتحادك البرلماني الدولي فعلا كالجبل ولكنه الجبل الذي لم يتمخض حتى عن فأر» (4). ووليس غريبا ان البرلمانيين السوفيت لم يشتركوا في أعمال الاتحاد البرلماني الدولي خلال فترة حكم ستالين.

وشارك الاتحاد السوفيتي لأول مرة في المؤتمر الـ 44 للاتحاد البرلماني الدولي في عام 1955، بعد تشكيل المجموعة البرلمانية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية 29 يونيو 1955. ومن الجدير بالذكر أن المجموعة السوفيتية كانت الأكثر عددا، لأنها ضمت في قوامها كل أعضاء مجلس السوفيت الأعلى البالغ عددهم 1500 نائب، أي 750 نائبا من كلا المجلسين. وجرى العمل في ثلاثة مجالات رئيسية وهي: المشاركة في أنشطة الاتحاد البرلماني الدولي، إلقاء الكلمات وإصدار البيانات عن مختلف جوانب الوضع الدولي، تطوير الاتصالات مع المجموعات البرلمانية وأعضاء البرلمانات في بلدان أخرى على أساس فردي (5). ومنذ ذلك الحين، أصبحت المشاركة في الاتحاد البرلماني الدولي وأجهزته من التقاليد البرلمانية القوية في بلادنا.

الاتحاد البرلماني الدولي: هل يتمخض الجبل فيولد فأرا أو التدخل في عدم التدخل؟

قسطنطين كوساتشوف
رئيس لجنة الشؤون الدولية
في مجلس الاتحاد،
دكتوراه في العلوم القانونية
KIKosachev@senat.gov.ru

يتكون العالم من طوباويات تحققت. و«الطوباوية اليوم هي الواقع في الغد» (1). كتب ذلك ف. باسي أول حائز على جائزة نوبل للسلام وأحد مؤسسي (مع ف. كريمير) أقدم منظمة برلمانية دولية.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة توحيد البرلمانيين من مختلف دول العالم من أجل تعاضد الجهود في سبيل السلام والتعاون الدولي، ولدت في نهاية القرن التاسع عشر. لقد ناقش البرلمانيون من النمسا واسبانيا وفرنسا وانكلترا فكرة تشكيل جمعية دولية التي، أولا وقبل كل شيء، يمكن أن تكون بمثابة المحكم في تسوية النزاعات الدولية (2).

وكانت الفكرة ملحة في تلك الفترة ولذلك تجسدت على الفور: عقد أول لقاء دولي للبرلمانيين من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، في 31 أكتوبر 1888 في باريس بفندق جراند اوتيل. وكانت نتيجة العمل اعتماد خمسة قرارات وإعلان جاء

2015 دول آسيان. وهذا ليس الحد الاقصى، اذ توصلنا الى اتفاقات مع الدول العشر حول استمرار الجهود الرامية إلى رفع جودة الخدمات السياحية، وضمان المستوى اللازم من الأمن للسائحين.

أن التعاون بين آسيان وروسيا غني ومتعدد الأوجه وهو موجه نحو المستقبل. ويركز المشاركون فيه على التنفيذ المطرد للمهمات الضخمة والأهداف الطموحة لصالح شعوبهم ومن اجل تعزيز الاستقرار العالمي والإقليمي، وبناء نظام أكثر عدلا وإنصافا للعلاقات الدولية.

وأنا واثق من أن قمة سوتشي ستصبح علامة فارقة على هذا الطريق، وسوف تفتح مرحلة جديدة في تطوير شراكة الحوار بين روسيا واسيان، وستعطي دفعة قوية لتعميق كل مجمل العلاقات بين بلداننا.

كلمات البحث: قمة روسيا – آسيان، منطقة اسيا والمحيط الهادئ، شراكة الحوار.

Международная
ЖИЗНЬ

وبرنامج العمل المتعلق بها الذي تم تحديثه في عام 2015. وكاسهام جيد ستكون خطط العمل الجديدة في مجالات الطاقة والعلوم والتكنولوجيا والزراعة.

وتتخذ التدابير لزيادة تنويع التعاون. ومن بينها إنشاء آلية اجتماع كبار المسؤولين في مجال الزراعة وفريق العمل لشؤون التعليم. وفي عام 2015 تم أطلاق الحوار حول الطاقة المتجددة والتكنولوجيات النظيفة. ونخطط لمنح الطابع المنهجي للتعامل في مجال الرد على حالات الطوارئ. ونحن على استعداد للمساعدة في تطوير مرافق البنية التحتية الاقليمية للنقل، وذلك في إطار تنفيذ خطة آسيان العامة للربط المتبادل. ونقصد هنا التنفيذ المشترك لعدد من الأفكار الجديدة على مسار البحث العلمي، بما في ذلك في مجال تكنولوجيات الزراعة والايكيولوجيا الزراعية وحماية البيئة البحرية وإدارة وتنظيم استخدام المياه والتكنولوجيا الحيوية الغذائية.

ونشير بارتياح الى النمو المطرد للاهتمام المتبادل من جانب أوساط الأعمال في بلداننا. فبواسطة مجلس الأعمال روسيا – آسيان نفذت في الاونة الاخيرة، عدة مهمات بزنس متكاملة في عدد من بلدان الرابطة ومن بينها ماليزيا وبروناي وكمبوديا وميانمار وإندونيسيا وفيتنام. وعقد منتدى أعمال ضخم بمشاركة «عمالقة» البزنس في روسيا ودول آسيان على هامش القمة في سوتشي.

وأخذت تتكثف وتتعمق العلاقات الإنسانية. ففي عام 2016، اجريت بشكل متبادل فعالية «سنة الثقافة» بين روسيا وآسيان. وفي سوتشي، خلال فترة انعقاد القمة، عقد لقاء لوزراء الثقافة. وفي مجال البحث والاعداد مشاريع لتطوير الاتصالات الأكاديمية، بما في ذلك تنظيم المنتدى الجامعي روسيا – آسيان الذي من شأنه ان يوسع التبادل العلمي والشبابي الذي بقي حتى الان محصورا في مجال القمم الشبابية الدورية.

ويجب القول إن منطقة جنوب شرق آسيا تبقى بالنسبة للمواطنين الروس من الوجهات السياحية الأكثر شعبية، فنحو 2.3 مليون مواطن روسي زاروا في عام

أهمية خاصة. ونحن على ثقة من ان مثل هذه التصرفات تحمل في طياتها خطر الإخلال بتوازن الفضاء الاقتصادي الإقليمي وتجزئته.

وننطلق من أن الميل نحو تسريع التكامل لا يجوز أن تحد من الفرص بل تفتح الآفاق الجديدة. لقد طرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في كانون الاول/ ديسمبر عام 2015 مبادرة تشكيل شراكات اقتصادية بين الدول الأعضاء في الاتحاد الاقتصادي الاوراسي، ومنظمة شنغهاي للتعاون (مع الهند وباكستان كعضوين مستقبلين في هذه المنظمة) من جهة ورابطة اسيان من جهة اخرى. ويمكن لهذه الشراكة القائمة على أساس مبادئ المساواة والاحترام المتبادل للمصالح والمفتوحة لجميع الأطراف المعنية، أن تغطي تقريبا ثلث الاقتصاد العالمي من حيث القوة الشرائية، وتشمل نصف سكان كوكبنا. ويمكن للتقدم المستمر في تنفيذ هذه المبادرة أن يؤدي في المستقبل إلى خلق ما يشبه عقدة التعاون من شأنه أن يصبح مولدا لضمان الأمن والتنمية في الفضاء الأوراسي الواسع.

ويجب القول أن مثل هذا العمل يجري مع الرابطة. ففي أيار 2015 تم التوقيع على أول اتفاقية حول التجارة الحرة بين EAEC وفيتنام وهي احدى الدول العشر في الرابطة. وقيد النظر حاليا طلبات من بلدان أخرى في جنوب شرق آسيا. وهذا الأمر يمهد الطريق في المستقبل لتنظيم علاقات تجارية خاصة بين الاتحاد الاقتصادي الاوراسي وآسيان ككل.

لقد ركزت روسيا باستمرار على تعزيز وزيادة العلاقات الاقتصادية التجارية مع الدول العشر في آسيان. وخلال السنوات الخمس الماضية تضاعف حجم تبادلنا التجاري. وحصل بعض الانخفاض في حجم التجارة المتبادلة في عام 2015 ويرجع ذلك إلى عوامل موضوعية وقبل كل شيء الى الظروف الاقتصادية العامة غير المواتية، والانخفاض في أسعار مصادر الطاقة، وتقلب اسعار صرف العملات الوطنية. ودور رئيسي في استعادة دينامية التجارة بين روسيا وآسيان يجب أن يلعبه التنفيذ المطرد «لخارطة الطريق» للتعاون التجاري والاستثماري لعام 2012

هذا الأمن يجب ان يكون متساويا للجميع وغير قابل للتجزئة. ومن الواضح أن محاولة البعض ضمان أمنهم على حساب الآخرين ليست فقط عقيمة بل وخطيرة لأنها تؤدي إلى ظهور وتعميق الخطوط الفاصلة، وزيادة احتمال نشوب النزاعات. لدينا مع آسيان فهم موحد لضرورة تحقيق توازن استراتيجي فعلي ونشر التوازن والاستقرار في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، والقيام ببحث جماعي عن الردود على التحديات والتهديدات القائمة. ويشهد على ذلك إطلاق الحوار حول مسائل تشكيل صرح جديد للأمن والتعاون في المنطقة، وذلك على ساحة القمم الشرق آسيوية وبمبادرة من روسيا وبدعم نشيط وفعال من جانب الاعضاء العشرة في الرابطة.

وآنية توحيد الجهود العملية من قبل روسيا والرابطة في هذا المجال تصبح بينة اذا اخذنا بعين الاعتبار المصالح المشتركة في مكافحة الإرهاب الدولي والتطرف وانتشار أسلحة الدمار الشامل ومخاطر المخدرات والجريمة العابرة للحدود، وكذلك وجود الرغبة والسعي إلى تعزيز الأمن المعلوماتي الدولي. وتعزيز هذا التعاون، ساعد عليه عقد أول لقاء غير رسمي لوزراء دفاع روسيا ودول آسيان «على هامش» مؤتمر موسكو الخامس للأمن، بالإضافة إلى التنسيق الموجود في إطار منتدى آسيان الإقليمي للأمن واجتماع وزراء الدفاع في الدول الاعضاء في آسيان مع شركاء الحوار. ونلاحظ وجود الطلب في المنطقة على الخبرة الروسية الكبيرة في مجال عمل هيئات حماية وتطبيق القانون، بما في ذلك المساهمة في تعزيز الامكانيات المتوفرة للدول العشر. وتمثل إقامة الشراكة بين روسيا وآسيانابول في عام 2014 ونقلها لاحقا الى المستوى الوزاري، خطوة هامة في مجال هذا التعاون.

ونحن نسترشد بمبادئ المساواة والانفتاح والشمولية في المجال الاقتصادي ايضا. واليوم، عندما وللأسف تجري عمليات تحرير نظم التجارة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ في بعض الأحيان بشكل مخالف لمصالح النظام التجاري العالمي، وخاصة بسبب سعي البعض ومطالبتهم «بالانفرادية والتميز»، يكتسب هذا المسلك

من الهيئات العاملة، بما في ذلك على أعلى مستوى. ويحتل تعاوننا مركزه الراسخ في قائمة اولويات السياسة الخارجية في روسيا والدول الأعضاء في رابطة آسيان، بل واصبح هذا التعاون جزءا هاما من البناء الإقليمي. وروسيا اليوم باتت شريك فعال في القمم الشرق آسيوية (EAS) ومنتدى آسيان الإقليمي للأمن (ARF) واجتماعات وزراء الدفاع للدول الاعضاء في آسيان مع شركاء الحوار («ADMM-Plus»).

وتجدر الإشارة إلى أن أساس التطور الناجح للعلاقات بين روسيا وآسيان يكمن في التركيز على تحقيق النتائج العملية مع وجود الاهتمام الطبيعي نحو الطرف الآخر. وتنبع العلاقات بين روسيا وآسيان من الحياة، وتعتمد على أساس تاريخي متين. ودولتنا على اعتبارها جزءا لا يتجزأ من منطقة آسيا والمحيط الهادئ قامت على مدى عقود طويلة بتقديم الدعم المطرد والملموس للكثير من شعوب جنوب شرق آسيا في النضال من أجل التحرر الوطني وتحقيق الاستقلال والحفاظ على السيادة وضمان التنمية الاقتصادية الاجتماعية.

ان تعاوننا مع دول رابطة آسيان تستند الى مبادئ المساواة والاحترام المتبادل، مع مراعات المصالح المتبادلة، والاعتراف بالتنوع الثقافي والحضاري للعالم المعاصر وحق الشعوب في تحديد مستقبلها. ووتحدنا أجندة إيجابية تهدف إلى خلق ظروف مواتية للتنمية المطردة ورفع مستوى رفاهية شعوبنا، بما في ذلك من خلال التحديث الاقتصادي وتطبيق الابتكارات.

وتكمن مهمتنا المشتركة في بناء شراكة استراتيجية شاملة متعددة المستويات بشكل حقيقي. ونعتقد ان قمة روسيا – آسيان المقرر انعقادها في 19-20 ايار/ مايو سيدفع حوارنا الى مسار الحركة نحو هذا الهدف. ولقاء القمة هذا هو الثالث من حيث العدد ويعقد لأول مرة داخل بلادنا – في منتجع سوتشي. وستصبح الفعالية الرئيسية في السنة اليوبيلية.

ومن اولويات العمل المشترك تعزيز الأمن الإقليمي. لقد جاء في البيان المشترك الذي صدر عن الزعماء في ختام قمة روسيا – اسيان في هانوي في عام 2010، أن

سيرغي لافروف
وزير خارجية روسيا الاتحادية

روسيا وآسيان: حدود جديدة للشراكة خلال 20 عاما

تستعرض منطقة آسيا والمحيط الهادئ اليوم أقوى وتائر التطور دينامية وتترسخ بثقة «كقاطرة جر» للاقتصاد العالمي وتعزز وزنها وتزيده في البعد السياسي. ويبدو واضحا أن دور منطقة آسيا والمحيط الهادئ سيقوى في عملية تشكيل وتكوين البناء العالمي المتعدد الأقطاب.

وفي مركز العملية الجارية في المنطقة رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) التي تكتسب المكانة الدولية بشكل مطرد وتعزز ترابطها الداخلي المتبادل. وتمثل الدول العشر الداخلة في الرابطة مختلف الهياكل الدينية والثقافية والاقتصادية الاجتماعية وتظهر المثال على التطبيق الناجح في الحياة لصيغة «الوحدة في التنوع».

وشهد عام 2016 ذكرى مرور 20 عاما على شراكة الحوار بين روسيا وآسيان. وخلال العقدين الماضيين تم تكوين قاعدة اتفاقات قانونية متينة للتعاون وشبكة واسعة

مجلس المجلة

سيرغي لافروف، وزير خارجية روسيا

الكسندر افدييف
سفير روسيا المفوض وفوق العادة في فاتيكان

اندريه دينيسوف
سفير روسيا المفوض وفوق العادة
في الصين، دكتوراه في العلوم الاقتصادية

الكسندر دزاسوخوف
دكتور في العلوم السياسية

ايغور ايفانوف
رئيس المجلس الروسي للشؤون الدولية،
عضو مراسل في اكاديمية العلوم الروسية،
دكتور في العلوم التاريخية

قسطنطين كوساتشوف
رئيس لجنة الشؤون الدولية
بمجلس الاتحاد الروسي،
دكتوراه في العلوم القانونية

فلاديمير لوكين
سفير مفوض فوق العادة،
دكتور في العلوم التاريخية ، بروفيسور

ميخائيل مارغيلوف
نائب رئيس الشركة المساهمة
«ترانس نفط»

سيرغي فيازالوف
مدير عام وزارة الخارجية الروسية

اليكسي ميشكوف
نائب وزير الخارجية الروسي

الكسندر بانوف
دكتور في العلوم السياسية

غيورغي بيتروف
نائب رئيس غرفة التجارة
والصناعة الروسية

اليكسي بوشكوف
دكتوراه في العلوم التاريخية

سيرغي ريابكوف
نائب وزير الخارجية الروسية

ميخائيل سيسلافينسكي
رئيس الوكالة الفيدرالية للمطبوعات
والاتصالات الجماهيرية

فلاديمير تيتوف
النائب الاول لوزير الخارجية الروسية

اناتولي توركونوف
رئيس جامعة موسكو الحكومية
للعلاقات الدولية، اكاديمي في
اكاديمية العلوم الروسية،
دكتور في العلوم السياسية

اليكسي فيدوتوف
سفير روسيا المفوض وفوق العادة
في سلوفاكيا، دكتوراه في القانون

فلاديمير تشيجوف
ممثل روسيا الدائم لدى الاتحاد الاوروبي

فيتالي تشوركين
مندوب روسيا الدائم لدى الامم المتحدة،
دكتوراه في العلوم التاريخية

يوري شافرانيك
رئيس مجلس ادارة شركة
«سويوز نفط غاز»،
رئيس صندوق «السياسة العالمية والموارد».

الكسندر ياكوفينكو
سفير روسيا المفوض وفوق العادة
في بريطانيا،
دكتور في القانون، بروفيسور

رئيس هيئة التحرير: ارمين اوغانيسيان

المذاهب والمفاهيم

ميخائيل تيتارينكو، فلاديمير بيتروفسكي

حول الهوية الاوراسية الجديدة لروسيا 123

فاليري فوروبيوف، رومان إيلييف

حقوق الإنسان في اليهودية والتقاليد القانونية العبرية 153

كيريل بارسكي

«الاتجاه الشرقي» الذي رسمه بريماكوف 177

الدعاية

المديرية العامة لشؤون السلك الدبلوماسي لوزارة الخارجية الروسية
(**ГлавУпДК**) تعرض مشروعا جديدا – مجمعا سكنيا للممثليات
والبعثات الدبلوماسية في شارع موسفيلموسكايا بموسكو 206

الدبلوماسية

سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي

روسيا وآسيان: حدود جديدة. 20 عاما من الشراكة 5

قسطنطين كوساتشوف

الاتحاد البرلماني الدولي: هل يتمخض الجبل فيولد فأرا أو التدخل في عدم التدخل ؟ 11

العلاقات الثنائية

سيرغي ريابكوف، نائب وزير الخارجية الروسية

العلاقات الروسية الأمريكية بعد الانتخابات: «سنكون مستعدين للإنطلاقة الجديدة ...» 25

فيتالي فوروبيوف

الشراكة الاستراتيجية الروسية الصينية المفعمة بالثقة: صيغة القرن الحادي والعشرين 45

فلاديمير اولينتشينكو

روسيا وبلدان البلطيق: ملامح مفهوم العلاقات الثنائية 57

التوجهات

غينادي غاتيلوف

الأزمة الإنسانية في سوريا: كيف تستخدم المآسي الإنسانية في مآرب سياسية 79

كمال الدين غاجييف

النزاعات والحروب المتحولة المسخة في العالم الحديث 97

أرمين أوغانيسيان

«بؤر الخلافة» في أوروبا 117

المحرر المسؤول ومجمع العدد:

يفغينيا بياديشيفا، دكتوراه في العلوم التاريخية، محاضر

تصميم وتخطيط العدد، الفنان

إيرينا زناتنوفا

النشرة العربية

الترجمة إلى اللغة العربية:

© الشركة المساهمة "مجموعة النشر "بروغريس" (دار التقدم)

المدير العام:

سركيس أوغانيان

رئيسة هيئة التحرير:

مارغاريتا تارفيردوفا

المترجم:

أديب فارس

المحرر:

نيقولاي غورينوفيتش

مشغل الكمبيوتر:

اليكسي اوفاروف

التركيب:

انطون دياتلوف

عنوان هيئة التحرير:

روسيا الاتحادية، 105064، مدينة موسكو،

شارع غوروخوفسكي بيرئولوك، 14

الهاتف: 74992653781+

الفاكس: 74992653771+

E-mail: info@interaffairs.ru

© هيئة تحرير مجلة "الاحداث السياسية الدولية"، 2016

Digest 2015

INTERNATIONALES LEBEN

Probleme der Aussenpolitik, der Diplomatie und der nationalen Sicherheit

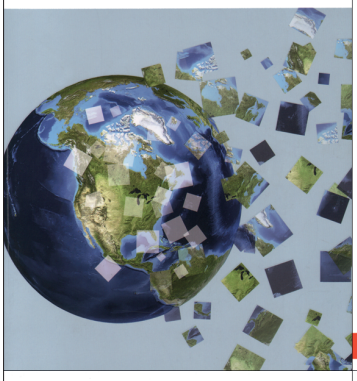

Н.А.Симония, А.В.Торкунов

Глобализация

структурный кризис и мировое лидерство

мифы и реальность

2013

Библиотека «Международной жизни»

文摘 2014

国际生活

俄罗斯对外政策、外交和国家安全

Digest 2015

LA VIE INTERNATIONALE

Politique étrangère, diplomatie, sécurité nationale

INTERNATIONAL AFFAIRS

МЕЖДУНАРОДНАЯ ЖИЗНЬ

Special issue

BRICS RUSSIA UFA 2015

BRICS 2014 Fortaleza · Brasil

Digest 2015

الاحداث السياسية الدولية

قضايا السياسة الخارجية، والدبلوماسية، والأمن القومي

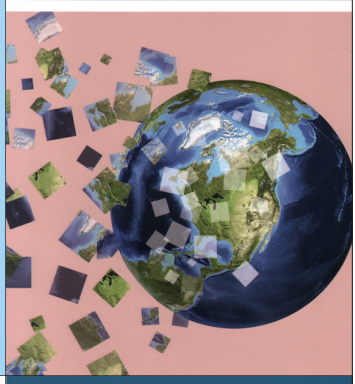

Декабрь 2015

МЕЖДУНАРОДНАЯ ЖИЗНЬ

Проблемы внешней политики, дипломатии, национальной безопасности

С Новым, 2016 годом!

Россотрудничеству - 90!
Любовь Глебова
Руководитель Россотрудничества

V Всемирный конгресс соотечественников в Москве
Константин Климовский
Заместитель директора ДРС МИД России

Сунниты и шииты: противоречия
Сергей Иванов
Заведующий кафедрой Дипакадемии МИД России

IV Международная конференция «Россия и Европа: актуальные проблемы современной международной журналистики»

Москва. Издается с марта 1922 г.

Special Issue 2010

INTERNATIONAL AFFAIRS

RUSSIA – ASEAN

www.INTERAFFAIRS.ru

VOLUME 59 NUMBER 2, 2013

International Affairs

A Russian Journal of World Politics, Diplomacy and International Relations

In This Issue

Press Conference of Sergey Lavrov
On the New Security Architecture in Asia-Pacific
Russian Muslims and the "Arab Spring"
Eurasian Vector of Development
Citizen Voting Rights in the 2012 U.S. Election
The Little World War in South America
Stalingrad, an Imperative of History

east view

Digest 2016

الاحداث السياسية الدولية

قضايا السياسة الخارجية، والدبلوماسية، والأمن القومي